الروائي الأكثر مبيعاً على قائمة نيويورك تايمز

دين كونتز

DEAN KOONTZ

كويك سيلفر

QUICKSILVER

رواية

بيع من رواياته أكثر من خمسمائة مليون نسخة وتُرجمت إلى 38 لغة عالمية

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

ساحر الكتب

الإهداء

تخيل نفسك تجلس على كرسيٍّ عند حافة الهاوية، لأبدأ بروايتي للقصة.

سكوت فيتزجيرالد

القسم الأول

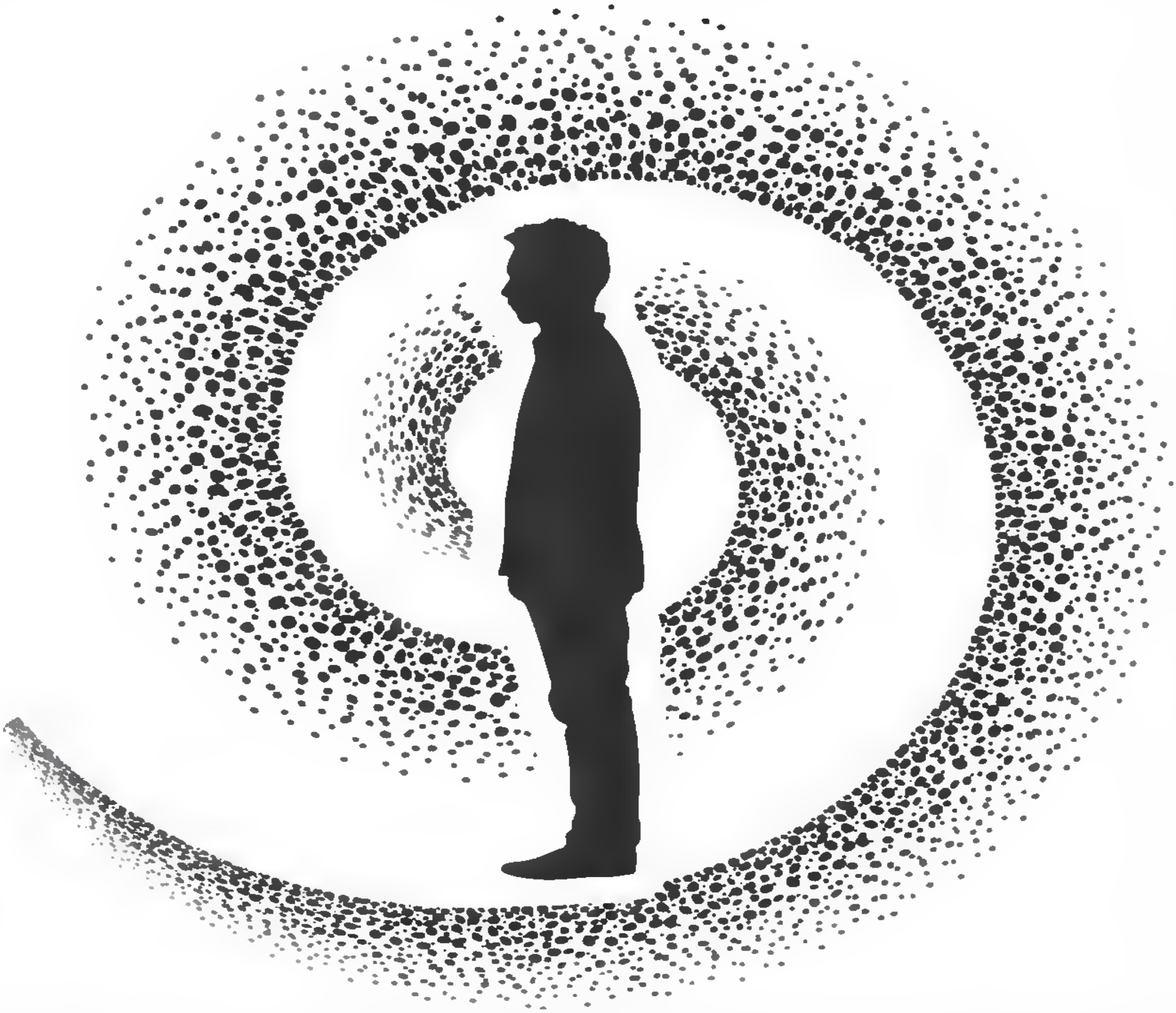

معلومات عني

| 1 |

اسمي كوين كويكسيلفر - أو "كيو كيو" وفقاً لما كان الأطفال اللّئيمون ينادونني خلال مراحل نموي المختلفة - في الحقيقة لا أستطيع أن ألقي اللوم على أهلي، لأنني لا أملك فكرة من هم. بعد أن وُلدتُ بفترة قصيرة، تُركتُ على طريق سريع منعزل يقع على بعد سبعة أميال خارج بلدة بيبتو التي تقع في ولاية أريزونا، حيث يعيش 906 أشخاصٍ ويتظاهرون أنهم يسكنون في مدينة متكاملة مستقلة. كنتُ ملفوفاً ببطانية زرقاء، وموضوعاً في مهد أبيض بلاستيكيٍّ وعُثِر عليّ بعد وقت قصير من بزوغ الفجر.

قد تعتقد أن هذا أسوأ ما قد يبدأ به شخص ما حياته، ولكنني أؤكد أن الأمور كانت لتسلك درباً أكثر سوءاً، لسبب واحد هو أن هذه المنطقة هي موطن الذئاب؛ تخيل لو عَثر عليّ أحد هذه المخلوقات، فمن المؤكد أنه ما كان سيرضعني كما فعلت الذئبة التي أرضعت التوأم رومولوس وروموس بعد أن تُرِكا، بل كان سينظر إليّ على أنني طرد طعام أرسلته شركة توصيل، وربما كانت ستدهسني إحدى الشاحنات، وأصبحُ عجينة ملائمة جداً لنسور المنطقة. لذلك ولحسن الحظ عُثر عليّ من قبل ثلاثة رجال كانوا متوجهين إلى أعمالهم، أولهم اسمه هاكيم كاسبار وهو عامل يتفقد خطوط الكهرباء لدى المقاطعة، مثل الشخص الذي في أغنية غلين كامبل، لقد وجدتُ الأمر لطيفاً، ولكنه غريب في الوقت نفسه، على الرغم من أنني لم أكن قد سمعتُ الأغنية في ذلك الوقت بعدُ، أمّا الشخص الثاني واسمه بايلي بيلشازير وهو ميكانيكيّ في واحدة من أهم مزارع

توليد الكهرباء المعتمدة على الرياح في البلاد، والثالث يدعى سيزار ملكيزادك وهو مدير في كازينو هنديّ.

ووفقاً لما ورد في المقالات الصحفية في ذلك الوقت فقد وضعني هاكيم في المقعد المجاور لمقعد السائق في عربته التابعة لشركة الخطوط الكهربائية وتأكد من وضعي جيداً، ثم قاد بي إلى مكتب عمدة المقاطعة، وتبعه كلٌّ من بايلي وسيزار في سيارتيهما. أمّا لماذا شعروا أنه يجب عليهم أن يسلموني لسلطات إنفاذ القانون؟ فلم تُشِر المقالات إلى ذلك. كان هذا كل ما أعرفه عن هؤلاء الرجال إلى أن ذهبتُ إلى أحدهم بعد عدّة سنوات عندما كنتُ أركض للنجاة بحياتي على أمل معرفة بعض التفاصيل الصغيرة الأخرى التي قد تساعدني على معرفة ماذا أو مَن أنا.

كان هناك مغلف صغير مثبت على البطانية بواسطة دبوس، لم يجرؤ أحد من الرجال الثلاثة على فتحه؛ من الواضح أنهم شاهدوا الكثير من حلقات مسلسل "تحقيقات موقع الجريمة" وخافوا من أن يشوّهوا بصمات الجاني. فإمّا أنهم اعتقدوا أن هناك شخصاً شريراً ما اختطفني ثم تركني تحت رحمة القدر في ذلك الصباح الحار، أو أنّ شخصاً ما قد خطفني من والدي وطلب منه فدية لإعادتي. عندما فتح العمدة المغلف وجد فقط بطاقة طُبِع عليها كوين كويكسيلفر وتاريخ مولدي.

في تلك الأيام، لم يكن هناك أحد في ولاية أريزونا يملك كنية كويكسيلفر، ومع ذلك استقر الجميع على أن هذا هو اسمي، والتصق بي منذ ذلك الوقت. بالطبع كويكسيلفر - الزئبق - هو اسم آخر للزئبق

- ميركيوري - المعدن السائل الذي سمي على اسم الإله الروماني ميركيوري الذي كان المرسال بين الآلهة، وكان يحظى بالتقدير الكبير بسبب سرعته الهائلة، حيث كان يستطيع أن يزيد من سرعته بشكل لا يصدق. وكوين مشتق أيضاً من الكلمة اللاتينية (quintus) والتي تعني الخامس، وتعني في سياقات أخرى خمس مرات. لذلك ربما تلك العبارة المكتوبة ليست اسمي، بل هي عبارة عن رسالة غامضة تعني "قم بتسريعه خمس مرات" على الرغم من أنني متأكد من أنك لن تجد هذه النصيحة في أي كتاب متخصص برعاية حديثي الولادة، بنفس درجة استحالة أن ترى عبارة "انقعه في زيت الزيتون مع أوراق الريحان".

ثم أصبح لي جناح في دار المقاطعة بحكم كوني الأصغر سناً بين المنضمين إلى وكالة رعاية الأطفال تلك. لم يكن هناك أي عائلة حاضنة على استعداد لأخذ طفل يبلغ من العمر ثلاثة أيام، وليس معه شيء سوى بطانية متسخة، ولديه على حدّ تعبير القائد غارفي مونكتون: "عينان زرقاوان غريبتان ويحدّق بطريقة مباشرة وهذا ما اعتُبِر أمراً غريباً بالنسبة إلى طفل حديث الولادة". ولأجل كل ما تقدم، نُقِلتُ إلى ماتر ميسيركورديا وهي دار للأيتام تديرها راهبات كاثوليكيات في فينكيس وتقع خارج المقاطعة.

عندما بلغت السادسة من عمري، بدا جلياً بما لا يدعو للشك أنني شخص غير قابل للتبني. من بين مجمل الأشخاص الذين يتم تبنيهم فإن نسبة الرُّضّع هي الأعلى، لأنهم أكثر الفئات العمرية المرغوبة، حيث يُوضَعون عادة في منازل ذات بيئة مستقرة بسرعة أكبر مما

يمكنك قول "كوكي كوكي كو"، وذلك لأن الرُّضَّع بشكل عام مظهرهم أكثر لطفاً من الأطفال الأكبر سناً، أضف إلى أنهم لم يمضوا وقتاً طويلاً مع والديهم، ولم يترك هؤلاء تأثيراً على طريقة تفكيرهم.

كل رضيع صغير مبتسم هو عبارة عن شخصية تنتظر أن تُصقل، وهذه الشخصية قابلة للنحت كما يرغب الشخص المتبني. على الرغم من أنني كنتُ لطيفاً، ولم أعارض أن أُصقَل وأُشكّل كما لو أنني قطعة من الطين، إلا أن أحداً لم يرغب بتبني كوين كويكسيلفر.

لم أفشل في الحصول على عائلة أعيش في كنفها لأن الراهبات لم يقمْنَ بواجبهنّ، فهنّ لم يكفِفْنَ عن المحاولة، وهنّ المعروفات بالدهاء، شأنهنّ شأن كل راهبات هذا الكوكب، فقد صمّمْنَ خطة تسويقية خاصة بي، وأعددْنَ عرضاً رائعاً على الباور بوينت، وروّجْنَ لي لدى العديد من الثنائيات الراغبين بالتبني، بالطريقة نفسها التي تروّج فيها ديزني لرسومها المتحركة الخاصة بالأميرات والحيوانات الناطقة، ولكن كل جهودهنّ ذهبت أدراج الرياح. بعد سنوات من معرفتي لهذه الحقيقة، استطعتُ معرفة التعليقات التي قدمها بعض الثنائيات الراغبين بالتبني عن أسباب عدم رغبتهم بتبنيّ، ولكن ربما سأشارك تعليقاتهم هذه في وقت لاحق.

دار الأيتام عبارة عن مدرسة أيضاً، حيث يقضي الأطفال من عمر السادسة حتى الثامنة عشرة حياتهم فيها. عملت الراهبات على نقل المعرفة والعلوم بطريقة رائعة، وكان الأطفال يعرفون أن مقاومة التعليم ليس خياراً جيداً، فإذا لم ترتقِ بنفسك، وتحاول الاستفادة من كل إمكانياتك، فستقضي وقتاً طويلاً وأنت تغسل الأطباق،

وتقشّر البطاطا، وتغسل الملابس المتسخة، لكنّ الطالب المجتهد لا يُكَلّف بأيٍّ من هذه المهام الشاقة.

طلاب دار ماتر ميسيركورديا كانوا يفوزون دائماً بمنافسات التهجئة، وببطولات نادي المناظرة، وبجوائز معرض العلوم على مستوى المدينة والولاية. تستطيع أن تعلم أنه نتيجة لذلك فقد تعرض الكثير منا للضرب على أيدي بعض أفضل المثقفين الشباب في الدولة.

قدمت الأخوات الراهبات الداعمات جداً مِنَحاً دراسية للجامعة وللمدارس التجارية لمن يرغب بالذهاب إلى هناك، ولم أكن واحداً منهم. لقد كنتُ أطمح لأن أصبح كاتباً، وأخبرني حدسي أنه إذا لم يكن البرنامج التعليميّ الأكاديميّ للجامعة مناسباً لي تماماً فهو سيتسبب بقتل اللمسة الإبداعية لأسلوبي الخاص، وسيحولني إلى روبوت كاتب.

كانت الأخت أغنيس ماري تدير مكتب التوظيف لمساعدة أولئك الذين لم يتلقوا تعليماً عالياً. عندما بلغتُ السابعة عشرة والنصف من عمري، استعملت عيّناتٍ من كتاباتي لتوقّع لي عقد عمل مع ناشر مجلة أريزونا! وهي عبارة عن مجلة مختصة بعجائب الولاية وشعبها.

لم أكن موثوقاً بما يكفي لأكتب عن المواطنة المعاصرة بعدُ، التي تُهان بسهولة، وبدلاً من ذلك كُلّفت بإجراء الأبحاث والكتابة عن الشخصيات والأماكن المثيرة للاهتمام في تاريخ الولاية التليد،

وسأكون بخير طالما أتجنب ذكر بيوت الدعارة وقطّاع الطرق. في ذكرى مولدي الثامنة عشرة، وبعد ستة أشهر فقط من العمل الناجح استطعتُ شراء شقة أستديو صغيرة، وغادرت دار الأيتام.

بعد ثمانية عشر شهراً من العمل في المجلة، ارتكبتُ خطأً فادحاً، ومنذ ذلك الحين، بدأتْ عملية الفرار من قوى الظلام.

لكن ما أجده غريباً، أنه وبعد يوم واحد على ارتكاب خطأي الفادح، توضّحت لي أحداث الأسبوع السابق بأكملها. كنتُ قد مررتُ بأول حدث من أحداث ما سميتُه - لفترة من الزمن - بالمغناطيسية الغريبة والأمر أشبه بكون أحدهم يكتب حياتي - ليست قصة حياتي، بل يكتبُ سيناريواً لما يريد أن تسير وفقه حياتي - شخص يعرف أن هناك وقتاً سأحتاج فيه إلى كمية كبيرة من السيولة النقدية لأستطيع الهرب من الأسر.

نحن نتكلم عن يوم جمعة هادئ في مطلع شهر أيار، حيث كنتُ قد أنجزت معظم ما يجدر بي أن أكتبه لذلك الأسبوع، فأخذت ذلك اليوم عطلة، وقررتُ ألا أذهب للتمارين الرياضية، واستبدلت ذلك بتناول الكثير من الكربوهيدرات ومشاهدة أفلام النزاع بين الفضائيين والمبيدين القديمة حتى شعرت أن عينيّ أوشكتا أن تنفجرا. يومها سيطر القلق عليّ، ولكنني تغلبت عليه بتناول قطعة دونات مغطاة بالشوكولاتة، وعندها شعرتُ أنه يجب عليّ أن أستقل سيارتي التويوتا القديمة، وأختبر إطاراتها في الصحراء خارج المدينة، حتى اختفت نقوشها.

أتذكر بوضوح أنني خاطبت نفسي قائلاً: "ماذا أفعل؟ إلى أين أنا ذاهب؟"، ثم توقّفت عن السؤال لأنني أدركتُ أنّ فكرة أن أردّ على نفسي بصوت أنعم قليلاً وأبدّل جهة رأسي قد تُطوِّر لديّ مرضَ تعدّدِ الشخصيات وهو شيء لم أرغب بحدوثه.

تبيّن أن المكان الذي كنتُ ذاهباً إليه، لم يكن مدينة أشباح، ولكنه أشبه بمفترق طرق للأشباح، لم يكن قديماً من حقبة رعاة البقر والمنقّبين من القرن التاسع عشر، بل يعود لفترة الخمسينيات تقريباً. هو قسم من الطريق السريع بين ولايتين لم يكن هناك حاجة لبنائه، هناك محطة تكساكو خدمية، ومطعم، وكوخ معدنيّ كبير، لم يكن لوجود هذه المنشآت غاية، فقد حوّلتها شمس الصحراء القاسية، والرياح، والحشرات، والزمن إلى أطلال. قبل ستة أشهر، أتيت إلى هنا لمرة واحدة، لأتعرّف إلى المكان قبل أن أكتب عنه مقالاً معبّراً لصالح مجلة أريزونا!

بعد أن تعرضت اللافتة الكبيرة المعلقة على سطح المطعم لأشعة الشمس الحارقة لعقود، تلاشت الكتابة عنها، وامتلأت بالثقوب التي سببها شبان اعتقدوا أن الجمع بين المشروبات الكحولية القوية والأسلحة النارية هو طريقة مثالية لتمضية أمسية على الطريق، بشكل عام، لم يكن لديهم زوجات ليعترِضْنَ على ذلك، ولا حبيبات ليقدّمْنَ بعض المغريات الأخرى الجذابة. من خلال أبحاثي، علمت أن اسم المطعم كان سانتينيلو روسايد غريل.

ركنت سيارتي على الإسفلت الأسود المتشقق باهت اللون بفعل أشعة الشمس، وأخذتُ مصباحاً يدوياً من صندوق القفازات،

وترجلت من السيارة، واقتربت من سانتينيلو. كانت نوافذه محطمة منذ زمن بعيد، وصدئت مفصّلات الباب الأمامي، أمّا في الداخل، فقد كانت الشمس تخترق نوافذ الجهة الشرقية مجبرة الظلال على التراجع إلى الجانب الغربي من صالة الطعام، حيث تجمّعت هناك كما لو كانت تتآمر على شخص ما. لقد بيعت كل الكراسي، والطاولات، والموائد، ومعدات الطبخ في العام 1956. يمكن تقدير الفترة التي مضت على المطعم خالياً من سماكة الغبار الذي جرّته الرياح إلى الداخل.

لم يستطع أي خبير في علم الزواحف ممن توجهت إليهم بالسؤال أن يشرح لي لماذا اتجهت عشرات الأفاعي إلى هنا لتموت، ومعظمها كانت من نوع الخشخاش. عندما جئت للمرة الأولى لاستكشف المكان، فزعت جداً حتى أدركت أنها ميتة، وقد تحجرت بعد أن جففها الهواء.

في زيارتي الثانية هذه، حاولت أن أخطو بينها بحذر، وتوجهت إلى أحد أركان المطبخ. على الرغم من أن جميع الأشياء القيّمة قد أُخِذَت منذ فترة طويلة، لكن بقيت بعض الصناديق الخشبية المتشققة مصفوفة بجانب بعضها البعض على جدار واحد، والتي كانت تستخدم سابقاً لتخزين البرتقال وغيره من المنتجات، وبجانبها المزيد من علب تخزين الطعام الفارغة.

خلال زيارتي الأولى، حرّكت هذا الحطام محاولاً أن أجد فيه شيئاً يقودني إلى سبب انحراف هذا المطعم بعيداً عن تيار التقدم الذي كان يسير فيه، وكيف تعرضت أحلام القيمين عليه وجهودهم

القيمة إلى كل تلك القرصنة والتدمير. خلال تلك الأيام الأولى من مسيرتي المهنية كنتُ متحمساً مثل جرو صغير، قادراً على قول بعض الاستعارات النادرة، والمحرجة في الوقت نفسه بهدف تحريك مشاعر القراء.

كان ذلك منذ فترة طويلة، أمّا الآن، فأنا أكثر نضجاً بما أنني أمضيتُ سنة - بينما أكتب هذا - أعاني وأقاوم لأبقى حياً مكتشفاً الطبيعة الحقيقية لهذا العالم ومحاولاً التأقلم معها. أياً يكن الأمر، خلال ذلك الاكتشاف الأوليّ الذي قمتُ به وبينما كنتُ أحرّك الحطام في المطبخ لفت انتباهي شيء لامع عكس ضوء مصباحي، عندما وصلتُ إليه، وكنتُ أمدّ يدي لأنزع قطعة ورق صفراء عنه بحيث أراه بشكل كامل قفز عنكبوت مشعرّ كبير وتسلق ذراعي. حسناً، أعلم أنّ هذه المخلوقات ليست سامة، ولن تعضني، لقد قيل الكثير عن لطفها لدرجة أن غاندي المسالم وُصِف بأنه من العناكب، ولكن عندما ترى عنكبوتاً مشعرّاً يكاد يكون بحجم كرة القدم يتقدم نحو وجهك، ستتحرك منعكساتك الدفاعية مباشرة، فتراجعت وتمكنتُ من إبعاده عن ذراعي، وبالطبع فقدتُ كل الاهتمام في معرفة ذلك الشيء اللامع أياً يكن.

لقد عدتُ الآن على غير المتوقع لأبحث بواسطة ضوء هاتفي، ليس عن العنكبوت بالتأكيد، فأنا لا أشعر بأي ضرورة للاعتذار منه، ولكن عن ذلك الشيء الذي عدتُ خائفاً وقتها قبل أن أتمكن مع معرفة ماهيته. وجدتُه... كان عبارة عن عملة معدنية قديمة جداً، وبدا لي من لمعانها أنها من الذهب الخالص.

بينما كنتُ أقلّب العملة الثقيلة بين يدي، تعجبتُ من أن عقلي الباطن لم يعرف ما هي في اليوم الذي هاجمني فيه العنكبوت ولم يخزّن تلك المعرفة لأشهر. أياً يكن الأمر، كان السبب الحقيقي الذي يكمن خلف عودتي المفاجئة إلى هذا المكان المهجور هو لغز غامض، وليس مجرد قطعة نقود في هذا المطعم الذي كان ذات يوم مزدحماً، وأصبح اليوم مهجوراً، ويقع عند مفترق طرق لا يؤدي إلى أي مكان في الجهات الأربع.

تُركتُ خلفي تلك الأفاعي الميتة ترقد في سلامها المخيف ذلك، وعدتُ إلى المدينة، وقصدت متجراً مختصاً ببيع وشراء كل شيء بدءاً بالأثاث الفرنسي العتيق وحتى البرونزيات اليابانية التي تعود إلى حقبة ميجي. كان خوليوس شيمسكي وهو مالك المتجر يعرف كل شيء يمكن معرفته عن الأشياء القديمة - العملات، الطوابع، الرسومات - وهو حقاً يعلم كثيراً عن كل الأشياء القديمة، وهذا ليس مستغرباً، إذا عرفنا أنه يبلغ الثامنة والتسعين من العمر، وقد أمضى جلّ سنوات عمره وهو يتعلم عن هذه الأشياء. كان خوليوس أبيض الشعر مثل كاهن، أما حاجباه فكانا أبيضين وكثين، وكانت عيناه زرقاوين بزرقة مياه عدن، ولكن أغرب ما فيه أن وجهه كان خالياً من التجاعيد وناعماً بقدر النعومة التي كان عليها عندما كان رضيعاً. في مقال عنه لمجلة أريزونا! شرح عن سبب مظهر خديه الوردي حيث قال: "عندما تواظب على تغذية نفسك بالمعرفة، سيزدهر داخلك ويشرق". لم أكن أنا من كتب ذلك المقال، فأنا مختصّ بالكتابة عن الأموات المؤثرين، وهو لا يزال حياً، بعد أن قرأت المقال،

أصبحت أتردد على متجره بين الحين والآخر لأدردش معه، ونتبادل الأحاديث.

في الحقيقة، هذا المكان ليس متجراً فقط، بل هو عبارة عن مبنى من طابقين مشيّد من الخرسانة والفولاذ، صُمِّم بحيث يكون مقاوماً للحريق لدرجة أن الشيطان نفسه لن يكون قادراً على إشعال النار فيه. تبلغ قيمة مقتنيات المتجر الملايين، لذلك، ولكي يسمح لك بالدخول، يجب أن تحصل على موعد، أو تكون على معرفة شخصية بخوليوس، وفي كلتا الحالتين ستدخل عبر ممر زجاجي مضاد للرصاص، وستُفتش بحثاً عن السلاح قبل أن يُسمح لك بعبور الباب الداخلي. عندما كان خوليوس في الحادية والأربعين من عمره، كان يعمل في مكان آخر، وتعرّض للسرقة بتهديد السلاح، وبسبب ذلك، بنى متجره بطريقة مشابهة للحصن المنيع، لأنه كما أفاد في ذلك المقال: "يمكنني أن أعيش مع مرض البارانويا، ولكنني لا أستطيع العيش مع رصاصة في رأسي".

عندما قصدت المتجر في تلك الجمعة، كانت حفيدته شارونا تعمل في الغرفة الأمامية، وهذا ما جعلني متأكداً من أن الحظ حليفي ذلك اليوم. رأيتها عبر زجاج الممر بشعرها الأسود الداكن، وعينيها الداكنتين وكل تفاصيلها المميزة والمتناسقة، إنّها واحدة من النساء اللواتي لا تستطيع أن تنظر إليهنّ لفترة طويلة من دون أن تتلعثم، أو هذا ما كانت عليه حالي. تبلغ شارونا الثلاثين من العمر - أي أكبر مني بإحدى عشرة سنة - من منظورها أنا بالكاد تجاوزت مرحلة المراهقة، أما من منظوري فهي فتاة أحلامي. شارونا جامعة طوابع بريدية

على الرغم من أن هذا لا يبدو مثيراً كما هو حقاً، وتعلم كل شيء عن كل الطوابع البريدية، ويمكن القول إنها مثل جدّها عبارة عن صندوق لا حدود له من المعرفة. لا يمكنني أن أجد سبباً واحداً لتبقى عزباء حتى الآن، وعلى الرغم من أنها تعاملني كابن أخيها المفضل، فأنا أتخيل دائماً ذلك اليوم الذي سأفعل فيه شيئاً خارقاً - ربما أنقذ العائلة من حريق ضخم أو أسحب المسدس من يد إرهابي مجنون - وحينها ستتغير نظرتها لي، وستراني فارس أحلامها الرومانسي.

لوّحت لي، ثم ضغطت على زر الباب الداخلي. مررتُ بجانب مجموعة من مصابيح تيفاني، ثم بصناديق يابانية مطلية بالذهب والتي تعود إلى تايشو وعصور هيسي، ثم توجّهت إلى مكتب المبيعات حيث تقف. لقد فصلت مجموعة من أفخم ساعات اليد بيننا، ولو كنتُ أكثر انتباهاً لتلك الإشارات التي وضعها القدر في خلفية الأحداث الحاصلة، كنتُ سأتمكن من رؤية تلك الساعات على أنها إشارة إلى أن الوقت ينفد مني، ولكن بدلاً من ذلك كنتُ أنظر إلى شارونا وأبتسم لها ابتسامة صبيانية وقلتُ: "تبدين كيوم جمعة"، أردت أن أقول لها إنها تبدو لطيفة جداً اليوم.

ابتسمت كما تبتسم العمة لابن أخيها وقالت: "لم يسبق لأحد أن وصفني بهذه الطريقة، كيف يبدو يوم الجمعة يا كوين؟".

"حسناً، إنه يبدو مثلك"، بدا جلياً أنه يجب شرح عبارتي، لذا أردفت قائلاً: "يوم الجمعة هو أفضل أيام الأسبوع، ألا تظنين ذلك؟ إنه آخر أيام العمل، وعندما نفكر بيوم الاثنين، نرى أنه بعيد، ويمكننا أن ننعم بالقليل من الراحة والحرية لبعض الوقت، بالطبع أنا أخذتُ

اليوم إجازة، لذلك ربما لا ترين الصورة مثلي، ولكن بالنسبة إليّ الآن، أو هذا الأسبوع على الأقل، الجمعة يوم رائع، إنّه جميل".

ها قد قلتُها أخيراً، أخبرتُها أنها جميلة على الرغم من أنها قد تحتاج إلى مترجم ليوصل إليها ما قصدتُه بشكل واضح.

هزّت رأسها بلطف قائلةً: "أنت غريب حقاً يا كوين، كم فنجان قهوة شربتَ هذا الصباح يا عزيزي؟ لقد كان عمي ماير يكثر من شرب القهوة بمعدل ثمانية أكواب في اليوم وانتهى به الأمر مصاباً بقرحة نازفة في الرابعة والثلاثين من عمره فقط، وأمضى ثلاثة أيام في وحدة العناية المشددة".

"أوه، لا داعي للقلق، أنا رجل أكتفي بكوبين من القهوة لأشحن طاقتي مجدداً". في الحقيقة لم أكن أشرب القهوة في أغلب الأحيان، فأنا أفضّل البيبسي أو الكولا الخالية من الكافيين، ولكنني خفتُ إذا قلتُ إنني أفضّل المشروبات الغازية على فنجان القهوة المثالي أن تظنّ أنني ما زلتُ صبياً مراهقاً. كنتُ أشعر بالعار لأنني كذبتُ وإن كان بشأن أمر تافه مثل شرب القهوة، ولأتجنب الغوص عميقاً في مستنقع الكذب، أخرجتُ العملة الذهبية من جيبي وقلتُ: "مررتُ على المتجر لأنني وجدتُ هذه، أظنّ أنها قيّمة نوعاً ما".

"أنا جامعة طوابع بشكل أساسي، ولكنني أملك الكثير من المعرفة عن تيفاني وآرت نوفو - الفن الجديد - وآرت ديكو - الفن الزخرفي - ولكن جدي هو الخبير الأول في مجال جمع النقود".

لقد أغرمتُ بالطريقة التي تقول بها: "جامعة طوابع" لدرجة أنني

كنتُ سأطلبُ منها أن تعيد قولها، ولكنني ضبطتُ نفسي.

قالت: "تعلمُ أين مكتب جدي، سأخبره أنك متوجّه إليه لتريه إياها".

كان مكتب خوليوس في القسم الخلفي من الطابق الأول، مررتُ بعدة غرف لتخزين كل تلك الكنوز، ثم وجدتُه خلف مكتبه الفخم المصمّم حسب مبادئ الآرت ديكو والذي صمّمه المصمّم رولمان، وكنتُ أعلم ذلك لأنه أخبرني مرة بكامل تاريخ المكتب عندما سألته إذا كان بإمكاني أن أشتري مثله من إيكيا. كان منهمكاً بفحص ما يشبه الصرصار بواسطة عدسة الصائغ.

سألتُه: "ما هذا؟".

"بروش".

"لماذا سيرغب أحد بوضع بروش على شكل صرصار؟".

نظر من فوق عدسة الصائغ، ورفع حاجبيه الأبيضين الكثّين قائلاً: "إنّه ليس صرصاراً، بل هو نوع مختلف تماماً من الخنافس يدعى الجعران الفرعوني. صُنع هذا البروش من الفضة على الرغم من أنه فقد بريقه حالياً، وهو مزيّن بأفضل أنواع الياقوت والزمرد، ويُعتَبَر من أجمل الأشياء التي كان من دواعي سروري أن ألقي نظرة عليها".

"صرصار أو جعران أو خنفساء جميعها حشرات، وأنا لا أحب الحشرات".

"كان الفراعنة يقدسون الجعران في حضارة مصر القديمة".

"ربما هذا هو السبب في أنّ حضارتهم لم تستمر. انظر ماذا وجدتُ".

وضع الجعران المزيّن وعدسة الصائغ جانباً ليفحص عملتي المعدنية: "من أين حصلتَ عليها؟".

أخبرتُه بكل شيء من دون أيِّ كذبٍ متجنباً ذكر قصة العنكبوت لأنني لم أرده أن يخبر شارونا كيف خفت من العنكبوت، ثم قلتُ: "هل يمكن بيعها مقابل مبلغ ما؟".

"من خبرتي أستطيع القول إنك قد تجني منها حوالى أربعين ألف دولار وربما أقل قليلاً إذا بعتَها لجامع نقود هاوٍ".

"يا للهول!"، لم نكن نستخدم الألفاظ التعجبية القذرة في الميتم بما أننا نشأنا بين الراهبات، وتابعتُ: "أعتقد أنني أفضّل أن أبحث عن مالكها".

عبس خوليوس، ثم قال: "بحسب القصة التي قلتَها لي فهي تنتمي إليك، أياً يكن الأمر، إذا كنتُ أتذكرُ المقال الذي كتبتَه للمجلة جيداً، فإن كل تلك الممتلكات صُودِرَت في النهاية، وحُجِزَت بموجب قوانين الملكية العامة".

"حسناً، فهي تنتمي للمقاطعة أو لواشنطن، ومن المحتمل أن يكون هناك مكافأة لمن يعيدها".

حتى تلك اللحظة، كنت واقفاً إلى جانب مكتبه، فقال لي: "اجلس، يبدو أنك تعاني من الدوار".

عندما قلتُ له إنني بخير، أمرني أن أجلس بصرامة لم يسبق لي أن سمعته يتحدث بها.

قال: "وبماذا ستستفيد الحكومة من أربعين ألفاً؟ تجلب صابون يدين لحمامات مجلس الشيوخ؟ أو تبني قدماً من مسار القطار الجديد؟ اسمع يا بني، لو كنتَ شخصاً آخر، كنتُ لأخبرك بأنني سأشتريها بستة وعشرين ألفاً، وربما أكثر من ذلك بقليل، ولكنني متأكد من أنه يمكنني بيعها في غضون شهر لواحدٍ من هواة جمع النقود بالسعر الذي ذكرته سابقاً، لذلك سأخاطر وسأعرض عليك ثلاثين ألفاً. تُعتَبر هذه نعمة بالنسبة إلى صغير فقير مثلك وعليك فقط أن تشكر الله عليها وتستمر في عيش حياتك".

ربما كان تفكيري البريء يحاول أن يقوم بما يخدم مصلحتي فقط، أو ربما لم أرغب أن يفكر أنني صغير لتلك الدرجة التي تعني أنني صغير جداً بالنسبة إلى شارونا إذا أغرمت بي فجأة ذات يوم. أياً يكن السبب السخيف الذي جعلني أقول: "لستُ صغيراً جداً، أعني حقاً لدي عمل جميل، وأملك شقة، ولديّ توقعات لمستقبلي".

"إذا لم تكن أنت صغيراً، فأنا أكبر من الموتى إذاً"، ثم أمال نفسه قليلاً في كرسيه ووازن العملة بين إبهامه وسبابته، ثم قال: "أخبرني أنك ستأخذ الأموال التي عرضتُها عليك، وإلا فإننا سنلعب رمي العملة ونرى... إذا كانت نقشاً فسأتخلص منها في الحمام وأدفقها مع المياه، وإذا كانت طراً فسأدفقها مع المياه أيضاً".

"أنت تمزح".

"جرّبني".

"ولكن أي نوع من الخيارات هذا؟".

نهض عن كرسيه وقال: "ليس لديّ خيار آخر أعرضه عليك، لن أكون جزءاً من حيرتك الطائشة هذه، وإذا ظننت أنني عجوز بما يكفي لتأخذها مني عنوة قبل أن أتخلص منها في الحمام، فسأخبرك الآن أنه من الأفضل أن ترتدي خوذة معدنية، وتهيِّئ نفسك لعدة إصابات".

عندما أستذكر تلك الأحداث أظن أن فكرة امتلاك ثلاثين ألف دولار فجأة أخافتني جداً. أنا شخص أتى إلى هذا العالم وهو لا يمتلك شيئاً، وعشت على المقدار الضئيل الذي كانت تقدمه دار الأيتام لثماني عشرة سنة. وحتّى إذا كنت سأذكر عملي في أريزونا! فأنا لم أكن أبداً أمتلك الكثير من المال الذي قد أقلق من خسارته. لم أرغب أن أُظهر له أنني أحمق، وأهدر فرصة الحصول على ثلاثين ألفاً، لأنه حينها لن تنظر إليّ شارونا بمفردها على أنني أحمق خاسر، بل أي امرأة تملك عقلاً سليماً سترى ذلك.

لذلك قبلت الثلاثين ألفاً، دفع خوليوس لي تسعة وعشرين ألفاً عن طريق شيك، وأعطاني الألف الباقية نقداً حتى أتمكن من تبديل إطارات سيارتي التويوتا التي فقدت نقوشها، وحتى إنني أستطع أن أقوم باحتفالية صغيرة. ذهبت إلى المصرف مباشرة، وقدمّت الشيك.

وبما أنني وخوليوس نتعامل مع المصرف نفسه، اتصلوا به للتحقّق من الشيك وقالوا لي إن الرصيد سيكون جاهزاً في اليوم التالي، أي

السبت والذي أصبح منذ تلك اللحظة يومي المفضل.

في صباح اليوم التالي، وبعد أن اغتسلت، وأكلتُ وعاءً من حبوب الكورن فليكس، كان يبدو أن تلك المغناطيسية الغريبة التي جذبتني سابقاً للذهاب والعثور على العملة الذهبية، جذبتني مرّة أخرى، ولكن هذه المرة إلى المصرف حيث سحبتُ أربعة آلاف دولار كلها من فئة العشرينات والمئات، ولم أنفق دولاراً واحداً منها، ولكنني بدلاً من ذلك عدت إلى شقتي، ووضعتُها في محفظة صغيرة ذات سحاب، ثم وضعتُ المحفظة تحت وسادة أريكتي الوحيدة.

أتذكر أنني قرأت مقالاً عن حادثة قديمة أفلس فيها مصرف، وقلتُ لنفسي إنني أفعل ذلك فقط لأنني أصِبتُ بالخوف الشديد من فقدان ثروتي الحديثة هذه كلها.

يوم الاثنين وأثناء استراحة الغداء، عدتُ إلى المصرف، وسحبتُ ألفي دولار، ووضعت النقود في المحفظة، ثم بدأتُ أشعر بالقليل من الخوف بعد أن سحبتُ ثلاثة آلاف يوم الثلاثاء، وعدتُ وسحبتُ ثلاثة آلاف أخرى يوم الأربعاء. كلا، لم أشعر أنني فقدتُ السيطرة على نفسي، ولكن بدلاً من ذلك شعرتُ أنني أستعدّ لمواجهة شيء ما أكبر من إفلاس المصرف، وكأنني بطريقة ما كنتُ أعلم أن هناك مشكلة قادمة على الطريق.

يوم الخميس رفعتُ مستويات القلق أكثر عندما لم أستطع مقاومة حاجتي الملحة لشراء حقيبة سفر صغيرة وتعبئتها ببدلين من الثياب ومستلزمات النظافة. وضعتُ حقيبة السفر في صندوق سيارتي،

وتركتُ السيارة في مرأب في وسط المدينة في القسم المخصّص للفترات الزمنية الطويلة، ودفعتُ نقداً لركنها هناك لمدة أسبوع.

سحبتُ أربعة آلاف إضافية من المصرف، لا بد أن موظفي المصرف يظنون أنني إمّا أصبحتُ مدمناً على القمار، أو أصبحتُ عبداً لفتاة ما من صائدات الثروات.

صباح يوم الجمعة، عندما ذهبتُ إلى العمل ثبّتُّ محفظتين تحوي كلٌّ واحدة منهما على ثمانية آلاف دولار على صدري باستخدام شريط لاصق، وارتديت قميصاً فضفاضاً كي لا يبدو وكأن ثدييّ بدآ ينموان فجأة. بحلول هذا الوقت لم أعد واثقاً تماماً من أنني أملك عقلاً سليماً.

حتى الآن، مرّ أسبوع منذ أن حصلتُ على كل هذه الأموال، ومنذ أن بدأتُ استعدّ للهرب.

فكرة أنني كنتُ أفعل كل ذلك بناءً على حدسي لا يعني أن حدسي جدير بالثقة الكاملة. غالبية الناس الذين يكرهون على فعل أشياء غير اعتيادية يتعرضون لأشياء فاسدة مثل إجبار السنجاب على الميتامفيتامين، كنتُ أتساءل إن كان خوفي غير منطقي، وربما نشأ فقط نتيجة شعوري بالذنب لأنني أخذتُ عملة ليست لي. من المنطقي بعد أن ترعرعت على أيدي الراهبات أن تبقى جُمَل الشعور بالذنب تتردّد في رأسي. كان من المنطقي أن افتراض أن الضغط الأخلاقيّ الكبير هو الذي ولّد هذا التهديد الوهميّ في داخلي وصنع كرة من القلق تتخبط في رأسي جيئة وذهاباً، أو على الأقل

كانت هذه هي النظرية التي اخترعتها حتى الوقت الذي ظهر فيه البلطجية على الغداء.

|2|

أنقذني طاهيان في قسم القلي واللذان قد يصبحان ذات يوم مشهورين كآندي وارهول من زوج من الرجال ممن يرتدون ثياباً جيدة، ولكن نواياهم سيئة.

أنا أتناول طعام الغداء في مكان في الشارع المقابل لمكتب المجلة خمسة أيام في الأسبوع، عادة أنا أحب الإلتزام بمكان معين، وبما أن المكان كان نظيفاً، والطعام جيداً، بالإضافة إلى أنه كان رخيصاً فقد كنتُ أذهب إليه. تمتلك عائلة بِن هذا المكان؛ كانت هازل بِن سيدة مطلّقة في الخمسين من عمرها، هرب زوجها - المحامي - مع موكلته بعد أن ربح لها قضية تعويض بعد مقتل زوجها دارنل إيكنس والتي تبلغ قيمتها عشرة ملايين دولار، حيث وافقت هيئة المحلفين بالإجماع على أن الشرطي قد ردّ بقوة مفرطة عندما أطلق ست مرات بعد أن هاجمه دارنل بمسدس مسامير هوائي، وتمكن الشرطي من إصابته أربع مرات.

لم تتوقف هازل عن استقبال المحامين، ولكن كان من المستحيل أن تراها ترحّب بأحدهم بابتسامة. ولداها – فيل وجيل، توأم في السادسة والعشرين من عمرهما - كانا طاهيَين ممتازَين، ينجزان أعمالهما على الشواية والمقلاة بكل احترافية على الرغم من أن هذا العمل ليس العمل الذي اختاره القدر لهما. فقد ولدا ليكونا فنانَين، صبغ فيل شعره المرفوع نحو الأعلى باللون البنفسجي وحلق حاجبيه، أما جيل فصبغت شعرها المرفوع أيضاً باللون الأخضر،

وكانا يرتديان دائماً البيجامات السوداء وينتعلان الأحذية الحمراء. لم يتمكنا بعد من بيع الكثير من لوحاتهما لأنه - وكما شرحا - تعطي مؤسسات الفن أهمية تسويقية لمظهر الفنان بقدر ما تعطي لرسوماته وربما أكثر. مؤخراً كانا يفكران بحلق شعريهما وصبغ جسديهما بالأزرق من الأعلى إلى الأسفل.

عادة أذهب إلى هناك لأتناول الطعام في نهاية فترة الغداء تقريباً بحيث أستطيع أن أجلس من دون أن أكون محاطاً بزبائن آخرين ممن قد يرغبون بالتحدث عن شيء سخيف كالسياسية مثلاً، أو شيء شيطانيّ؛ حسناً... كالسياسية أيضاً. بدلاً من ذلك كنتُ أحب أن أستمع إلى مواضيع تتعلق بالفن وعالم الفنون، وهي أمور يمتلك فيل وجيل خبرة واسعة فيها. في تلك الجمعة، كانت جميع طاولات الغداء مليئة بموظفي الطبقة العليا من الذين بإمكانهم أن يتأخروا على الغداء من دون أن يتلقوا التوبيخ الملائم من رئيسهم، ولكن معظم الكراسي المقابلة للمطبخ كانت فارغة.

سردت جيل حكاية رائعة عن لوحات الرسام أندرو وايث، وكيف عمل بشكل لا شعوري على دمج القصص الغريبة الرائعة في لوحاته، بعدها أتى فيل ووضع هامبرغر بالجبن والخس والطماطم والمايونيز على الطاولة، كانت البطاطا المقلية مقرمشة كما أحبها تماماً. بينما كنتُ أرتشف رشفة من الكولا لأبلع اللقمة، ظهر رجلان وجلسا على كرسيين بجانب بعضهما كما لو أن مشعوذاً قد استدعاهما. شعرتُ فوراً بالسوء، وواجهتُ صعوبة في بلع اللقمة الثالثة.

ارتدى هذان الوافدان الجديدان بذلتين سوداوين وقميصين

أبيضين ووضعا وربطتي عنق سوداوين، وكانا يضعان نظارتين شمسيتين خلعاهما ووضعاهما داخل جيبي قميصيهما، وقاما بكل هذه الحركات بالتزامن معاً بعرض مثير للإعجاب. نظرتُ إلى يساري حيث ابتسم لي الرجل الجالس هناك، كان وسيماً بطريقة مشابهة لأي عارض أزياء، وكانت عيناه بنيتين تقريباً تشبه عيني القطة، وتستطيع أن تعلم عند النظر إلى ابتسامته أن الابتسام كان أمراً اعتيادياً بالنسبة إليه، وأنه يبتسم طوال الليل حتى أثناء نومه، وابتسامته هذه لا تعني أبداً أنه يحبك أو أنه في مزاج جيد، ولا تعني حتى أنه يعلم معنى الابتسامة.

أمّا الرجل الجالس إلى يميني، فكان ضخم الجسد وذا وجه قاسي الملامح ومسطح الشّكل كما لو أنه ركض بأقصى سرعته وخبط نفسه بالحائط عدة مرات لا لشيء سوى الاستمتاع.

قال الشخص ذو العينين البنّيّتين: "الطقس حارّ في الخارج أليس كذلك؟".

قلتُ: "حسناً، إنه شهر أيار في مدينة فينكيس".

"لقد عشتَ في فينيكس طوال حياتك، صحيح؟".

"أجل معظم حياتي".

قال الرجل ذو الوجه قاسي الملامح الجالس إلى يميني: "أنت تحب فينيكس أكثر من مكانك الأصلي الذي جئتَ منه؟".

"أجل بالتأكيد أحبها كثيراً، أنا لا أتذكر أي شيء عن المكان الذي

جئتُ منه".

قال الذي على يميني بعد أن نظر إلى الذي على يساري: "يعاني هذا الرجل الشاب من فقدان الذاكرة".

بدّل الذي على يساري تعابير وجهه واصطنع الحزن وقال: "يؤسفني سماع ذلك، اعتقد من الصعب العيش من دون ذاكرة".

أكّدتُ لهما قائلاً: "لا أعاني من فقدان الذاكرة، إنني من بيبتو، أريزونا، ولكنني أمضيت عدة أيام هناك فقط بعد أن وُلدتُ".

نظرتُ إليهما بينما كانا يتبادلان الإيماءات الرسمية متزامنة الإيقاع.

أتت هازل بِن ووضعت قائمتي الطعام أمامهما وقالت: "هل أحضر لكما شيئاً؟".

قال الوسيم بينهما: "لِمَ لا تمنحيننا بضع دقائق فقط؟".

حدقت إلى وجهه ثم إلى زميله وسألتهما: "هل أنتما محاميان؟".

"كلا، ولكننا اعتقلنا البعض منهم".

لم تظهر علامات الرضا المتوقعة على وجه هازل، بدلاً من ذلك نظرت إليّ وقالت: "هل أنت بخير يا عزيزي؟".

تنفّست بعمق في ذلك المكان المليء بروائح البصل المقلي واللحم البقري المشوي وقلتُ: "في الحقيقة لا أعلم بعدُ".

قالت هازل لشريكيّ على الطاولة: "إنه شاب جيد".

قال الذي على يساري: "حسناً، إذا كنتِ تقولين هذا".

وأضاف الذي على يميني قائلاً: "نحن نريد مصلحته فقط".

انحنت النادلة بينكي كرانكوير من جانب الذي على اليمين لتخبر فيل أنها بحاجة إلى نوعين من البيرة للطاولة رقم 4، ذهب فيل ليحضر المشروبات بعد أن نظر إليّ بقلق، وترك أخته لتكمل عمل الشوي.

عندما تراجعت هازل وابتعدت عنّا على مضض قال الرجل ذو العينين البنيتين: "إذاً، أنت لا تتذكر ما حدث في بيبتو؟".

"أُرسلت إلى دار أيتام كاثوليكية عندما كان عمري ثلاثة أيام، على أي حال لا أظن أن الكثير من الأشياء قد حدثت في بلدة عدد سكانها تسعمئة وستة".

قال الذي على يساري: "لقد شهدوا نمواً سريعاً منذ ذلك الحين... إنهم الآن تسعمئة واثنا عشر شخصاً".

تابع الذي على يميني: "على الرغم من أنها أصبحت بلدة معترفاً بها، ولكن ما زالت فكرة ترك طفل صغير في وسط طريق سريع ستسبب مشكلة كبيرة حتى في بيبتو الجديدة المحسنة".

"حسناً أعتقد ذلك، اسمعا، من أي وكالة أنتما؟ لدي الحق في معرفة مع مَن أتحدث".

أخرج الوسيم الذي على جانبي الأيسر بطاقة عمله؛ كان يعمل في جهاز الأمن الداخلي (ICA) ولكنني لم أعلم بماذا يختلف هذا عن مكتب التحقيقات الفيدرالي (FBI) أو عن إدارة أمن الدولة (NSA)

أو أي وكالة أخرى مختصة بتنفيذ القانون، لقد شهدت أمريكا خلال العقد الأخير طفرة نوعية في مجال الأمن على المستوى الفيدراليّ.

وضع بطاقته جانباً، ثم تحدث بهدوء وبصوت منخفض كما لو أن هناك أحداً ما يتنصّت علينا، وربما هناك حقاً: "كان بإمكاننا أن ننتظرك أمام شقتك عندما تعود إلى المنزل، ولكننا لم نعلم ما المفاجآت التي قد تحضرها لنا".

قلتُ محتاراً: "مفاجآت؟".

همس الذي إلى يميني: "إذا قمتَ بأي شيء مخادع...".

قلتُ: "مخادع؟".

"جرّب أن تقوم بشيء مميز، وسنجعل الأمر يتضخم إلى قصة كبيرة حقاً خاصة مع وجود كل هؤلاء الشهود، ولا نظن أنك تريد التورط بمشكلة كبيرة".

"مميز؟"، كنتُ قد قلّلتُ ردودي كلها إلى كلمة واحدة فقط.

لم يقولا شيئاً لمدة نصف دقيقة، بل اكتفيا بالتحديق إليّ بطريقة ظننتُ أنهما ينويان منها إخافتي، ولكنني أدركتُ أن ذلك الوجه الصلب لم يكن فقط لأنهما عميلان بهذه الوكالة بل كان أيضاً يهدف لإخفاء خوفهما. لقد كانا خائفين مني. خلال سنوات حياتي التسع عشرة كلها، لم يسبق وأن وُجِد شخص يخاف مني في هذا العالم، ولا حتى شخص واحد. بحق السماء... حتى إنني تعرضتُ للضرب من قبل أشخاص خسروا في مسابقة التهجئة.

ازدرد ذو الوجه الصلب لعابه بصعوبة كما لو أن هناك شيئاً عالقاً فيه منذ مدة طويلة، وقال بهدوء: "الشخص الأول الذي يشبهك ممن تعاملنا معهم، كان اسمه أولي، كنا نخطط لأن نُجلِسه معنا قليلاً ونحظى بحديث خاص لطيف".

غمغم الذي إلى يساري بعد أن وضع يده أسفل معطفه: "هناك شخصان إضافيان معنا يجلسان إلى الطاولة في الخلف، وهما يمسكان بمسدسيهما تحت الطاولة".

قال الذي إلى يميني: "عندما تعاملنا مع أولي شرحنا له نوايانا بهدوء، وشرحنا له لماذا يجدر به أن يتعاون معنا...".

تابع الذي إلى يساري: "... ولكن، بعد ذلك بدأت الأمور تتدهور".

قال الآخر: "لقد قام بالعديد من الأفعال الوضيعة للناس التي تعمل معنا".

بدا وكأنهما تدربا كثيراً على تناوب الجمل مثل روتين أبوت وكوستيلو، ولكن الأمر لم يكن مضحكاً أبداً هنا.

قلتُ بضعف: "ولكنني لست وضيعاً".

قال ذو المظهر الصلب: "لا نريد منك سوى أن تتركنا نقيّد يديك بكل هدوء، ثم نأخذك إلى عربتنا في الخارج، نحتاج فقط إلى أن نناقش بعض الأشياء معك، لا نريد أن نؤذيك".

قال الآخر: "ولكننا سنؤذيك إذا حاولتَ أن تتحاذق وتفعل شيئاً ما، لذلك لا تقم بأي شيء مخادع".

وافقه الذي إلى يميني بإيماءة وقال بصوت منخفض: "سنحرص نحن الأربعة على أن تصيبك الرصاصة في رأسك، لن يكون أمامنا خيار آخر"، لقد كان صوته خافتاً جداً لدرجة أنني بالكاد استطعت سماع الكلمات في همسه ذلك.

همس عارض الأزياء ذو العينين البنيتين: "أجل، أجل، تماماً".

كما تستطيع أن تتخيل، لقد أصبحت مرعوباً كلياً بحلول هذا الوقت لدرجة أنني كنت أفكر بقلقٍ بقدرة مثانتي على تحمل الموقف.

"انظرا، أظن أنكما ارتكبتما خطأ ما، أياً يكن الشخص الذي تظنانني هو، فأنا أؤكد لكما أنني لست من تبحثان عنه".

لم يكن بإمكان أي شخص ممن يشاهد الدراما الحاصلة على الطاولة العالية المقابلة للمطبخ تلك أن يحدد مَن هما هذان الرجلان، أو على الأغلب سيظنون أنهما بلطجيّا عصاباتٍ أدين لهما بالمال. علمتُ لاحقاً أن العاملين في جهاز الأمن الداخلي يُنظر إليهم بعدم احترام، لذلك ربما لم يكن من المهم أبداً لو أن شخصاً ما سمع الذي إلى يساري يعرّف بنفسه.

كان اهتمامي منصباً عليهما لدرجة أن المطعم بأكمله بدا ضبابياً، ويبدو أنهما أيضاً كانا يصبّان جلّ تركيزهما عليّ، لدرجة أنهما لم ينتبها أبداً إلى أن أفراد طاقم المطعم قد سمعوا من الحديث ما يكفي ليستعدوا.

كان أفراد طاقم هازل بن من الوطنيين الذين يقدمون خدمات

طعام ويدافعون عن أي صديق يحتاج إليهم، لذلك، وبلا أي كلمة، نسّق أفراد الطاقم مع بعضهم ليقوموا بتدخل سريع بغرض إنقاذي. سحبت جيل سلة البطاطا المقرمشة من المقلاة العميقة المغمورة بالزيت، ثم استدارت بسرعة، وألقت محتويات السلة الساخنة على وجه الذي إلى يميني. وكان فيل قد ملأ كوبَي بيرة سعة ست عشرة أونصة من الصنبور، وتظاهر أنه متوجه لوضعها على الطاولة التي طلبث منه النادلة توصيل البيرة إليها، ولكن بدلاً من ذلك رشّ محتويات الكوب الأول على ذي العينين البنيتين ثم تابع ورشه بمحتويات الكوب الثاني بما أن الرجل الذي على اليمين تلقى طلباً محترماً من البطاطا التي لم يطلبها. سمعتُ صوت بينكي كرانكوير من خلفي وهي تقول: "لا تفكرا القيام بأي شيء"، وهي ترمي صينية مليئة بالأطباق المتسخة في أحضان زميليهما الجالسين على الطاولة خلفي.

لو كنت تلعب لعبة "ماذا كنتَ لتفعل؟" قبل أسبوع من الآن، ووصفتَ لي ما حصل في المطعم، كنتُ سأقول على الأرجح إنني سأنزلق عن كرسيّي، وأذهب باتجاه الباب الأمامي، حيث سيلتقطني هناك عملاء جهاز الأمن الداخلي، ولكن بدلاً من ذلك تفاجأتُ بنفسي حقاً حيث أبعدتُ غدائي بعيداً، وبدأت أتسلل ملاصقاً للطاولة العالية مستفيداً من الغطاء الذي تؤمّنه، وبينما كنتُ أمرّ بجانب جيل مهرولاً ومحاولاً أن أبقى منخفضاً متجهاً نحو المطبخ، وضعت جيل ملعقة تحت قطعة لحم بقري غير مشوية بالكامل وأطلقتها بسرعة باتجاه وجه الرجل الذي كان يحاول مسح البطاطا المقلية عن عينيه

ووجهه.

في المطبخ ثلاجات وأفران وطاولات للعمل وكان يعمل فيه بيبي تشافيز وتاو هوا هناك، قال تشافيز: "رجلي العزيز كوين"، وقالت تاو: "كيف حالك؟".

قلتُ: "يجب أن أهرب"، ثم ركضتُ أمامهما، وسحبتُ مطفأة الحرائق من مكانها على الجدار عند الباب الخلفي، وفتحتُ الباب متوقعاً أن أجد آلة ما مثل مدفع رشاش.

كان هناك رجل في الزقاق يرتدي بنطال جينز وقميصاً من هاواي، ولكنه كان ضخم البنية ويقظاً تماماً لما حوله، قال: "مرحباً يا فتاي".

لا يوجد شخص عادي يدعو شخصاً غريباً تماماً بـ فتاي، لذلك توقعتُ أنه من الأمن الداخلي، فكبستُ على مطفأة الحريق بلا هوادة، وملأته بالرغوة وبدأ يترنح، كان أشبه برجل ثلج يذوب معانياً تحت حرارة شمس فينيكس، تابعتُ الركض غرباً حاملاً مطفأة الحريق وجاهزاً لمواجهة أي عميل آخر يعاني من ارتفاع الحرارة.

| 3 |

على الجانب الشمالي من الزقاق خلف المصبغة، رُكِنَت شاحنة التنظيف الجاف محملة بالملابس المغسولة لإعادتها إلى منازل الزبائن. كان السائق خوان سانتوس - الذي غالباً ما يتناول الطعام في مطعم بِن – يغلق البابين الخلفيّين عندما رآني قادماً، وبفطنة رجل توصيل من الدرجة الأولى، أدرك أنني هارب من شخص ما يهددني، فلوّح لي باتجاه المقعد الذي بجانبه قائلاً: "هيا ادخل بسرعة، دعنا نهرب"؛ إنه من جماعة إذا كنت قانونياً فسوف تقع في مشكلة؛ "أنا آكل المشاكل كوجبة فطور، لا تقلق عليّ، وأيضاً لن يتمكن من رؤيتي".

ألقيتُ نظرة سريعة حيث وجدتُ الرجل الذي يرتدي قميص هاواي يترنح بعيداً عني، مرتبكاً ومعمياً مؤقتاً مع كتل من الرغوة التي تسيل منه كما يسيل اللعاب من فم كلب مسعور. لم يخرج أي شخص من عميلي الأمن الداخلي من المطعم، ربما لأنهما كانا محاصرين بتلال من الطعام.

تركتُ مطفأة الحرائق بتردد، وصعدتُ أعزل إلى الشاحنة، وجلست بجانب خوان، وأغلقتُ الباب، وانخفضتُ قليلاً في مكاني بينما كان خوان يشغّل المحرك. كان هواء الشاحنة مليئاً بالروائح الخفيفة لأنواع المذيبات المختلفة المستخدمة في تنظيف الكمية الرهيبة من الملابس الموجودة في الجزء الخلفي من الشاحنة، عطستُ بشدة لدرجة أن الحاجز الغضروفيّ الأنفيّ ظلّ يهتز لثوانٍ بعد ذلك.

قال خوان: "ليرحمك الله".

"شكراً".

نظر خوان إلى مرآته الجانبية باتجاه الطرف الغربي من الزقاق، وقال بعد أن حدد المشهد الذي خلفنا: "لقد سقط الرجل المغطى بالرغوة في القمامة لتوه".

انعطف يميناً وقال: "يمكنك الجلوس باعتدال الآن".

"لا أعتقد ذلك، إنهم من جهاز الأمن الداخلي، ولديهم عيون في كل مكان".

"الشرطة السرية؟".

قلت: "حسناً... الشرطة شبه السرية، فالجميع يعرف أنهم موجودون، ولكن لا أحد يعرف ما يعملون".

"لماذا يلاحقونك يا كوين؟".

"لا أعلم، لقد قالوا إنني فريد".

أصدر خوان صوتاً ينمّ عن تذمره، لم أعرف شخصاً مثله يستطيع إصدار أصوات ذات تعابير مختلفة وواضحة بحيث يمكنك معرفة مقصده فوراً، قبل أن يقول: "يا صديقي، كل فرد منا فريد من نوعه، وإذا كانت تلك جريمة، فيجب عليهم اعتقالنا جميعاً".

"ربما سيفعلون ذلك، ولكنهم قرروا البدء بي".

"هل تريدني أن أوصلك إلى الحدود؟".

"إلى المكسيك؟ كلا، كلا، كلا. يجب عليك إيصال هذه الملابس".

"لا مشكلة... سأكون متأخراً يوماً واحداً فقط عن تسليم الملابس، سيتفهم السيد ديا الأمر، إنه رجل رائع".

كان السيد غي مين ديا قد فرّ من فييتنام عندما كان مراهقاً في السابعة عشرة من عمره، وعندما بلغ العشرين، تمكن من تأسيس خدمة التنظيف الجاف التي تُظهر نجاحاً باهراً الآن.

"أعرف كثيراً من الناس الجيدين في المكسيك الذين يمكنهم الاعتناء بك".

"أشكر لطفك يا خوان، ولكنني سأكون ممتناً لك كثيراً إذا أوصلتني إلى مرآب السيارات حيث ركنتُ سيارتي".

أعطيتُه العنوان، فقال: "لا أظن أن سيارتك المهترئة يمكنها أن توصلك إلى سكوتسديل حتى".

"اشتريتُ إطارات جديدة ومعطر جو رائعاً علقتُه على مرآة الرؤية الخلفية في السيارة".

"أنا أكره رائحة الصنوبر تلك، إنها تذكرني بتلك المواد التي يضعونها في الحمامات لإزالة الروائح".

قلتُ: "إنها على شكل شجرة صنوبر لكن رائحتها مثل البرتقال".

"لماذا لا يصنعونها على شكل برتقالة؟"، ثم أصدر صوتاً معبّراً عن إحباطه من استعانة السوق الأمريكية بمصادر خارجية للتصنيع، وتابع كلامه مجيباً على سؤاله: "حسناً، ربما لأنها صنعت في الصين"،

وقال: "حسناً، أحد الأشياء الجيدة في سيارتك التويوتا أنها قديمة جداً لدرجة أنها لا تحتوي على نظام تحديد المواقع العالمي، وبذلك لا يمكنهم تتبعك عبر القمر الصناعي".

ضغط على المكابح عندما وصلنا إلى تقاطع طرق، ونظر إليّ بينما كنتُ أجلس منخفضاً تحت مستوى النافذة، كانت تعابيره لطيفة، وبدت لي وكأنها نظرات تعاطف أكثر من كونها شفقة، وقال: "ما هي خطتك يا كوين؟".

"خطة؟ حسناً، أريد فقط أن أبقى على قيد الحياة لمدة تكفي لأعرف لماذا يلاحقونني، لا بد أنني ارتكبتُ خطأ ما، وعليّ أن أكتشف هذا الخطأ وأصلحه".

"لقد أخبرتك أنني آكل المشاكل كوجبة فطور، وهذه معلومة صحيحة حقاً. لديّ أخت اسمها ماريا، لقد خرجت من السجن، وهي تعيش معي الآن، ريثما تتمكن من الوقوف على قدميها، وتتابع حياتها مجدداً، إنّها سيدة رائعة حقاً، ولكنها لا تعرف شيئاً عن الطبخ، ومع ذلك تصرّ على جعلي آكل وجبة فطور أعدّتها بكل حب قبل أن أذهب إلى العمل، ولذلك أعاني من مشاكل معوية كل اليوم".

توقف قليلاً، ولم يكفَّ عن التحديق إليّ، وأقسمُ إنني أستطيع تحديد الثانية التي تبدلت فيها نظرة التعاطف إلى شفقة، وتابع: "قبل أن تفعل ماريا ما فعلته لم يكن لديها خطة أيضاً".

أصبح لون ضوء الإشارة أخضر، فمضينا مجدداً في طريقنا.

قلتُ: "ماذا فعلت؟".

"أتقصد ما الذي تسبّب في سجنها؟ لقد سخرت من عضو في الكونغرس عن طريق بعض الصور الفكاهية الساخرة، لقد قالوا إن هذه الصور كانت تهديدات".

"هل كانت تهديدات؟".

"أجل، إذا كنتَ تظن أن تشبيه شخص ما بسنجاب مخمور يمثل تهديداً، فهذا ما يبدو أن ماريا فعلته. أياً يكن الأمر، لم يكن لدى ماريا أي خطة لما سيأتي بعد ذلك، لقد حُكِم عليها بالسجن لمدة عام وبالخدمة لمدة تسعة أشهر".

"من كان يعتقد أنه بحاجة لوضع خطة إذا فعل ذلك؟".

"لقد تغيرت الأمور يا كوين، شخصياً قبل أن أقول أو أفعل أي شيء، يكون لديّ خطة، وأحياناً خطتان أو ثلاث".

"كيف لي أن أعلم أن جهاز الأمن الداخلي سيسعى خلفي لأنني فريد؟ من سيضع خطة لأنه سيتهم بأنه فريد؟".

"أنا أقول إن عليك وضع خطة لأنك لن تبقى هارباً إلى الأبد".

خيّم الصمت علينا لدقيقتين تقريباً، دلّ صمته على الشفقة، ودلّ صمتي عن الخوف والحيرة. شعرت بالقلق لأنني لم أعرف كيف أضع خطة، لقد ملت دائماً إلى تغيير الموضوع عندما يقلقني الحديث. ارتفعت في مقعدي قليلاً وقلت: "لقد تساءلت دائماً لماذا اسم المحل هاري القذر نظيف الآن(1)".

أصدر خوان صوتاً معبّراً عن مودته لصاحب العمل وقال: "عندما

جاء غي مين ديا إلى أمريكا عمل في أول عامين في ثلاث وظائف، وعاش بزهد كبير محاولاً ادّخار أمواله ليتمكن من فتح محل تنظيف جاف. أخيراً، عندما تمكّن من توفير بعض الوقت، وذ هب إلى السينما، كان الفيلم المعروض أحد أجزاء سلسلة أفلام (Dirty Harry) (هاري القذر) للممثل إيستوود، أحب غي الفيلم كثيراً، وشاهده ثماني مرات. كان هاري يرتدي دائماً بذلات أنيقة ورائعة، وكانت دائماً نظيفة وذات مظهر جذاب على الرغم من كل مشاهد المعارك. تساءل هاري حينها عن محل التنظيف الجاف الذي يتعامل هاري معه، واعتقد أن الجميع يطرحون السؤال نفسه. في البداية كان سيسمي محله غي مين ديا للتنظيف الجاف، ولكنه استقر على الاسم الآخر بعد أن رأى أن ملايين الناس من الذين يتساءلون أين يذهب هاري لتنظيف بذلاته قد يأتون إلى مصبغته. لم تكن لغته جيدة حينها، لذلك ظن أن معنى الجملة واضح، والمضحك في الموضوع أن الأمر نجح، وتمكن من افتتاح ثلاث مصابغ أخرى، وهي ناجحة أكثر من أي مصبغة أخرى في أريزونا. هل تفهم لماذا نجح عمله؟".

"لأنه امتلك خطة".

"صحيح"، ثم ضغط على مكابح السيارة، وتوقف أمام المرأب المؤلف من ستة طوابق حيث ركنث سيارتي وقال: "ضع خطتك يا صديقي".

وعدتُه قائلاً: "سأفعل، سأضع خطة بطريقة ما، شكراً على التوصيلة، أدرك الآن أنها كانت خطراً عليك، لقد ساعدتَ هارباً".

ابتسم خوان؛ كانت ابتسامته دافئة، وإن كانت أكثر دفئاً، فلربما كان سيستخدمها في تحميص الخبز. قال: "العفو... لا مشكلة، كان لديّ خطة، إن أوقفَنا شخصٌ ما من جهاز الأمن الداخلي، كنتُ سأسحب المسدس من تحت مقعدي، وأطلق النار عليك، وأدّعي أنك خطفتني، وأنني كنت أحاول انتزاع السلاح من يدك".

لم أعلم ما يفترض بي أن أجيبه، فاكتفيت بأن قلت: "هه".

اتسعت ابتسامة خوان لدرجة أنها ذكرتني بيقطينة عيد القديسين، قال: "أنا أمزح يا كوين، أنا أحبك كثيراً، ويستحيل أن أطلق النار عليك، ولكنني أتمنى لو أنك لم تكن عديم الفهم إلى هذه الدرجة".

قلتُ: "عديم الفهم؟ أظن أنها عبارة قاسية نوعاً ما".

"ليس تماماً، أنا أستلطفك حقاً، فلا تأخذها بمعناها الحرفي تماماً، اجمع شتات نفسك يا صديقي، وحاول أن تحافظ على حسّ الدعابة، وإلا سينتهي بك المطاف مجنوناً كما جنّ الكثيرون في هذه الأيام".

قلتُ وأنا أفتح الباب: "سأفعل ذلك، سأجمع شتات نفسي".

"شيء آخر، هل تمتلك هاتفاً محمولاً ذكياً؟".

أخرجتُه من جيب سترتي وقلتُ: "أجل، من نوع آبل، هل تريد أن أعطيك رقمي لنبقى على تواصل؟".

"ليس هذا ما أريده، بل أريدك أن تدوس على ذلك الهاتف بقوة، وترميه في أقرب حاوية مهملات، إنه يحتوي على نظام تعقّب المواقع العالمي، وهذا ما يتيح لهم تعقبك".

"ولكن لديّ كل تلك التطبيقات المفيدة مثل الطقس، والخرائط، و...".

"إذا كنتَ تريد أن تبقى على قيد الحياة يا كوين، فعليك أن تتركه، وتمضي من دون أي شيء يوصلهم إليك"، أمسك هاتفه وتابع: "إنه مجرد هاتف عادي ليس فخماً ولم أستعمل اسمي عندما طلبتُ تفعيله".

قلتُ: "كلا لا يمكنني أن آخذ هاتفك".

رماه باتجاهي، فالتقطته. تابع كلامه قائلاً: "هناك شيء آخر يا صديقي، هل تعلم بوجود ماسحات للوحات السيارات بتقنية 360 درجة؟".

"هل يجب عليّ أن أشتري واحدة؟".

قال بطريقة متوسلة داعياً: "يا رب، احمِ هذا الشاب. كل سيارات الشرطة والعديد من السيارات الأخرى التابعة للحكومة مزودة بماسح يسجل أرقام لوحات السيارات التي تمرّ بجانبه، وينقلها فوراً إلى قاعدة بيانات ضخمة في وكالة الأمن الداخلي. سيمسح رقم لوحة سيارتك عشرات المرات قبل أن تستطيع الخروج من هذه المدينة، وإذا كانوا يريدون الحصول عليك حقاً، فسيتلقّون تنبيهاً في كل مرة يتمّ فيها رصد رقم سيارتك، وسيتمكّنون من تعقّبك وجلبك".

"كيف تعرف كل هذا؟".

"كيف يمكن ألا أعلم؟ هذه من الأشياء التي يجب على أي شخص يعيش في أمريكا الجديدة أن يكون على علم بها".

"حسناً، يجب أن أنزع لوحة سيارتي؟".

"يبدو الأمر جيداً كخطوة أولى".

قلتُ وأنا أترجل من الشاحنة وأنظر إليه: "ماذا لو أوقفتني الشرطة لأنني لا أملك لوحة سيارات؟".

"حينها ستكون قد وقعتَ في مأزق لا يمكنك الخروج منه، هل ما زلتَ متأكداً من أنك لا تريدني أن أقلك إلى الحدود؟".

"كلا، شكراً، يجب عليّ البقاء هنا، والعمل على تنظيف اسمي من التهم المنسوبة إليه، لا يعدو الأمر برمته عن كونه سوء تفاهم كبيراً".

قال خوان: "امضِ برعاية الله".

"وأنت أيضاً"، ثم أغلقتُ باب الشاحنة.

وقفتُ هناك تحت الشمس الحارقة في الوقت الذي مضى فيه بطريقه، كنتُ أشعر بالضعف وبدا ظلي كما لو أنه يحاول الهرب بعيداً عني غير راغب بالبقاء في نعشٍ مع ما سيتبقّى مني.

مرّت سيارة أجرة من نوع فورد 150 أف، محملة بالأقمشة التي تكاد تنفجر من صندوقها الخلفي المفتوح لتأمين مساحة إضافية، وبدلاً من أن أبدو كالمعتوه، وأنا أدوس على هاتفي كالعفريت رامبيل ستيلتسكين في الخرافة الألمانية، رميت الهاتف بين الأقمشة لعل جهاز الأمن الداخلي يلاحقه حول فينيكس لفترة من الزمن.

| 4 |

كان المرأب يحوي مصعداً وأدراجاً، ولكن بدا كلاهما لي مثل المصيدة، كانت منحدرات مرور السيارات عريضة كفاية، وهناك اثنان في كل طابق. توجهت إلى موقف السيارات الخاص بمدة الركن الطويلة في الطابق السادس.

في تلك الأيام، لم أكن أشعر بالأمان عندما أدخل إلى موقف سيارات عام ضخم، لم أكن قلقاً بشأن سائقي السيارات الذين يقودون سياراتهم بسرعة كبيرة كما لو أنهم داخل مضمار سباق، وكنتُ أعلم أن الأعمدة الضخمة النازلة من السقف ستؤمن الدعم اللازم، وليس عليّ القلق من أن ينهار المكان فوقي، وكنتُ أعلم أيضاً أن مثل هذه الأماكن لا يدخلها اللصوص، لأنه لا يوجد ممرات تُمكّنهم من الخروج بسرعة، بالرغم من كل ما تقدم كانت هذه المرائب تخيفني دائماً، ووصل خوفي إلى ذروته عندما خطوتُ في الطوابق العليا الأقل ازدحاماً. ربما كانت المراوح تصدر أصواتاً خافتةً توحي لي بأن الأشباح تجلس أسفل السيارات وتتآمر عليّ، وهي تنظر إلى قدميّ بينما أمر بينها، أو ربما بسبب الإسفلت الرمادي والضوء الخافت والسيارات الصامتة المركونة كصفوف التوابيت وجميع هذه الأشياء التي تثير أفكاراً متعلقة بالموت في داخلي. في بعض الأحيان، شعرت أنني على وشك أن أواجه شيئاً ما من عالم آخر، ربما قبيلة من الأطفال المتوحشين الذي يملكون أسناناً حادةً وعيوناً تتّقد النيران في محاجرها، كما في تلك المسلسلات التي تغزو فيها كائنات من عالم آخر المدينة الحديثة. في وقت لاحق، أدركتُ أن هذه

الأرواح الشريرة تمر بيننا، وليس فقط في مواقف السيارات، بل في أي مكان في العالم.

عندما وصلتُ إلى الطابق السادس والأخير، تفحّصت السيارات بحذرٍ، وتوقّعت أن أجد بينها أزواجاً من الرجال الذين يرتدون بذلات داكنة، ويضعون نظارات شمسية، مثل ذلك الثنائي الذي أحاط بي سابقاً خلال الغداء. ولكن بالنظر إلى أنني استطعتُ أن أهرب من أول طاقم أرسلوه لاعتقالي، اعتقدت أنهم ليسوا خارقين لدرجة أن يعلموا كل شيء يحدث في كل مكان. على الرغم من أن الحكومة غارقة في الديون لدرجة أنها مفلسة من الناحية الفعلية، وعلى الرغم من أن الشيء الذي كان بالإمكان شراؤه بعشرة سنتات خلال القرن الماضي أصبح الآن يكلف دولاراً، ولكن الفيدراليين يستطيعون طباعة النقود بالسرعة التي يحددونها، وهذا يعني أن جهازاً مثل الأمن الداخلي، يمكنه أي يضع جحافل من البشر بخدمته. شعرتُ بأنني مراقبٌ على الرغم من عدم وجود أشخاص يراقبونني، وسمعتُ صوت متنصّتين غير موجودين، اقتربتُ بحذر من سيارتي، متمنياً في داخلي لو كنتُ أملك مطفأة الحريق تلك، وقبعة إخفاء أيضاً.

احتوى صندوق السيارة على حقيبتي وإطار احتياطي وبعض الأشياء الأخرى البسيطة. تمكنتُ من إزالة لوحة السيارة بسرعة، وقمتُ بشيء قد يسميه البعض إجراماً شيطانياً، ولكنني أفضل رؤية الأمر على أنه ذكاء من شخص متهم ظلماً، حيث عملتُ على فكّ لوحة سيارة البورش المركونة بجانب سيارتي، ووضعتُ لوحتَها

على سيارتي، ثم وضعت لوحة التويوتا على سيارة البورش الفاخرة، سيتمكن مالك هذه السيارة باهظة الثمن من تحمل تكلفة طلب لوحة جديدة، وريثما يدرك ما حصل سيكون - بالتأكيد - معرّضاً لخطر اقتحام أولئك العملاء من جهاز الأمن بغرض الانتقام.

تخيل لو أن السيد صاحب البورش يشبهني بما يكفي - مع أن هذا الاحتمال ضئيل جداً - لأن يطلقوا النار لأنهم أخطأوا في تحديد هويته، ولكن أياً يكن الأمر، لن يرغب جهاز الأمن الداخلي بذلك، فهم يريدون استجوابي، وربما كانوا يقصدون باستخدامهم كلمة "فريد" أنهم يرغبون في إخضاعي للكثير من تلك التجارب المزعجة، أو ربما إجراء بعض العمليات الجراحية بغرض تحقيق بعض الاكتشافات، ولكن بالتأكيد لم يرغبوا بفعل أي شيء أسوأ من ذلك. فكرتُ وأنا أقود سيارتي داخل المرأب، أن الراهبات الصالحات اللواتي كنّ يرعيْنَنا في الميتم، لن يكنّ راضيات عن التكلفة والإزعاج اللّذين سببتهما لمالك سيارة البورش، ولو أنني ما زلتُ أعيش في الميتم، كنتُ سأقشر البطاطا لمدة أسبوع على الأغلب.

مع أنني كنتُ محرجاً قليلاً مما فعلتُه للسيد مالك البورش، لكنني لم أفعل ذلك إلا بدافع الخوف على حياتي ومستقبلي بأكمله، لذلك فأنا سعيد أيضاً لأنه وبينما كنتُ أبدل اللوحتين وضعتُ خطتي التالية. كنتُ سأحاول العثور على خوان سانتوس إن كان لديّ قائمة بعناوين شاحنات التنظيف الجاف التي سيوصلها، كنتُ أريد أن أذهب وأشكره لأنه وضّح لي ضرورة وضع خطة، ولذلك أردتُ أن أعبّر عن امتناني الكبير له، وأردتُ أيضاً أن أشارك سعادتي مع

شخص ما. كانت خطتي هي القيادة إلى بيبتو والبحث عن أولئك الرجال الثلاثة الذين وجدوني عندما كنتُ أبلغ من العمر ثلاثة أيام وسط الطريق قبل تسعة عشر عاماً.

خلال معظم حياتي كنتُ شخصاً عادياً مثلي مثل غيري من البشر، ورغم ذلك، يبدو أن تلك المغناطيسية الغريبة التي دفعتني مؤخراً إلى غمار كل تلك الأحداث ترى أنه حقاً قد أكون صاحب شيء فريد ما. ربما في الماضي عندما عثر عليّ هاكيم، وبايلي، وسيزار أخفوا حقيقة هامة، أو ربما رأوا شيئاً ما بدا غير مهم، ولكنه في الواقع قطعة أساسية من هذا اللغز الذي هو أنا. في ذلك الوقت لم يكونوا متقدمين في العمر، ولكن بعد عقدين من الزمن، ربما مات واحد منهم أو أكثر، أو ربما انتقلوا من تلك المدينة إلى مدينة أكثر حيوية وإثارة مثل تومبستون أو غيلابيند، لكنني لطالما كنتُ متفائلاً في حياتي لأنني أعلم أن المتشائمين لا يستمتعون بحياتهم، بل يقضونها خائفين منتظرين أحد المصائر المروعة التي كانوا يقلقون بشأنها طوال الوقت، ولكن أن تكون متفائلاً لا يضمن لك أن تعيش حياة سعيدة مريحة، فمن الممكن أن تكون متفائلاً، وتفقد وظيفتك في اليوم نفسه الذي احترق فيه منزلك وجاء شريكك وأخبرك أنه أطلق النار على قائد الشرطة، ولكن المتفائل - وعلى عكس المتشائم - سيكون مدركاً لمعنى الحياة، ويعلم أن هناك شيئاً نتعلمه من كل محنة، حتى إنه سيجد تتالي كل هذه المحن في اليوم نفسه أمراً مضحكاً بعد فترة من الزمن. لهذا، غالباً ما يكون الأشخاص المتفائلون أكثر سعادة وثراء بعد عدة سنوات من فقدانهم لكل

شيء، أمّا بالنسبة إلى المتشائمين، ففي أغلب الأحيان لا يكون لديهم شيء ليخسروه في المقام الأول.

في الوقت الذي كنت فيه أقود بين السيارات الكثيرة في الشارع الرئيسي، أكدّتُ لنفسي أنني سأتمكن من إيجاد هاكيم وبايلي وسيزار في بيبتو. يجب أن أصل إلى هناك في غضون ثلاث ساعات، حتى إنني ربما سأتمكن من التحدث إلى واحد منهم في وقت مبكر من مساء اليوم.

كان كل ما يعرفه خوان سانتوس هو الحاجة إلى وجود خطة، ولكنه لم يملك فكرة كاملة تماماً عن الموضوع. في العام 1785 قال الشاعر الأسكتلندي روبرت بيرنز في قصيدة بعنوان إلى فأر: "إن أفضل المخططات الموضوعة بين الرجال والفئران قد تغير مسارها وتنحرف أحياناً". ليس عليك أن تكون فاهماً أصيلاً لتشابيه اللغة الأسكتلندية لتعرف أنه لم يكن يقول للفأر إن خططه ستكسبه حياة مريحة وجبناً فاخراً طوال الوقت.

كنتُ أشعر وكأنني فأر خائف عندما غيّرت طريقي، وبدلاً من أن أسلك الطريق السريع 10 جنوباً للخروج من فينيكس كما كنتُ قد قررتُ سابقاً، سلكتُ طريقاً آخر من خلال الانتقال من مسرب إلى طريق آخر بشكل متعرج، وكأنني لا أفعل شيئاً سوى الهرب والإفلات من شيء ما، على الرغم من أنني لم ألمح أيَّ سيارة أخرى على هذا الطريق. لقد تغلب عليّ ذلك الشيء غير القابل للتفسير الذي يجبرني على فعل الأشياء، وهو عبارة عن مغناطيسية عجيبة تجذبني نحو أمور معينة من دون أن أعرف سبباً لها، وهذه المرة كانت قوية

جداً، وشعرتُ كما لو أن السيارة تقود نفسها بنفسها، وعجلة القيادة هي التي تمسك بيدي وتقودني في الاتجاه الذي تريده. تجاوزتُ إشارتين، وتعاملتُ مع إشارات المرور التي تحدد السرعة القصوى كما لو أنها مجرد اقتراحات غير إلزامية.

إذا أوقفني شرطي، وفحص لوحة السيارة، فلن يكون بطيءَ الفهم بما يكفي ليظن أن شركة بورش قد صممت نسخة للعملاء ذوي المداخيل المنخفضة، وبدأت تحاول اقتحام سوق السيارات المعدمة. ربما يكون جهاز الأمن الداخلي قد أرسل صوري إلى جميع حواسيب سيارات شرطة الطرقات، بحيث يستطيعون العثور عليّ قبل أن أدرك ذلك، وسيتم جري من التويوتا، وجعلي أجلس، وأقبّل الرصيف؛ لم يكن لدّي فكرة عمّا يحدث معي حالياً.

خرجتُ إلى الطريق السريع الفيدرالي رقم 60 متجهاً صوب الشمال الغربي نحو ضاحية بعيدة تسمى سوربرايز، وكانت أضواء مدينة فينيكس تتلاشى تدريجياً من إطار رؤيتي على مرآة الرؤية الخلفية. كان ذلك الإجبار الذي يستحوذ عليّ قد أصبح أقل حدة، وشعرتُ أنه يمكنني التوقف قليلاً عند ناصية الطريق لآخذ بعض الأنفاس العميقة، وأهدّئ أعصابي، ولكن مع ذلك لم أرغب بالتوقف.

لا تزال تلك المغناطيسية الغريبة تجذبني بعيداً باتجاه الشمال الغربي، ولكنني كنتُ مدفوعاً إلى هناك بتأثير الفضول أيضاً، فلقد كنتُ بحاجة إلى معرفة أين سأذهب بعد ذلك، ولماذا أنا ذاهب إلى هناك، وما الذي تعنيه كل تلك الأحداث المجنونة. علمتُ أن تلك المدينة لم تكن محطتي الأخيرة، وعلمت أن وجهتي القادمة هي

بالقرب من مدينة ويكنبورغ التي تبعد أكثر من ساعة بقليل عن فينيكس. إذا كنتَ تفضل الطقس الحار والجاف، وتفضل المناظر الطبيعية قليلة الأشجار والمليئة بالعشب، وإذا كانت المباني الشاهقة تزعجك، وتشعر بالراحة عند رؤية المباني البسيطة ذات الطابقين، فمدينة ويكنبورغ هي المكان المناسب لك، إنها مدينة جميلة عريضة الشوارع، ولا تشهد ازدحاماً، وأراضيها رخيصة وناسها طيبون.

في ضواحي المدينة، هناك مزارع فخمة مشهورة عالمياً من فئة ثلاث وأربع نجوم، حيث يمكنك تعلُّم السقوط من فوق حصان، أو بإمكانك تطوير مهارة ربط عجل، أو أخذ دروس في الرقص، أو لعب الغولف، أو ارتداء ملابس مثل راعي البقر وشرب الكثير من الكحوليات حتى تفقد وعيك في المساء. كنت متجهاً إلى واحدة من تلك المزارع الفخمة في ضواحي ويكنبورغ، والتي اتضح لي لاحقاً أنها مكان مقفر وبائس، وفي وقت لاحق، علمت أنها أعلنت إفلاسها قبل اثني عشر عاماً، وأعاد أصحابها استخدامها كمزرعة سرية للماريجوانا، كانت حظائرها وإسطبلاتها مليئة بنبات القنب الهندي المخدر. في تلك الأيام، اعتقد الجميع أن الماريجوانا كانت عبارة عن مخدر وليست مجرد أسلوب حياة. عندما داهمت وكالة مكافحة المخدرات المكان، أثبت أصحابه أنهم مشاكسون وأصحاب مشاكل، فأطلقوا الرصاص من البنادق، وسفكوا الدماء، ودخل جميع من كان في المزرعة إلى السجن لفترة طويلة، باستثناء القتلى طبعاً، واستولت مصلحة الضرائب على العقار لإرضاء الامتيازات الضريبية للدولة.

بالنسبة إلى شاب مثلي ترعرع على أيدي الراهبات، وفضّل حياة المدينة على قساوة الضواحي البعيدة، من المؤكد أن مكاناً مثل هذه المزرعة لن يكون على قائمة الأماكن التي أرغب بزيارتها إن كنتُ أستطيع التحكم بقرارتي أصلاً.

بالنظر إلى أحداث اليوم، توقعتُ أن أواجه العديد من المشاكل عندما أصل إلى حيث كنت ذاهباً، وقد تحقّق هذا التوقع، ولكن ما لم أتوقعه هو أن يكون القدر موجوداً في ذلك المكان، كانت حياتي مليئة بالمغامرات التي تغمرها الظلمة والنور في الوقت نفسه، حياة يهزها الرعب المتكرر، ولكن يخترقها فرح أكبر، لقد انتظرتني حياة من الألغاز هناك، وأيضاً حصلتُ على وصفة لحلوى لفائف القرفة والجوز التي قد تكون مستعداً للموت مقابل الحصول عليها.

| 5 |

قادني الطريق السريع الفيدرالي إلى طريق الولاية، وقادني طريق الولاية إلى ممر المقاطعة الذي أوصلني إلى طريق طويل نسبياً يؤدي في نهايته إلى المزرعة. كان هناك عمودان حجريان لدعم وتثبيت عارضة موضوعة فوق المدخل، عُلِّق عليها لافتة بهت لونها بسبب تعرضها الطويل للشمس، كانت تحمل اسم المزرعة وصورة لراعي بقر، وقد بدا من بعيد وكأن المباني الرمادية الباهتة ذات أسقف وجدران مائلة.

كان الطريق الأسفلتي متشققاً ويعاني من انهيارات كثيرة عند الحواف، وبدا أن ذئبين اعتادا الجلوس بجانب كل واحد من عمودي المدخل، ولكن لم يبقَ منهما شيء الآن سوى هيكلين عظميَّين وفراء مغطى بالغبار، ربما أطلق بعض الحمقى الرصاص عليهما أو استسلما للمرض أو ربما ماتا من الملل.

أفزعتني تلك المزرعة كثيراً، لقد بدت كواحدة من تلك الأماكن التي يجتمع فيها زعماء الجريمة مثل تشارلز مانسون مع أتباعهم الذين يمضون الوقت بالتدرب على طعن القطط الصغيرة وهم ينتظرون أن يأتي بعض الحمقى المساكين ويطرقوا الباب.

لم يعد يفصل عن غروب الشمس سوى ساعة، ولم أرد أن أدخل المزرعة بعد أن يخيّم الظلام، على الرغم من أنه لم يكن لديّ أدنى فكرة أيضاً عن سبب دخولي إلى المزرعة في وضح النهار، ولكنني جُذِبتُ نحوها بقوة لا تُقاوَم كقوة مغناطيسية تابعة لقوى الطبيعة.

تقدمتُ من بين العمودين الحجريّين، وقدتُ تحت اللافتة المهترئة.

تسبب الوقت الطويل الذي مر على هذا المكان، بالإضافة إلى انعدام الصيانة، بأضرار جسيمة تشبه ما يمكن لإعصار بقوة خمسة أن يفعل لمركبة شراعية.

لا بد أن المبنى الرئيسي المصنوع من الحجر كان جميلاً في السابق، فهو مكوّن من طابق واحد، ويبدو بوضوح أنه احتوى مطعماً وحانة، ولكنه الآن خرابٌ، وانجرف الرمل نحو جدرانه، وكانت الريح تضرب جداراً واحداً بشكل أساسي والذي بقي صامداً بشموخ. كانت الحظائر والأكواخ - حيث أقام الضيوف - بحالة أسوأ بكثير من المبنى الأساسي.

في آخر نقطة من المنعطف الثاني كان هناك حظيرة ضخمة وردية اللون التهمها الصدأ، كانت ذات يوم ذات لون أحمر جميل. لقد تعرض السقف الذي كان محدباً للكثير من التغيرات الشكلية الآن، وانتزعت نصف ألواح الأرضية التي كانت موجودة سابقاً.

ما من شيء لافت على نحو خاص في ما يتعلق بالحظيرة، لذلك تجاوزتُها، ووجّهتُ مقود السيارة باتجاه الأبنية، وبينما كنتُ أقترب من نهاية المبنى الفرعيّ، وبدلاً من التوجه نحو المبنى الأساسي، وجدتُ نفسي أنعطف بالسيارة يساراً عائداً مرة أخرى إلى الحظيرة عبر الطريق الذي مررتُ به لتوّي. ضغطتُ على دواسة الوقود؛ تلك المغناطيسية القوية كانت تسيطر عليّ مرة أخرى، ولم يكن الأمر كما حدث يوم وجدتُ العملة الذهبية، ولم يكن بطريقة لطيفة، بل

كان جذباً وإلزاماً ملحاً، شعرتُ كما لو أن تلك الحظيرة أكبر حقل مغناطيسيّ في العالم، وأنني مجرد قطعة حديد بائسة تنجذب نحوه. لم أكن أنجذب جسدياً فقط، بل كنتُ أشعر بخليط من العواطف والمشاعر، ورغبت بالوصول إليها أكثر من أي شيء آخر. لقد كانت رغبتي شبيهة برغبة المقامر بالحصول على مقعد على طاولة اللعب، أو كما يرمي الجائع نفسه إلى طاولة طعام، لقد شعرتُ أن وصولي إلى تلك الحظيرة - والتواجد فيها في هذه اللحظة - هو شيء أساسيّ، وحاجة ضرورية، وهو سبب وجودي في هذه الحياة أصلاً، ولو أنني لم أصل إلى هناك الآن، فليس هناك سبب لعيشي، ربما يبدو هذا لك كطموح أو رغبة شهوانية شديدة، ولكن تذكّر أن الشيء الذي كان محور شهوتي هو حظيرة. وبينما كنتُ أضغط بقوة أكثر على دواسة الوقود، شعرتُ بالرعب يتدفق في دمي، وليس التستسترون.

توجهتُ نحو البوابة الكبيرة التي كانت الخيول تمر من تحتها في السابق، وهي تجرّ عربات محملة بسادة وسيدات من ذلك العصر. لن أقول إن محرك سيارتي كان يصرخ طلباً للنجدة، لأن ذلك المسكين المهترئ كان أشبه بخنزير يئن وهو على بعد قدم من المسلخ، كان يصدر أصواتاً كما لو أنه يعلم ما كان ينتظره. ربما تستطيع أن تكتشف أنني لم أمت بسبب الاصطدام، ولكن احتمالَ ذلك كان عالياً بالتأكيد، ولم أكن قادراً على إبعاد قدمي عن دواسة الوقود. ربما لو كان هناك مسافة إسفلتية أطول، كانت السيارة ستتسارع تدريجياً لتصل إلى مئة ميل بالساعة وقتَ الاصطدام، ولكنها كانت ثمانية

وخمسين فقط. هناك فيلم قديم عن رجل مقطوع اليد، تسكنه روح خارقة للطبيعة ذات نوايا شريرة، وقد تذكرتُ هذه اللقطة في تلك اللحظة لأن قدمي الغبية، وعلى الرغم من أنها لا تزال مرتبطة بساقي، لكنها بدت وكأنها تمتلك تحكماً مستقلاً عني. على الرغم من حقيقة أن السيارة قد ألزمتني الاصطدام بالحظيرة، إلا أنني تمكنتُ من رفع قدمي في الثانية الأخيرة عن دواسة الوقود، وضغط دواسة الكابح. بدا جلياً أن ذلك الباب الخشبي الكبير عانى من العفن الجاف على مدار سنوات طويلة، حيث خرجت منه سُحب من الغبار بالإضافة إلى الآلاف من الشظايا الصغيرة. ولأن قدمي كانت تضغط على دواسة الكابح بقوة، فقد تسبب ذلك بدوران السيارة وهي تصطدم بباب الحظيرة. سمع أحد الرجال الضجة الصادرة، فرفع مسدّسه، وأطلق النار على سيارتي، حيث مرت الطلقة من الزجاج الأمامي جهة المقعد بجانب السائق. صدمته سيارة التويوتا المتحركة في مكانها بقوة كافية فأسقطته، وعندما أكملت التويوتا دورة كاملة في مكانها، ظهر رجل آخر أمامي يحمل مسدساً بكلتي يديه، وشرع يطلق النار باتجاهي، حتى تحطّمت طبقة زجاج الأمان. فعاودت الضغط على دواسة الوقود، ولكن هذه المرة بكامل إرادتي، ومن خلال سيطرتي الكاملة على حركات أطرافي. يفترض بك أن تكون قد عرفت أنني لست بشخص سريع الغضب، ولا أقوم باستخدام العنف عندما أكون المسيطر الأول على أطرافي، ولكن مع ذلك، هناك حدّاً للانتهاكات والإساءات التي يستطيع الشخص أن يتحملها خلال يوم واحد. على الرغم من أن المسافة الفاصلة بيني وبين مطلق النار لا تسمح للسيارة بأن تتسارع لدرجة كبيرة، ولكنني

صدمته بقوة كافية لرفعه من قدميه، وحمله عبر الحظيرة، ثم ضربه في جدار أقل عفناً بكثير مقارنة مع الباب.

حاول ذلك المسلّح الذي فقد سلاحه، وأصبح محتجزاً بين السيارة والجدار، أن يفتح فمه ليحتجّ ويقول شيئاً ما، ولكن بدلاً من ذلك تدفق الدم من فمه معلناً أنه ميت بدلاً من الكلمات.

فتحتُ باب السائق، وترجلت من السيارة، وتوجهت إلى الخلف، وسيطر عليّ شعور بأنني سأتقيأ، يمكن لجون ويك أن يقتل عشرة رجال في دقيقتين من دون أن ترمش له عين أو يشعر بالأسف لذلك، ولكنه كان قاتلاً محترفاً بالطبع، أما أنا فكنث مجرد كاتب مقالات في إحدى المجلات التي كان أكثر شيء مثير فيها هو علامة التعجب في اسمها.

لم يسبق لي أن قتلت أحداً، وعلى الرغم من أن تصرفي مبرّرٌ تماماً، فلقد فعلتُ ذلك بغرض الدفاع عن النفس، إلّا أنني شعرتُ ببرودة في جميع أطرافي، ولكنني لم أتقيأ في النهاية.

تذكرتُ الرجل الأول الذي صدمتُه عندما دارت السيارة حول نفسها، ذلك الشخص الذي أطلق النار على المقعد المجاور للسائق.

لقد كان ملقى على الأرض، ولكن ذلك لا يعني أنه لا يشكّل تهديداً. دنوت منه في الوقت الذي تسارعت فيه دقات قلبي، وارتجف جسمي بالكامل، وسيطر عليّ الذهول. وجدتُه مستلقياً ووجهه إلى الأسفل، وكان رأسه مفتولاً إلى جهة محددة وملطخاً بالدماء، ولكنني لم أكن واثقاً من أنه ميت.

كان مسدسه قريباً منه، لذلك أخذتُه لأضمن أنه لن يستخدمه في حال استعاد وعيه. جثوث إلى جانبه، وجسستُ نبضه، فلم أشعر بأي نبض، وبعد أن أجريث فحصاً دقيقاً وسريعاً وشاملاً رأيث أن رقبته مكسورة. واجهث صعوبة في الوقوف على قدمي، وبقيث أترنح قليلاً بعد أن وقفت. تساءلتُ وأنا أتأمل تلك الجثة عن تلك المغناطيسية العظيمة، هل أملكها؟ أم هل أنا مجرد دمية موصولة بخيطان يتم التحكم بها؟

عندها فقط انتبهث إلى أن الرجلين يرتديان بذلتين سوداوين وقميصين أبيضين ويعقدان ربطي عنق سوداوين. يبدو أنهما يتعاملان مع نفس خياط أولئك الرجال الذين جاؤوا بينما كنتُ أتناول الغداء. كنت على وشك البحث في جيوب الرجل عن بطاقة الهوية عندما سمعتُ أصوات طقطقة وحشرجة، أمسكت المسدس بكلتا يديّ بالطريقة نفسها التي رأيت بها هؤلاء البلطجية يمسكون به، وقمت بجولة في أرجاء الحظيرة.

كان هناك بعض الضوء بداخلها بفعل أشعة الضوء القليلة التي تدخل عبر فتحة الباب المخلوع، بالإضافة إلى أشعة الشمس القادمة من فتحات السقف، ولكنّ الحظيرة ككلٍّ كانت مظلمة، وكنتُ بحاجة إلى ثوانٍ لتتأقلم عيناي، وأستطيع العثور على مصدر الخشخشة. كانت جالسة على أرضية الحظيرة، وظهرها إلى السلّم المعدني، وكلتا ذراعيها مرفوعتين فوق رأسها، ومربوطتين بحبل نحو السلّم. كان السلّم متهالكاً، وعندما تقوم بإصدار تمتمات أو تحركات معينة في نومها تصدر هذه الدرجات أصواتاً عالية.

لم أستطع رؤية المرأة بوضوح بسبب الظلام، ولكن بالنظر إلى بداية الأحداث الحاصلة في هذا المكان، وإطلاق النار عليّ، افترضت أنها لم تكن نائمة بل مخدرة. توجهت بسرعة إلى سيارتي، وتخلصتُ من المسدس، ثم فتحتُ حقيبتي، وأخرجتُ المقصّ الصغير من مجموعة الحلاقة.

عندما عدتُ إلى المرأة كان رأسها متدلياً وقد لامس ذقنها صدرها، وكانت تتمتم تكراراً: "يجب أن أذهب، يجب أن أذهب، كان يفترض بي أن أصل بحلول هذا الوقت"، كما لو أنها تأخرت عن أمر مهم. قطعتُ الحبل عن يدها اليسرى ثم اليمنى، وفي اللحظة التي قطعتُ فيها الحبل الثاني أمسكت وجهي بيدها اليمنى، وأعملت أظافرها في خدي الأيسر قائلة: "ماذا فعلتَ له؟ ماذا فعلتَ له؟".

نظراً لأنها كانت تعصر وجهي بيدها، بالكاد كانت إجابتي مفهومة، حتى أنا لم أتمكن من فهم ما قلتُه تماماً: "فعلتُ لِمَن؟".

كانت عيناها تتألقان أكثر وأكثر مع اشتداد حدتها، وقالت: "قل لي ماذا فعلتَ به أيها الوحش النازيّ غريب الأطوار".

أفلتتني، ووقفت على قدميها، وكادت أن تقع، ولكنها استطاعت المحافظة على توازنها في النهاية. نظرت عبر الفتحة - حيث سبق للباب أن كان موجوداً - إلى الخارج، ورأت التويوتا والرجل الميت على الأرض بجانبها، ثم عاودت النظر إليّ بوجه مفعم بالمشاعر قائلة: "ماذا فعلتَ له؟ أين سباركي؟".

إذا كانت تمر بلحظات عصيبة وسيطر عليها الجنون قليلاً، ففي

الحقيقة لم أكن أفضل منها بكثير، قلتُ: "لم أرَ أي كلب".

"كلب؟ كلب؟ كلب؟"، كانت تنظر إليّ كما لو قلتُ إنني أنا نفسي الكلب، ثم قالت: "ما الذي تقوله؟ أي كلب؟".

"سباركي، لا بد أنه فزع، وهرب بعيداً بعد أن سمع أصوات إطلاق الرصاص واصطدام السيارة".

لم تكن هذه المرأة غاضبة، بل كانت تستشيط غضباً. خطت نحوي، ثم ضربتني بقوة على صدري قائلةً: "لا تحاول أن تلعب معي أيها الحثالة، ماذا؟ كلب؟ أنت تعلم أنه ليس كلباً".

"كل ما أعلمه هو أن كليهما أطلقا النار عليّ، ولم يسبق لأحد أن أطلق النار عليّ، ولم تدرّبني الراهبات على ذلك، على الرغم من أنني تعرضت للضرب على أيدي أولاد خسروا مسابقة التهجئة، لذلك توجب عليّ فعل ما فعلتُه وقمتُ بدهسهما بالسيارة".

بالنظر إلى حديثي عن إطلاق النار ومقارنته مع حالتها الحالية، كان يفترض بها أن تظهر شيئاً من الخوف، ولكن بدلاً من ذلك يبدو أن كلامي زاد من غضبها، لدرجة أنني اعتقدتُ أنني على وشك أن أشهد واحدة من حالات احتراق البشر الذاتي التي قرأتُ عنها في كتب الخيال الغريبة، لكمت صدري مجدداً مرة أخرى قائلةً: "سباركي رينكينغ جدي، ماذا فعلتَ لسباركي رينكيغ؟".

"لم أفعل له شيئاً، أنا لم أقابل سباركي رينكينغ أبداً، ولا أريد أن أقابله حيث يبدو أنه من الخطير أن تقابل شخصاً يدعى سباركي".

تفحّصتني بهدوء لدقيقة، ثم تفحّصت الحظيرة، ثم تفحّصتني مجدداً من رأسي حتى أخمص قدمي وقالت: "أين بذلتك؟".

"ليس لديّ بذلة؟".

"إذاً، أنت لستَ واحداً منهم؟".

"كيف يمكن أن أكون واحداً منهم إذا لم يكن لدي بذلة؟ عملهم وحياتهم بأكملها تتمحور حول البذلات، أنت تعلمين من هم أليس كذلك؟".

"أجل، أعلم من هم، جهاز الأمن الداخلي الأوغاد الوحوش"، ثم فجأة، أدارت ظهرها وركضت باتجاه الخارج إلى فتحة الباب، فركضتُ خلفها وقلت: "إلى أين أنت ذاهبة؟".

"أعتقد أنني أعلم ماذا فعلوا بجدي سباركي".

| 6 |

قبل ساعة من الغروب، تسلّلت أشعة الشمس البرتقالية عبر النوافذ الملوّنة، وأحدثت ظلالاً على الأرض، حوّلت تلك الظلال المزرعة من ركامٍ إلى مزيجٍ غريبٍ من الأشكال، لقد بدت مثل صخرة ميغاليتية، انبثقت من الأرض منذ ملايين السنوات كي تؤمّن مكاناً لعبادة الآلهة الظالمة.

ركنث سيارتان خلف الحظيرة: الأولى كانت سابوربان سوداء جديدة تحمل لوحة حكومية، والأخرى كانت بويك كحلية وأقدم من سيارتي التويوتا.

"في البدء أتيا سيراً على الأقدام، وباغتانا ثم جلبا سيارة السابوربان. كنا على ثقة من أنهما لن يعثرا علينا هنا".

فتحت حفيدة سباركي رينكينغ صندوق سيارة البويك. في ذلك الصندوق، قبع رجل في الستين من عمره، وقد قُيِّدت يداه ومعصماه بواسطة لاصق بلاستيكي، ورُبِطَت يداه بقدميه بواسطة حبل.

صرخ قائلاً: "بريجيت، ظننتك متِّ بعد كل تلك الأصوات والطلقات النارية. أنا مسرور لأنك ما زلت على قيد الحياة".

قالت له: "وأنا أيضاً".

استخدمث مقصّي كي أفكّ قيده كما سبق لي أن فعلت مع قيدها، كانت عضلاته متقلصة، واحتاج إلى مساعدة كي يخرج من الصندوق.

سأل: "ما اسمك أيها الفتى؟".

"كوين كويكسيلفر".

"إنه اسم صعب اللفظ... وخصوصاً للخنزير بوركي في برامج الأطفال. تشرّفت بلقائك يا كوين".

"الشرف لي يا سيد رينكينغ".

"ادعني سباركي. إن جذره سبياركا وتعني بالإنكليزية القديمة: الاستعداد والانطلاق. أنا أبذل قصارى جهدي كي أستحق اسمي. مَنْ أصيب؟".

"لا أحد. صوَّب رجلا جهاز الأمن الداخلي سلاحيهما نحوي، ولكنهما أخفقا".

قالت بريجيت: "دهسهما بسيارته التويوتا، أتصدق ذلك؟".

تمدّد سباركي، ومشى جيئة وذهاباً ثم قال: "إذا أردت أن تمتهن دهس الأشخاص، فعليك أن تشتري سيارة أقوى من هذه".

لم يسبق لي أن اختبرت علاقة الحفيد بجده، ولكنني اعتقدتُ أن سباركي لم يكن جَداً تقليدياً. كانت بشرة وجهه مجعدة وخصوصاً عند عينيه، وشعره أشيَب بالطبع، أما شاربه فكان أبيض كثيفاً يشبه شارب الفيلسوف نيتشيه. كان هناك شيء ناشز عن مظهره الاعتيادي: كان على شحمتَي أذنيه المتضخمتين وشمان لجمجمتين مبتسمتين.

مسح عينيه الرماديتين، وعاين المزرعة التي بدأ الظلام يخيم

عليها في ظل الضوء الخافت، وقال: "نحن ممتنّان لحركاتك التي تشبه حركات بروس ويليس يا فتى، ولكن، كيف وصلتَ إلى هنا؟"

"أتيت من فينيكس. أنا أعمل كاتب مقالات في مجلة أريزونا!".

علت وجهه ملامح الشك، حيث رفع حاجبه، وأغمض عينه الأخرى، وهذا دليل على أنه قد يعرف أنني تجاهلت سؤاله. "أحقاً هذا؟ هل تكتب عن هذا المكبّ؟".

"لا يا سيدي، لقد أتيت إلى هنا لسبب محدد".

"ألا وهو؟".

رفعت كتفيّ وقلت: "لسبب معين".

ألح عليّ وسأل: "ألا وهو؟".

"لن تصدّقني إن قلت لك".

"أنا عجوز بسيط ومؤمن وساذج. جربني".

"ظاهرة الجاذبية المغناطيسية".

نظر سباركي إلى بريجيت.

بدوري نظرت إلى بريجيت؛ شعرتُ أنها المرة الأولى التي أراها فيها من دون وجود أيّ أحد يطلق النار عليّ، ومن دون أن أكون منهمكاً بدهس أيّ شخصٍ. كانت جميلة ولطيفة، لطالما استلطفت الأشياء التي عليها فرو إذ كانت تجعلني أشعر بالرضى الداخلي، ولكن بريجيت لم يكن عليها فرو، إلا أنني شعرت كما لو كنت مارشملو

تذوب على عصا فوق نار التخييم.

قالا لي معاً بعد أن تبادلا النظرات: "ظاهرة الجاذبية المغناطيسية؟"، ورمقتني بريجيت بنظرة متفحّصة. استناداً إلى الطريقة التي قلبت فيها عينيها وإلى تنهيدة التعب التي أطلقتها فقد ظنّتني مختلاً أو وغداً.

ركّزت اهتمامي على جدها وقلت: "أتعني الجاذبية المغناطيسية لك شيئاً؟".

"بالطبع".

"لا أفهمها أبداً".

قال: "ستصبح جلية بمرور الوقت".

"ماذا كنتما تفعلان هنا؟ لماذا أنتما في مكان ناءٍ كهذا؟".

أجابني سباركي قائلاً: "أتينا لنختبئ عدة أيام ريثما نسوّي أمورنا، ولكن للأسف، لقد تمّ العثور علينا".

"ما هي الأمور التي تريدان تسويتها؟".

"سأخبرك لاحقاً يا كوين، علينا أن نهرب الآن. أعتقد أنك لن تستطيع دهس جميع رجال الدعم عندما يتربّصون بك كقطيع من الذئاب".

قالت بريجيت: "ستتهشّم سيارتك".

"أجل، كما أن هنالك رجلاً ميتاً على مقدمة السيارة".

قال سباركي: "ستأتي معنا، فأنت يمكنك القيادة، هناك الكثير من الأمور لنناقشها".

"سأجلب حقيبتي". توجهت إلى مقدمة الحظيرة، ولكنني توقفت، ونظرت إليهما ثم قلت: "إن كان بحوزتكما هاتف فلا بد أنهم عثروا عليكما من خلاله".

قالت بريجيت: "نحن أعقل من هذا، لدينا هاتف قديم، وسيارتنا أقدم من أن تحتوي على جهاز تحديد مواقع عالمي".

قلت: "لا بد أنها لوحة السيارة، كل سيارة شرطة أو مركبة حكومية مزودة بماسح لوحة بزاوية 360 درجة. ينقلون المعلومات بعدها إلى مركز بيانات يوتا التابع لوكالة الأمن الوطني بسرعة البرق. من أين قدمتما؟".

قالت: "من فلاغستاف".

"لا بد أن لوحة السيارة مُسِحت عدة مرات على الطريق. لعلهم عاينوا الفيديوهات في الأرشيف لآخر مرة تم مسح اللوحة فيها".

رمقاني بنظرة دهشة وإعجاب بثقافتي المرورية، وكأنه تمت تربيتي من قبل رجال عصابة بدلاً من الراهبات.

"سأنتزع اللوحة التي كانت على سيارة البورش في المرأب وأبدلها بلوحتكما. هذا ليس حلاً دائماً، ولكنه سينقذنا لبعض الوقت".

عادا معي إلى الحظيرة كي يحضرا أمتعتهما ومعداتهما وفرشتيهما من مخزن التبن، حيث قررا أن يمكثا لعدة أيام حتى يسوّيا أمورهما.

لم يكن لسيارة التويوتا زجاج أمامي، وكان أحد إطاراتها مثقوباً، أضف إلى ذلك أن البنزين كان يتسرب منها. عندما جلست خلف المقود، بدا لي أن العميل الميت الذي علق بين السيارة والجدار كان يشتم.

شعرت بالرغبة بالتقيؤ، لم أعلم نية هذين العميلين تجاه بريجيت، ولكنني لم أكن ساذجاً لأصدق أنهما أتيا بسبب أحكام قد كتبت في أمر تفتيش مسبوك. شاهدت كثيراً من الأفلام عن المافيا لأعلم أن الرجال المقيدين والملقى بهم في صناديق السيارات كالجد سباركي، ينتهي بهم المطاف إما مسحوقين مع السيارة أو مقتولين بالرصاص في موقع بناء، ثم يُلقَى بهم في حفرة عميقة تحت أكوام الإسمنت المخصص لبناء شركة لرجل أعمال. لم أصبح لامبالياً بالعنف تماماً، ولكن يمكنكم القول إنني تأقلمت مع الطبيعة المظلمة الحقيقية لهذا العالم القاسي أسرع مما كنت سأتأقلم معه في حال اكتفيت بكتابة تاريخ ولايتنا الحافل لصالح مجلة أريزونا!

لم تستجب السيارة. عمل محركها بعد أن اهتزّ وكحكح. حرّكْث السيارة، فسقط الرجل الميت على أرض المزرعة وبعيداً عن الأنظار. تطلّبت مني إزالة لوحة سيارة البورش بضع دقائق.

عندما حزمت أمتعتي، كانت بريجيت تغلق حقيبة مفتوحة في صندوق سيارة البويك.

وقف سباركي إلى جانبها، ووضع مسدساً في قرابه عند الجهة اليمنى من خصره.

سمعت نفسي أقول له: "لديك مسدس"، وكأنني أخبره بشيء لا يعرفه.

"كان يجب أن أحمله عندما باغتنا هذان الوغدان. اعتقدت أننا بخير هنا"، أمسك بسترة رياضية وأضاف: "تهاونت في الأمر كثيراً، كان يفترض بي أن أتذكر أن ما من أحد آمناً في هذه البلاد".

جلست بريجيت في المقعد الأمامي بينما جلس سباركي في المقعد الخلفي، وقدت بعيداً عن المزرعة بسيارة البويك التي وضعت عليها لوحة البورش. لامست الشمس الأفق كصفار البيض، ثم ساد لون الشفق البنفسجي الأرجاء، وتبعه لون الظلام المائل للحمرة الذي يفضّله كل بحار كما يقال.

في غضون ست ساعات، تحولت من جائع يتناول الطعام في مطعم إلى هارب من العدالة ومطلوب من قبل أشبه منظمة بالشرطة السرية في نيويورك. سيتم تجريمي بقتل شخصين، ولكنني كنت أدافع عن نفسي نتيجة ظاهرة الجاذبية المغناطيسية التي جرّتني لإنقاذ فتاة يافعة وجدها، لم أعلم بوجودهما إلى أن قدت سبعين ميلاً، واقتحمت حظيرة كي أنقذهما.

| 7 |

تفيد الشائعات أن جهاز الأمن الداخلي يملك عملاء ودعماً أكثر من مكتب التحقيقات الفيدرالي، ولكنها لم تكن سوى محض توقعات إعلامية، لكن بغض النظر عن الحقيقة، لم يعانِ جهاز الأمن الداخلي من نقص في القوة العاملة وكانت ثاني أكبر مدينة متمركزين فيها هي فينيكس لا محالة. لا بد أن الدعم في طريقه إلى المزرعة براً وجواً بواسطة مروحية.

لأن سيارة بويك القديمة كانت تجلب الشبهة، تجاوزنا في جنوب ويكنبورغ الطريق السريع 60 بين الولايات - الذي سيسلكه جهاز الأمن الداخلي أثناء قدومه من فينيكس - وسلكنا شرقاً طريق الولاية 74. كان علينا أن نتجاوز عدة ضواحٍ لنصل إلى المدينة - سكوتسديل، تيمب - عن طريق شبكة شوارع لنصل إلى التقاطع 10 الذي يتجه جنوباً نحو تاكسون.

قلت لهما إنه تم التخلي عني وأنا رضيع فربّتني الراهبات، وأخبرتهما أيضاً أنني أخطّط للذهاب إلى بيبتو لأبحث عن أصولي.

قال سباركي قبل أن أشرح المزيد: "ليست لدينا خطة، ونحن عالقون في هذا المأزق معاً. نريد أن نشاركك خطتك إن لم يكن لديك مانع".

عاينت بريجيت مطولاً لدرجة أن البويك ارتطمت بحافة الطريق وطالبني المقود أن أتحكم بالأمر.

"حسناً هذا ممتاز. نحن معاً في هذا الوضع الذي لا أعرف ماهيته".

أراد كل من سباركي وبريجيت معرفة متى تعقّبني جهاز الأمن الداخلي، وكيف هربت منهم، لذا أخبرتهما عن بداية يومي عندما كنت أتناول شطيرة اللحم بالجبن، وكيف انتهى بي المطاف أمام باب الحظيرة العفن.

أخيراً سألتهما: "متى أصبحتما تحت أنظارهم؟".

تحدث سباركي من المقعد الخلفي قائلاً: "في الأول من أمس. كان لدينا منزل جميل في غابة صنوبر مساحتها خمسة فدادين في فلاغستاف".

قالت بريجيت: "اعتاد غزالان أن ينظرا من نوافذنا؛ لقد كانا في غاية اللطف".

قال سباركي: "اعتادا أن يأتيا كل يوم تقريباً، أطلقنا عليهما اسمي كوميت وكيوبيد".

قالت: "دونير وبليتزين".

قال: "كان لدينا سنجابان يأكلان من أيدينا".

قالت: "سامسون وديلايلا".

قال: "لقد كان هناك ثعلب مسالم، اعتاد أن يجلس على كرسيه الهزاز على الشرفة بجانب كرسيّينا".

قالت: "أطلقنا عليه اسم كاري غرانت، لأنه كان أنيقاً ولبقاً، فممثلو

هذا الجيل ليسوا بأناقة ممثّلي الزمن الجميل".

قال: "في البداية، كانت اللّبوة مخيفة".

خالَفَته الرأي إذ قالت: "لم تكن مخيفة يوماً يا سباركي، لقد كانت متعالية وحسب"، تنهدت بريجيت وأردفت: "كانت الملكية على حدود فلاغستاف جنتنا الصغيرة".

قال سباركي: "في الأول من أمس، كنت وبريجيت نتناول الفطور عندما ركنت سيارتا بويك سابوربان أمام منزلنا وترجّل منهما ثمانية رجال يرتدون بذلات سوداء".

قالت بريجيت: "كان المشهد يشبه كورساً ضمن مسرحية موسيقية عن مديري الجنائز".

قال سباركي: "طرقوا بابنا، وطلبت منهم أن يغادروا. قالوا إنهم عملاء لجهاز الأمن الداخلي، ومع ذلك طلبت منهم مجدداً أن يغادروا".

نظرت إلى سباركي من خلال مرآة النافذة الجانبية، وتبيّنت ملامحه من خلال الضوء الأمامي لحافلة تعبر بجانبنا. بدا الضوء العابر وكأنه قناع ينكشف ليظهر تعابير الوجه الحقيقية.

قلت له: "هؤلاء الأشخاص لا يتقبلون الطرد، ربما كان هذا السبب الذي جعل الأمور تأخذ منحى مختلفاً بعد ذلك".

قال سباركي: "ليس مباشرة. كنا قد أنهينا إسدال ستائر النوافذ كي لا يروا منزلنا من الداخل عندما رنّ الهاتف. قالوا لنا إن لديهم أمراً

بالتفتيش. قلت لهم إن الأمر لا يعنيني بسبب وجود قضاة فاسدين في منظماتهم، فانزعجوا من هذا قليلاً. فكرت في أن أفتح الباب كي أعلم ما يريدون عندما أراد أحدهم أن يعرف ما طلبته بريجيت عبر الإنترنت. علمت حينها أننا في مأزق".

سألت بريجيت: "ماذا طلبتِ؟".

"تلك ذروة القصة. في البدء، قل له كيف جرت الأمور يا جدي".

بدا القمر وكأنه نقطة تنتظر الخط الذي سيكملها كعلامة تعجب ونحن نتجاوز الجبال الهيروغليفية.

صمت سباركي لوهلة وقال إن عائلة رينكينغ لم تكن اعتيادية.

"عندما رفضت إدخال أولئك الرجال، أخذوا ينادون علينا عبر مكبر الصوت. كانوا وقحين وهددونا أنهم سيحطمون الباب إن لم نستسلم ونخرج. كان من الممتع مراقبتهم وهم يحاولون اقتحام المنزل. إن أبوابنا مجهزة بأقفال فولاذية في كل إنش منها؛ سيمضون وقتاً طويلاً في محاولتهم فتح الباب ما لم يجلب أولئك الفاشيون المتأنقون مدقاً آلياً. بالطبع، كان بوسعهم أن يطلقوا النار على النوافذ، ولكن الزجاج المقاوم للرصاص سوف يتصدى لهم ما لم يكن بحوزتهم رصاص يخترق الدروع، ومثل هذا الرصاص لا يحملونه على خصورهم. نزلت وبريجيت إلى القبو، وعبرنا أقبية النبيذ، ثم فتحنا الباب السري، وتسللنا عبر نفق الهروب".

توقعت أن تكون الدهشة قد استنفدت لأسبوع على الأقل، ولكنني كنت مخطئاً، فقلت "هذا مدهش. لو لم تركن شاحنة توصيل هاري

القذر في الزقاق خلف المطعم لكانوا زجوا بي في سجن للقتلة المميزين. نجوت بأعجوبة. وعلى الجانب الآخر، لديكما زجاج مقاوم للرصاص وباب سري ونفق للهروب. هل أنتما من نجاة الحرب أو مكافحان أو شيء من هذا القبيل؟".

قالت بريجيت: "لا، لا، لا، ليس بهذا الابتذال. نحن واقعيان، ولكن جدي لديه ماضٍ حافل أليس كذلك؟".

اعترف قائلاً: "شيء من هذا القبيل. هنا وهناك وبين الفينة والأخرى. أنت تفهم قصدي".

"كان شيئاً وشيئاً آخر، ثم شيئاً آخر لا نتحدث عنه. أما في سن السادسة والثلاثين أي منذ ثلاثة وعشرين عاماً - وقبل مولدي بخمس سنوات - أصبح متعهداً".

أوضح لي سباركي: "متعهد بناء"، لعله اعتقد أنني سأظنه قاتلاً مأجوراً.

قالت بريجيت: "لاحظ جدي أننا بحاجة لنفق هروب عندما بلغت الرابعة من عمري. كان يمتلك وكالة أعمال بناء حينها، وطلب من العمال الذين يثق بهم أن يعملوا معه من دون إخبار المقاطعة".

قال سباركي: "عندما انتهينا من إعداد المنزل تنازلت لأولئك العمال عن الشركة كي يبقوا أفواههم مغلقة".

قالت بريجيت: "عندها أصبح بإمكان دافني لاركرايز أن تعمل من المنزل ولا تتركني في حال حدوث شيء خطير كهذا".

شعرت بالدوار من القيادة، وأنا أستوعب قصة سباركي رينكينغ، فقلت: "دافني لاركرايز؟ لقد سبق لي أن سمعت بهذا الاسم".

"بالطبع سمعت بالاسم. إن دافني لاركرايز أفضل كاتبة لروايات العشق في جيله".

صحّح لها سباركي قائلاً: "في جيلها".

"لقد أخطأت. إن صديقة أبي القديمة دافني لاركرايز هي الوجه الإعلامي، وهي تقوم بجميع المقابلات والحملات الإعلانية مقابل حصة خمسة وعشرين بالمئة من الأرباح، ولكن جدي هو المؤلف؛ إنه عبقري في الكتابة".

قال سباركي: "لا أقارن بجون غريشام أو توماس بينشون، ولكنني رومنسي منذ الأزل، حتى عندما كان هذا سيتسبب بقتلي عندما كنت شيئاً وشيئاً ثم شيئاً آخر لا نتحدث عنه".

نظرت إليه من المرآة الجانبية، ولكن لم يكن هناك ضوء أمامي ليكشف القناع عن وجهه وسألت: "إلى أين يؤدي نفق الهروب ذاك؟".

قالت بريجيت: "إنه يمرّ أسفل الحديقة الخلفية وعلى عمق مئتي قدم في الغابة، ثم إلى الصخرة الوهمية التي تشبه غطاء القنينة. أزحناها بالرافعة الهيدروليكية كي نستطيع الخروج".

قال سباركي: "مشينا من هناك مسافة نصف ميل عبر الغابة كي نصل إلى طريق القرية. أمتلك عقاراً آخر تحت اسم أورورا تيغاردين".

قالت بريجيت: "ومنذ أن بلغت الخامسة من عمري، وضعنا سيارة عادية هناك مع كل الحاجيات المطلوبة في حال اضطررنا للهرب".

كانت لديّ المئات من الأسئلة، ولكن سؤالين مهمين جداً تصدراها، فقلت: "حسناً، كانت لديكما خطة للهرب منذ أن بلغت بريجيت الرابعة أو الخامسة، فما الذي تهربان منه؟".

قال سباركي: "نحن لا نعلم، ولكنه من البديهي أن يريد أحد ما العثور عليها عاجلاً أم آجلاً. تبيّن الآن أن رجال جهاز الأمن الداخلي هم من يبحثون عنها، ولكنني متأكد من وجود جهات أخرى أغرب وأخطر".

"لِمَ كان ذلك بديهياً؟".

"لأنها فريدة".

سألت: "أستطيع رؤية أنها فريدة، ولكن ما الذي يميزها؟"، بدوت مسحوراً بها وغبياً أيضاً.

قال سباركي: "ستكتشف قريباً. من الأفضل أن تشهد تفرّدها بدلاً من أن أصفه لك".

الآن أصبحت أفهمهما بما يكفي لأعلم أنهما عندما يدخلان في دوامة الغموض سيكون الحديث مع الجدار أجدى.

طرحت سؤالي الثاني ووجهته إلى بريجيت، فأشرقت في ظلّ مصابيح الطريق وذكرتني بالإلهة الرومانية ديانا وكانت آلهة القمر والصيد. بالطبع، لم يسبق لي أن قابلت الإلهة ديانا، ولكنني رأيت

لوحات لها وهي تركض مع قطيع من الذئاب. لو كنت ذئباً وكانت بريجيت ديانا فلن أتردد في الركض معها تحت ضوء القمر. في هذه المرة، تمكنت من أن أتحكم بسيارة البويك، وأنا أسأل بريجيت: "ماذا فعلت حتى لفتّ نظر جهاز الأمن الداخلي؟".

قالت: "أظن لنفس السبب الذي جعلك تلفت نظرهم".

"ولكنني لم أفعل شيئاً. لقد دخلوا إلى المطعم ببساطة، في الوقت الذي كنت أتناول فيه طعام الغداء. أعتقد أنه من القانوني تناول شطيرة برغر مع جبنة وصلصة".

قال سباركي من المقعد الخلفي: "لقد بصقث في كوب".

ارتسمت على وجهي ملامح الدهشة لأنها لم تبدُ كهذا النوع من الفتيات فقلت: "بصقث في كوب؟ كوب مَن؟"

"كوبي؛ كان ذا فتحة على غطائه. وصل مع الأدوات بعد أن سجلت معلوماتي عبر الإنترنت".

كانت محقة فقد بصقث في كوب أيضاً، فقلت لها بحماسة: "لقد بصقثُ في كوبٍ أيضاً". شعرت أنني مرتبط معها في طقس مشترك، وتمنيت أن يشعرها هذا بالقرب مني، وإن كان ذلك يتعلق بموضوع الكوب.

قالت: "هذا كان في الماضي. كان كوبي من موقع تعرّف إلى نفسك".

"وكوبي أيضاً".

كان موقع تعرّف إلى نفسك منافساً لموقع الأسلاف. كوم و23 وأنا. كانوا يفحصون جيناتك ويخبرونك عن معلوماتك الشخصية: من أين أنت؟ ومن قريبك ومن لا؟ واحتمال إصابتك بمرض خطير، وكل المعلومات المفيدة.

قالت بريجيت: "أردت أن أعرف من كان والدي".

قلت لهما مجدداً: "لقد هُجِرتُ عندما كنت رضيعاً. لا أعرف لا والدي ولا والدتي. ربّتني الراهبات في دار الأيتام، ولكن لماذا أراد جهاز الأمن الداخلي أن يلاحقنا لأننا أردنا أن نعرف أصلنا؟ لدينا الحق في معرفة ذلك. ما علاقة الحكومة في ذلك؟".

قال سباركي: "هل وصلك تقرير الجينات؟".

"لا، لم يصلني".

قالت بريجيت: "ولا أنا. أرسلت الشركة تقاريرنا إلى جهاز الأمن الداخلي. إن الشابين اللذين قتلتهما في المزرعة شرحا الوضع لنا. أنا متأكدة أنك استُهدِفتَ للسبب ذاته".

"وما هو؟".

عندما وجّهَت عينيها الخضراوين إليّ حولتهما الأنوار إلى لون قريب وغريب من لون البحر، فقالت: "هناك سلاسل ليست بشرية في معلوماتي الجينية".

بدت وكأنها أفضل بشريّ خُلِق، فاحترت وشعرت بالخيبة أكثر من الخوف، فسألتها: "لستِ بشرية؟".

"أنا بشرية بالطبع، ولكنني أكثر من ذلك".

"كيف؟".

"هذا ما يريد جهاز الأمن الداخلي معرفته عني وعنك. أنت مثلي".

"أنا متأكد أنني بشريّ".

قال سباركي من حيث يجلس في المقعد الخلفي: "أنت بشريّ يا بني، ولكنك مثل بريجيت أكثر من ذلك، ولعلك بطيء في الاستيعاب وإظهار الأعراض".

قالت بريجيت: "أنت مختلف مثلي يا كوين كويكسيلفر، ولكن بطريقتك الخاصة. لديك ظاهرة الجاذبية المغناطيسية، وأنا لديّ... ما لديّ".

قال سباركي: "أسرع في القيادة. لا نريد أن يتعقبونا".

سمحت للبويك بأن تسير بسرعة معتدلة، زدت من سرعتي مع أنني شعرت أنني أتوجه إلى المجهول.

خطر في بالي احتمال مريب فسألت: "هل نشبه شخصيات فيلم قرية الملعونين؟ هل كان آباؤنا من المخلوقات الفضائية من مجرة أخرى؟".

قالت: "ربما، وربما شيء آخر. هذا ما يضعك في دوامة من الحيرة، أليس كذلك؟".

انحنى سباركي رينكينغ قليلاً، ووضع رأسه بين مقعدي ومقعد

حفيدته ثم قال: "كيف تقترح أن تعثر على أصولك في بيبتو؟".

"وجدني ثلاثة رجال منذ تسعة عشر عاماً في مهد على الطريق. كان اسمي وتاريخ ميلادي مكتوبَين على بطاقة صغيرة، وكان عمري ثلاثة أيام. عندما بدأت تلك الجاذبية توقعت أن أولئك الرجال قد شاهدوا شيئاً على الأقل - لربما يعرفون شيئاً أو شهدوا شيئاً - لم يخبروا مأمور المقاطعة به عندما أخذوني إليه".

"هل تشعر بانجذاب نحو بيبتو؟ أو هو مكان يجدر بك الذهاب إليه وحسب؟".

"لا أشعر بانجذاب نحوه، ولكن أين عساي أن أذهب؟".

قال سباركي: "حسناً، هيا بنا".

وافقته بريجيت: "هيا بنا".

اتجهنا إلى كيرفري ثم جنوباً إلى سكوتسديل، لقد أصبح القمر إلى يسارنا بعد أن كان أمامنا. إن كان هناك ذئاب تلحق بسيارتنا في ظلمة الليل، فعلى الأرجح هي ليست من البشر وليست تابعة لإلهتي بل تتعقّبها.

| 8 |

سواء أكنتُ نصفَ فضائيّ أو نصفَ شيءٍ آخر، إلا أنني كنت أشعر بالجوع، فقد كنت على وشك أن أُعتَقَل في الوقت الذي كنت أتناول فيه غدائي، وانهمكت بالفرار، وسرت خلف الجاذبية المغناطيسية كي أدهس رجلين بسيارتي، ولم تتسنَ لي الفرصة حتى لتناول وجبة خفيفة. كانت صحبة سباركي وبريجيت جيدة على الرغم من غرابة الظروف وحتى وإن كانا صامتين. لم يتكلما كثيراً منذ قطعنا الطريق المتعرج عبر سكوتسديل ثم تيمب حيث حكم شعب الهوهوكام طويلاً. كنت ورفيقاي بالرحلة نتساءل عن احتمال عودتنا إلى الحياة الطبيعية يوماً ما. كنا نعرف الجواب سلفاً - وهو كلا – لذا، يجب علينا أن نكفَّ عن التأمل ونأكل. تبيّن أنهما أرادا العشاء لا البحث عن الحياة الطبيعية لذا كنا متفقين. إذا اتجهنا مباشرة إلى بيبتو، فلن نصل إلا في حدود الساعة العاشرة مساء، وسيكون الوقت متأخراً لمقابلة هاكيم كاسبار وبيلي بيلشازير وسيزار ملكيزادك، لذا اتجهنا إلى التقاطع 10 وتجاوزنا تشاندلير إلى مخرج إحدى استراحات الشاحنات التي كانت بلدة بحدّ ذاتها. كان فيها حمامات، وأماكن للحلاقة، وللمسّاج، ويعمل فيها قسيس بدوام إضافي، وطاقم من الميكانيكيين المحترفين، وخدمات أخرى، بالإضافة إلى أرخبيل من الجزر ركنت فيه المقطورات ذات الثماني عشرة عجلة التي بدت كحيتان ضخمة، كما كان فيها غرف إقامة بسيطة ونظيفة، ومتجر هدايا، ومطعم.

كان المطعم كبيراً ودافئاً ولديه كبائن خاصة، وكراسٍ من الفينيل

الأحمر، والكثير من الزينة المصنوعة من الكروم. كان هناك بارٌ طويل عليه كراسٍ عالية وقوائم المطعم المكونة من أربع صفحات مغلفة بالبلاستيك، بالإضافة إلى موسيقى ريفية معتدلة الصوت. استطاعت النادلات أن يوازنّ العديد من الأطباق من كفوفهنّ إلى أكتافهنّ من دون أن يوقعْنَ طلباً، وسرْنَ بين ذلك الحشد بخفة وكأنهنّ في عرض مسرحي.

عندما أجلستنا المضيفة في كبينة - جلست بريجيت وسباركي على طرف وأنا على الطرف الآخر - ذهبت بريجيت إلى الحمام، وتركتني وحيداً مع جدها.

وضع قائمة المطعم وقال: "ربّتك الراهبات أليس كذلك؟".

"أجل، كنّ يعملْنَ في كنيسة بور كليرز".

"لماذا لم يتبنَّك أحدٌ؟".

"لم يرغب أحدٌ بي".

"أكنت صغيراً بشعاً ونزقاً؟".

"قيل لي إنني كنت وسيماً وسعيداً؟".

"ربما لم تحاول الراهبات كثيراً".

"درست لاثنتي عشرة سنة بالمجّان في المدرسة الكاثوليكية التي اخترتها، وحظيت بحفّاضات مجانية، وغفران جزئيّ".

" كان يجدر بهنّ أن يعطيْنَك سيارة جديدة".

"كان أحد أكبر داعميهن يمتلك وكالة فورد، ونظر إلي وقال إن السيارة لن تناسبني".

"هل سبّب لك ذلك الرفض كله رضًى نفسياً؟".

"على الإطلاق. كنت رضيعاً، ولم أعرف ما يدور حولي. كان همي الوحيد أن ألعق إصبعي".

انحنى على الطاولة، وثبتني بتلك النظرة الحادة ثم قال: "هل أنت متزن يا كوين من الناحيتين النفسية والعاطفية؟".

طمأنته قائلاً: "أنا أتفهم سؤالك. يمكنك الاعتماد عليّ في ظل هذا الوضع الصعب وملاحقة جهاز الأمن الداخلي لنا".

رفض تلك الفكرة عندما لوّح بيده قائلاً: "لم أقصد هذا، أريد أن أعرف إن كنت مؤهلاً للزواج من بريجيت".

نظرت إليه بدهشة؛ كان المغنّي الذي يصدح صوته عبر مكبرات الصوت يغني عن رغبته في قتل الشخص الذي قتل كلبه، وبدت الأغنية أكثر رومانسية من الطريقة التي طرح فيها سباركي موضوع الزواج.

عندما لم أعرف كيف أجيب، سألني: "ما الخطب؟".

ازدردت لعابي، ثم قلت له: "أربكتني".

"إنها كلمة لن أستخدمها في رواية رومنسية؛ فهي راقية جداً. لا يجدر بك أن تستخدمها في المجلة أيضاً. قل لي إنك محتار أو مندهش أو مشوش، قل أي شيء سوى كلمة أربكتني. هل لديك

حبيبة بالفعل؟".

"لا".

"هل تحب الفتيات؟".

"بالطبع، ولم أواعد سوى الفتيات، كل ما في الأمر هو أن الفتيات والفتيان أيضاً ليس لهم حديث سوى مواقع التواصل الاجتماعي واليوتيوب وكلام الشخصيات الإعلامية. ليس لدي ما يجمعني بهم في الحقيقة".

"لديك الكثير من القواسم المشتركة مع بريجيت. أنتما مطلوبان من لصوص الحكومة، ولديكما مورثات فضائية على الأرجح. ألا تعجبك؟".

"بالطبع تعجبني، أيعقل أن يراها أحد ولا يُعجَب بها؟ أحب شخصيتها، فهي مرحة وحذقة".

"أهذا كل ما لديك لتقوله؟ مرحة وحذقة؟".

"ماذا يمكنني أن أقول وأنا أتحدث إلى جدها".

قال: "احمرت وجنتاك. هذا لطيف".

"حسناً، حسناً، أعتقد أنها إلهة، إنها متألقة لدرجة أنني سأُصاب بالعمى إن نظرت إليها مطولاً".

ابتسم ابتسامة عريضة وقال: "هذه هي الروح المطلوبة. أحببت هذا".

"ولكننا تقابلنا للتو، ولا أظن أنني أعجبتها".

"إنها معجبة بك، فهي تنتظرك منذ سنتين".

"ما الذي تقوله؟".

"كانت تعلم أن عينيك ستكونان زرقاوين، وأنك ستنقذ حياتها بشكل من الأشكال بواسطة سيارة، ولكنها توقعتك أطول قامة، وتقود سيارة بورش وليس تويوتا".

قلت له: "أنا لست قصيراً، فطولي يبلغ خمس أقدام وأحد عشر إنشاً".

قال سباركي: "لا تُعلِّق على الأمر. فطولها خمس أقدام وستة إنشات؛ هناك تناسب في الطول".

عادت بريجيت من الحمام، وأتت النادلة لتسجل طلبات المشروبات - قهوة، وقهوة، وصودا على توت - ثم توجه سباركي إلى حمام الرجال.

قالت بريجيت: "إن وجنتيك محمرتان".

كذبت عليها وقلت: "ربما لأن المطعم دافئ".

لن يظهر الوحوش إلا بعد عشرين دقيقة - لم أعلم أنه سيكون هناك وحوشٌ - لذا كان لديّ وقت كافٍ لأغوص في حيرتي قبل أن تتحول إلى ذعر.

قالت لي: "يجدر بي أن أعتذر منك لأنني وصفتك في المزرعة

بالزومبي والفاشي".

طمأنتها قائلاً: "سبق لي أن وُصِفتُ بأفظع من ذلك"، وكان هذا صحيحاً، فالأوغاد الذين خسروا مسابقة التهجية في المدارس العامة كانوا قذري اللسان.

"كانت آثار الكلوروفورم الذي خدروني به تزول عني تدريجياً، وكنت قلقة على جدي. لم يكن لي أن أنعتك بالوغد عديم القيمة، كما أنني آسفة لأنني لكمتُ صدرك".

"لكمتك قوية".

"هل آلمتك؟".

كذبت عليها مجدداً وقلت: "لا، لكن لكمتك قوية".

"دلّى جدي كيس تدريب على الملاكمة من السقف، وعلّمني كيف أضرب أضلاع رجل، وأشرف على تدريبي بنفسه. توقف عن الملاكمة عندما كنت في الرابعة عشرة من عمري. كان مدرباً رائعاً".

كنت أتهيّب فكرة أن تذكر موضوع الزواج، ولم أرد أن أعجز عن الكلام أمامها فقلت: "لِمَ اختبأتما في مكان مثل المزرعة؟ أنتما من فلاغستاف، فكيف علمتما عن مكان مثل هذه المزرعة؟".

"سبق لها أن كانت منتجعاً جميلاً ومزرعة عمل، وليست مزرعة ضيوف وحسب، حيث كان بوسعك أن تحظى بأي تجربة تريدها. لقد أمضى فيها سباركي وجانيت شهر عسلهما، وهما يهتمان بالعجول ويروّضان الخيول المتمردة. كما كان هناك قسم لتربية الأفاعي. اعتاد

جدي وجدتي أن يستخلصا السم من الأفاعي كي يتم استخدامه في صنع الترياق. أليس هذا رائعاً؟ شهر عسل من نوع آخر".

قلت لها: "يناسب روايات دافني لاركرايز".

"كانت جدتي جانيت شيئاً مهماً، لم يسبق لي أن قابلتها، فقد توفيت قبل سنة من ولادتي. كان جدي أباً بديلاً مثالياً، ولكن فكرة الأم البديلة راقت لي جداً. لم تردني أمي الحقيقية كورين".

لم أستطع الكف عن النظر إليها حتى لو انفجر شيء في المطبخ واندلع إنذار الحريق، فسألتها: "كيف لأحد ما ألا يريدك؟"، سمعت نفسي ثم وضّحت بسرعة: "قصدت أنه كيف لها ألا تريدك؟".

"لم يستطع سباركي وجانيت أن ينجبا أطفالاً فتبنيا كورين عندما كانت في الرابعة من عمرها. تبين أن أم كورين كانت مسرفة في الشرب أو تتعاطى مخدرات، لذا لم تكن كورين متّزنة يوماً. كانت تسبب المشاكل في طفولتها وصباها، لكنها كانت جميلة جداً. لديّ صور لها. أعطتني لسباركي، وهربت بعد أسبوع من ولادتي، ولم يرها بعد ذلك. أبلغ عن فقدانها، ولكن السلطات لم تجد لها أثراً، كما أن المحققين الخاصين الثلاثة الذين عيّنهم سباركي للبحث عنها في أول سنتين غادرت فيهما، لم يستطيعوا إيجادها أيضاً، بدا وكأنها انتقلت من عالم إلى آخر.

ليس جميع الأطفال في الميتم مهجورين على الطريق عندما كان عمرهم ثلاثة أيام. انتهى المطاف بالبعض في دير ماتر ميسيركورديا بعد أن عرفوا الآباءَ الذين فقدوهم، أو الآباء الذين عنّفوهم أو فشلوا

في تربيتهم. خبّأ البعض جروحهم، ولكن البعض الآخر لم يستطيعوا ذلك. كنا عائلة كبيرة وسعيدة لأن الراهبات قدّمْنَ لنا حباً واهتماماً طائلين، ولكننا أدركنا أن سعادتنا كانت عبارة عن سفينة تجوب بحراً من المآسي.

قلت لها: "أن تعرفي اسم أمك وشكلها حتى ولو في الصور أصعب من أن تكون لغزاً مجهولاً. أنا آسف يا بريجيت، فهذا عبء ثقيل".

رفعت كتفيها قائلةً: "ولكنني لم أعرفها يوماً، فأنا لم أخسرها بعد أن أحببتها مثلاً".

لطالما استخدمت جملاً كهذه حيث كانت تساعدني على إخفاء المشاعر الجارحة.

فتحت منديلها ووضعته على حضنها ثم قالت: "ولكنني أعتقد أن الأمر دمّر جدي. كان يحبها على الرغم من تأزم وضعها، أضف إلى ذلك أنه فقد جانيت بسبب السرطان قبل فترة وجيزة".

قلت لها: "كان محظوظاً بوجودك في حياته، إنكِ نعمة غيّرت حياته تماماً"، سمعت نفسي مجدداً، ثم قلت: "أنا أقصد بالنسبة إلى أرمل لديه بنت ناكرة للجميل، فقد احتاج شخصاً ليعطيه هدفاً ليكمل حياته".

عاد سباركي من الحمام حينها، وأحضرت النادلة دارلين مشروباتنا. كانت امرأة مكتنزة ذات شعر بني في الأربعين من عمرها تقريباً. كان شعرها الكثيف مربوطاً بأناقة ويتوّج رأسها.

كان صوت دارلين رخيماً مثل مطربة، ومظهرها مثل مغنية رئيسية في الأوبرا، أما ثقتها فثقة مصارع ثيران. وصفت سباركي بالرجل، ووصفتني بفتى الكورال، ووصفت بريجيت بالملاك، وتفهّمت هذا تماماً. حذّرتنا دارلين من حساء الدجاج، واقترحت علينا شطائر اللحم مع كولسلو وشرائح البصل المقلي والبطاطا المقلية ثم دوّنت طلباتنا.

بعد أن غادرتنا دارلين على أمل أن تلقانا بعد عشر دقائق قال سباركي: "هل تعرفتما إلى بعضكما؟".

قلت له: "أنا آسف لما حصل مع جانيت وكورين".

قال: "يمكنك أن تسمح للفقدان أن يدمرك كما يمكنك أن تتأقلم مع الوضع بتخليد ما حصل قبل الفقدان. إن الفقدان يهدّ كيانك، إلا أن بقاءك على تلك الحال يشير إلى اقتناعك بأنك على معرفة بالغيب، وأنت لست كذلك"، نظر إلى بريجيت وأكمل حديثه قائلاً: "إن طوله خمس أقدام وأحد عشر إنشاً هل يناسبك هذا؟".

وضعت يدها على كتفه وربتت عليها، ثم قالت: "إنه مثالي يا جدي. في الواقع، لقد كنت قلقة من أن يكون بطول لاعب كرة سلة ونجذب أنظار الجميع أينما اتجهنا"، ابتسمت لي وقالت: "أفهم من هذا أن جدي أخبرك أنني أنتظر قدومك منذ سنتين".

تحوّل لون عينيها إلى الأزرق الكاريبي، ووجدت نفسي أغوص فيهما، فقلت: "آه... إم... ماذا لو كان ذلك الفتى... الفتى الذي تتنبئين بقدومه... ماذا لو لم يكن أنا؟".

"إنها ليس نبوءة بل هي استشراف للمستقبل، وأنا واثقة من أنك الشخص المقصود، وإذا أخذنا بعين الاعتبار ظروف لقائنا وماهيتنا في عين الاعتبار، فكيف لا تكون أنت؟".

"ولكننا لا نعرف من نحن تماماً".

عبست وقالت: "هذا ما أقصده تماماً، أنا متأكدة أنك مَنِ انتظرته منذ سنتين، وهذا قدرنا، ولعلك أنت الذي لديك شكوك حيال الأمر".

لم يعطني سباركي فرصة لأستوعب الأمر فقال: "كوين واثق من الأمر، ولكن الحظّ لم يحالفه في موضوع الفتيات. إنه يفقد الثقة في نفسه حيال المواضيع الرومانسية. إن دافني لاركرايز تعرف نوعه تماماً، إنه يشبه كيني تالبوت في تأمين الحب".

قالت بريجيت: "عشقت تلك الشخصية".

قال سباركي: "إنه خجول ككيني، ويفتقر إلى الثقة بالنفس، ولعله متواضع جدّاً، ولكن إمكانياته رائعة".

سألتهما: "أتلاحظان وجودي؟".

قالت بريجيت: "بالطبع، هذا ما يعجبني بك. أنت موجود دائماً، ولست منغمساً في ذاتك أو تائهاً في مكان ما، وهذه عملة نادرة في هذه الأيام، ومع أنني قابلتك اليوم، ولكنني أشعر أنني أعرفك منذ سنوات".

شهد سباركي اللحظة التي أخذت فيها بالتأقلم على غرابة وضعنا، كما شهد لحظة تلاشي ذلك الارتباك، وتحوله إلى دهشة مبهجة. حوّل

أسلوبه من مشجع للرومانسية إلى أب بديل لديه بعض المخاوف. عبس وكانت نظرته حادة عندما قال: "أنت تعلم يا كوين أنه لن يتم الزواج قبل أن نخبر مياه النهر العاتية ونفهم كل تقلباتها قبل أن نصل إلى المياه الراكدة".

أخذت دور الخاطب المسؤول الذي لا يحمل سوى النوايا الشريفة وتلك كانت الحقيقة وأجبته: "بالطبع".

"ولا علاقة قبل الزواج".

ارتسمت على بريجيت ملامح الخجل، ولكنها كانت حادة كالسيف عندما قالت: "بالطبع لا، وكما قالت دافني لاركرايز إن المتعة المؤجلة متعة لا مثيل لها".

خاطبني سباركي: "كوين؟".

قلت له عندما نظر إليّ نظرة ثاقبة: "أنا أتفق معها تماماً، تذكر أنني ترعرعت على أيدي الراهبات".

"أنا أتذكر هذا تماماً، ولكنني أنبهك كي لا تنسى".

قلت له: "هذا شيء لا يمكن نسيانه، إن كنت لا تريد أن تمضي أسبوعاً في تقشير البطاطا".

عندها وصل الوحشان.

| 9 |

في البدء، لم ألحظ أنهما من صنف الوحوش، فقد بدوَا شابَّين في العشرين من عمرهما حليقي الذقن يرتادان إحدى جامعات رابطة اللبلاب. كانا من النوع الذي يرتاد مدارس خاصة منذ عمر السنتين، ويتعلم القراءة عن طريق مجلة جي. كيو. انتعل الأشقر كونفرس، وارتدى بنطال جينز أسود وسترة بولو مع معطف يصل إلى ركبتيه، بينما انتعل صديقه حذاءً أصفر فاقعاً وارتدى بذلة رمادية وسترة بيضاء وصفراء، وكان يحمل حقيبة مرقّطة بالأسود والأحمر. حاولت المضيفة أن تجلسهما بالقرب منا، ولكنهما اختارا المقعد في نهاية الصالة بجانب باب المطبخ المتأرجح. لم يدل مظهرهما على أنهما اعتادا أن يجلسا قرب المطبخ، ولكنهما أصرّا على المضيفة.

قالت بريجيت بصوت منخفض: "إنذار صارخ يا جدي".

همس سباركي: "لا تنظر إليهما يا كوين، إنهما يثيران المشاكل".

جاب الشابان المطعم بتعالٍ، فتساءلت كيف يشعر أمثالهما، أي عندما يكون الشخص واثقاً من نفسه في كل المجالات، ومتأكداً من تفوقه؛ لم تخدمني مخيلتي في هذا التخمين.

"لا نعرف ما الذي يسعى إليه هذا النوع، ونحن نخشى أنهما يسعيان وراء بريجيت".

لم أعد أنظر إلى الشابين اللذين لحقا بالمضيفة.

مدت بريجيت يدها وقالت: "أعطني يدك".

كان الإمساك بيدها أفضل من تلقي الضربات منها.

رفعت صوتها، وبدّلت نبرتها قائلةً: "إن أريزونا بيلمور هو المكان المثالي لحفلنا. أجل إنه مكلف جداً، ولكن إن أصرّ جدي على الدفع...".

قال سباركي: "سأتكفل بالأمر بالطبع، ستتزوج حفيدتي الوحيدة من ابن صديقي المقرب في ذكرى زواجي. هل هناك شيء أكثر رومنسية من هذا؟ يذكّرني هذا بأيام الصبا والعشق؛ إنه شعور لا يقدر بثمن".

لاحظت بطرف عيني أن الشابين تمهّلا عندما مرّا بنا، وكأنهما يعاينانا عن كثب.

قلت بصوت مرتفع: "يرضيني ما يرضيك يا حبيبتي"، حوّلت ابتسامتي لسباركي وقلت: "لقد غمرني لطفك يا سيدي. غمرني تماماً".

ابتعد الشابان عنا، فتجرأت ونظرت إليهما، ثم رأيت اليد اليمنى للّذي يحمل الحقيبة؛ لم تعد يده بشرية.

لم يكن على الأصابع الستة مفاصل، وأصبحت تشبه مِجَسّات رمادية وملتوية. لبرهة، لمعت مخالب حادة ثم اختفت، وكأنها لم توجد أصلاً. بدت اليد واضحة المعالم وعديمة الشكل في الوقت ذاته، وكأنها تتحول من أداة إلى سلاح فتاك بناء على رغبة ذلك المخلوق.

أحكمت قبضتي على يد بريجيت، وهذا ما فعلته بدورها، وسألتني: "أتراها؟".

"أجل"، نظرتُ إلى ظهرَي الشابين.

يشبه هذان الوحشان الأطياف اللئيمة التي نراها في الأحلام التي تراودنا ويعود أصلها لأجيال سابقة؛ تتصاعد تلك الأحلام من خيالنا البدائي. جابا المطعم، وجلسا إلى الطاولة بجانب المطبخ. كانا يفتقدان إلى كل ما يمتّ إلى الوجوه بصلة. قالت بريجيت لجدها إنذار صارخ. لقد فهمت لماذا استخدمت مفردة صارخ. بدا على الوحشين أنهما يستعدان للصراخ في أي لحظة، ولكن لم يصدر عنهما أي صوت. لم يكن لديهما أنفان أو أعين أو آذان ظاهرة على ما يفترض أن يكونا وجهيهما. كان لديهما فمان شاحبان مفتوحان على وسعيهما مشكّلَين حلقتين مفرغتين تشبهان فمَي دودتين شريطيّتين. لم أستطع أن أجزم تماماً عن بعد، ولكنني أعتقد أن هناك عضوين شنيعين يزحفان باستمرار ضمن هاتين الفتحتين، وكأنهما متلهفان للالتهام.

عندما تفحصا قائمة الطعام، تبدلت شخصيتاهما من إنسانين إلى وحشين ثم إلى إنسانين مجدداً، وحدث هذا بتناغم مع الضربات البطيئة لقلب فضائي. إن التعابير التي ارتسمت على وجهيهما، عبّرت عن احتقارهما للجنس البشري، وكأنهما يعتبران أن البشر يرفضون طبيعتهما الفاسدة على الرغم من كونها مرآة لغاياتهما ودوافعهما التي تفوقهما فساداً. كلما راقبت الوحشين اتضح شرهما أكثر. بمرور الوقت تأقلمت مع منظرهما، وكأنني أعرف هذا النوع منذ نعومة

أظفاري. جمّدت تلك المعلومة الدم في عروقي.

كانت نظرتي إلى العالم تمر بتقلبات مزلزلة. هل كنت أطبّق أوهام البالغين على كل حقيقة عرفتها في صغري؟ لم أشعر أنني أنتقل إلى عالم جديد على الرغم من الأحداث الغريبة المتتالية، وعلى الرغم من الاستسلام المتهور للقوى الخفية. شعرت أنني دخلت العالم الذي عرفته طوال حياتي، حيث كانت الوحوش حقيقية، ولم تكن من نسج الخيال، وحيث هناك حرب قاسية وسرية بين جيشين يرتديان عباءات الإخفاء، والأهم من ذلك، حيث النصر لا يتلخّص باستعمار ملكيات. كانت أرض المعركة هي القلب البشري، وغنائم الحرب هي الروح. عندما تركت بريجيت يدي، توقعت أن أرى المخلوقين بحلّتيهما السابقتين، ولكنهما استمرا بالتقلب بين البشر والوحوش. لم أكن واثقاً من أن بريجيت قد مرّرت لي القدرة على أن أكشف قناعيهما أم أن قدرتي قد تطورت من دون مساعدتها.

أياً يكن الأمر، عندما نظرت إلى سباركي قال لي: "أنا لست مثلكما مهما كنتما، لا أستطيع رؤية ماهيتهما الحقيقية، ولكنني أصدق بريجيت عندما تتحدث عن تلك الوحوش".

تعرّقت قليلاً وقلت: "ما هذه المخلوقات بحق الرب؟".

قالت بريجيت: "لا أدري. لم يسبق لي أن رأيت واحداً منهم إلا منذ سنتين، وبعد ذلك أصبحت أراهم بكثرة. جرت حادثة مع أحدهم منذ عدة أشهر".

"ما هي تلك الحادثة؟".

قالت بدلاً من أن تشرح: "لعلهم من عالم آخر، أو بُعدٍ آخر أو جيلٍ آخر، أياً يكن الأمر، أنا متأكدة من أن وجودهم ليس طارئاً، فهم يتحركون بيننا منذ فترة طويلة".

حتى لو كانت أحداث ذلك اليوم مريبة، إلا أنها حملت بين طياتها متعة المغامرة التي لطالما تقت إليها بصفتي شخصاً يجلس في مكتب مجلة وترعرع في ميتم. وفجأة، تحولت المتعة إلى ضرب من الغباء والمغامرة إلى محاولة انتحار.

وصلت دارلين تحمل أطباقنا على طول ذراعها اليسرى. وضعت بيدها اليمنى شطائرنا من دون أن تريق صلصة أو قطعة بطاطا، وقالت: "استمتعوا بوقتكم أيها الأعزاء، وسأعود بعد قليل لأجدد مشروباتكم".

اعتقدتُ أن الوحشين سدّا شهيتي، ولكن حتى الرجال المحكوم عليهم بالإعدام يتناولون عشاء دسماً قبل الحقنة المميتة مع أنهم على دراية تامة بموتهم الحتميّ. إن الطبيعة البشرية ترفض الاعتراف بحتمية الموت، وما كنا لنستمر إلا بهذه الطريقة. تصاعدت رائحة الشطائر الشهية، كنت قد أنهيت شطيرتين قبل أن تأتي دارلين، وبيدها إبريق من القهوة وصودا التوت بيدها الأخرى، فطلبت أنا ورفيقي شطائر أخرى.

ابتسمت دارلين لنا وقالت: "أحب الذين يدركون قيمة الطعام، يطلب البعض سلطتهم من دون صلصة، وبطاطا من دون زبدة، ويطلب بعضهم الآخر شطائر نباتية. أعتقد أنه يجدر بهم توفير

نقودهم والتوجه إلى الحقول والمراعي ليرعوا العشب".

قالت بريجيت: "لم نأكل هنا منذ مدة. ألا زال هوزي الشيف الرئيسي؟ أعتقد أن اسمه كان هوزي أو هوان أو جو وحسب".

"سبق لهوزي أن عمل هنا، كان جيداً، ولكن الشيف الآن واحدة منا – بالوما - إنها تفوق هوزي مهارة، ألا تعتقدون ذلك؟".

صفقت بريجيت بسرور وقالت: "فتاة تطبخ في استراحة شاحنات".

قالت دارلين: "لم أتوقع أن أشهد مثل هذا التغيير بسبب السُّلطة الذكورية على هذا المكان".

لم أفهم لماذا اهتمّت بريجيت بأمر الشيف في الوقت الذي يوجد وحشان في الصالة.

قلت لهما عندما غادَرَتنا دارلين: "إذاً، الصارخان، أليس كذلك؟".

"ليس بسبب فميهما المفتوحين فقط. تذكرت لوحة الصرخة لإدوارد مونش في المرة الأولى التي قابلت واحداً من نوعهم. إن تلك المخلوقات تخيفني، ولكنني أظن أن لديها جانباً يائساً. إن لم يصدر صوت عن صرخاتها، فستستبدل الصرخة بعواء كراهية يدل على جنون قاتم، وكأن جميع المرضى النفسيين في المصح يصيحون في آنٍ واحد".

لعقت الصلصة عن أصابعي بروح رجل يتحضر للإعدام بعد إنهاء الحلوى، وحاولت أن أجد المتعة في كل ذرة طعام متبقية، وسألت:

"ماذا يريدان؟ وماذا يفعلان؟".

قال سباركي: "لا نعلم ولا نفضل أن نعلم، وكنا سنعلم يوماً ما لم يلاحظ أحدهما بريجيت ويرينا حقيقة نوعهم.

توقفت عن لعق أصابعي: "أهذا ممكن؟".

"لِمَ لا؟".

"وبعد ذلك؟".

"لا شيء مبشّر، لذلك علينا أن نتظاهر بالجهل".

فكرت في كلامه مع أنني لم أفضل ذلك. أياً يكن الأمر فقد فقدت شهيتي.

قلت لهما: "بالمناسبة، كان تمثيلكما رائعاً في ما يخص حفل الزواج. أتمنى أن أكون بسلاستكما. أنا آسف على ارتباكي".

أنزلت بريجيت ما تبقى من شطيرتها الثانية، ومسحت أصابعها بمنديل كالبالغين. لقد رأت ما يكفي من الصارخين على ما يبدو لدرجة أنها لم ترتعد من قناعة أنه سوف يتم تقطيعها إرباً من قبل ديدان ضخمة لديها أيد خبيثة. توقعتها أن تستعرض أحداث تلك الحادثة، ولكن المنديل سقط من يدها، وتجمدت في مكانها، وثبّتت نظرها على شيء بعيد كبعد زُحَل.

على الرغم من أن سباركي لم ينزل شطيرته، ولكنه توقف عن تناولها، وقال: "يا لحظنا!".

لم أستفسر عن هذا. لقد حصل دماغي اليوم على حاجته من الأحداث الغريبة والمخيفة. بالطبع كان لديّ مخزون إضافي، ولكنني لم أرد أن أحمّله أحداثاً مريبة.

بعد عشرين ثانية، دبّت الحياة في بريجيت، مع أن تعابيرها ظلت مظلمة، ولكنها نظرت إلى جدها قائلةً: "سيقتلان الكثير من الأشخاص".

لم أسأل شيئاً، ولكن سباركي توقع أنني سألت فقال: "إنها تقصد الصارخين".

قالت: "إنهما مسلحان وينتظران، عندما يصل المطعم إلى ذروة الازدحام، سيبدآن بإطلاق النار، ستحصل مجزرة".

كنا نعيش في فترة عصيبة، حيث شاع حدوث المجازر التي لا تقتصر على إطلاق النار فقط. ففي بعض الأحيان كان يُلجَأ إلى المتفجرات أو يُلقَى بالمولوتوف على حشد في كنيسة أو معبد يهودي. ومن وقت إلى آخر، كانت الطائرات تصطدم بالمباني أو تحرف سكة قطار عمداً أو تضرم النيران في بعض أحياء البلدة عن طريق البترول. ادّعى المنفذون أنهم يخدمون قضية نبيلة وعادلة.

على مر التاريخ، كانت المجتمعات المستقرة تشهد أحداثاً يحركها النرجسيون الواثقون بقضيتهم، الذين يعتنقون أيديولوجيات مجنونة تهدد الأغلبية العاقلة التي سرعان ما تهاب العنف في ظل تصاعد الجنون، لم يبدُ أن أحداً تعلم من التاريخ أو اكترث له، لعلنا ننجو من هذا الظلام الحالك الحالي، ولكن حقيقة الأمر استدعت أن

أطلب صحناً آخر من الشطائر- التي أحضرته دارلين لتوها - ولعلني سأحظى بطبق حلوى في حال كان الأخير قبل مماتي.

تناولت بريجيت شطيرتها الثانية التي تركتها.

سألتها: "ماذا؟ هل راودتك نبوءة؟".

"لا تراودني نبوءات؛ أنا أستشرف المستقبل. أنا أشعر أو أكوّن انطباعاً ولكنه يكون محدداً"، أبعدت الصحن القديم لتفسح مجالاً للصحن الجديد مكملةً حديثها: "لدينا وقت كافٍ للاستمتاع بهذه الشطائر، ولكن علينا أن نتحرك قبل أن نحظى بشطيرة الكريما والموز".

عندما عاود سباركي تناول الطعام قلت: "ولكن...".

سألت بريجيت: "ماذا يا عزيزي؟".

"أليس علينا الاتصال بالشرطة؟".

قالت: "لن يجدي ذلك نفعاً، سيظنون أنه مقلب، وفي حال أتوا، فسيبدأ الصارخان بإطلاق النار على الفور".

"أليس علينا أن نحذّر الموجودين؟".

قال سباركي: "النتيجة واحدة يا بني. في هذه الحالة نسرّع حدوث المجزرة. في اللحظة التي ننبه فيها أحداً، سيبدأ الصارخان بتنفيذ المجزرة".

"ولكن...".

سألت بريجيت مع أنها كانت تمضغ: "ماذا يا عزيزي؟".

"لا، لا يفترض بنا أن نترك الأشخاص يلقون حتفهم".

قال سباركي: "بالطبع لا".

سألت: "إذاً، ماذا سنفعل؟".

قالت بريجيت: "سنقتل الصارخَين".

"هل يمكن قتلهما؟".

قالت: "بالطبع. سبق لنا أقتلنا منهم".

خمّنتُ قائلاً: "في تلك الحادثة".

قال سباركي: "تماماً".

| 10 |

هناك قصة مفادها أن الشياطين انتشلت من الإنسان، وألقي بها في قطيع من الخنازير التي ركضت إلى البحر، وغرقت جميعها. لم أكن ولا بريجيت ولا سباركي نملك القوة أو الخنازير أو بحراً قريباً لننفّذ تلك الطريقة مع الشيطانين اللذين جلسا في استراحة للشاحنات. تصورت المعركة التي توشك على الحدوث، ورأيت نفسي ميتاً بالرصاص، وقد ثُقِب جسدي بالطلقات، وأنزلق مع قطع البطاطا وكريما الفطائر.

أنا لا أقلل من قيمة أي حالة وفاة، ولكن في ما يخص وفاتي أظن أنني سأعتبرها - أنا متأكد من أنها ستكون جريمة قتل شنيعة - غريبة ومضحكة جداً. في النهاية، إن معدن الإنسان خليط من التراجيديا والكوميديا. إن الذين لا يفهمون الجوانب المضحكة، يعجزون عن فهم الجوانب المريعة، لذا يخفقون في فهم الحياة. لعلها نعمة، ولكنني لا أعتقد ذلك، إنهم يقولون إن الجهل نعمة، ولكنني أعتقد أنه أصل التصرفات المتطرفة التي إما تتلخص في حياة مملة بلا طعم ولا لون أو باستسلام تام للحمق بشكل أو بآخر.

أكل كلٌّ منا شطيرته الصغيرة، وتمنى لو كانت أكبر.

أكلنا بصمت في ظل وجود صارخين قاتلين ينتظران اللحظة المناسبة للقضاء على جميع الموجودين. لم يكن لدينا وقت كافٍ كي ننهي عشاءنا، ونتناقش في الرقص التعبيري أو أي موضوع آخر يناقش في ظروف غير مشحونة.

مسحت بريجيت يديها بالمنديل، ثم طوته بأناقة، ووضعته بجانب صحنها، ثم قالت: "منطقياً، علينا مغادرة المطعم عن طريق المطبخ. عندما نصل إلى نهاية الصالة، ستتصاعد شكوك الوحشين".

"أنت تعتقدين أنهما يستطيعان معرفة ما إن كنا نراهما أم لا؟".

قال سباركي: "هذا ممكن، ولكنني لا أعتقد أنهما يستطيعان تحديد من يراهما تماماً".

قالت بريجيت: "أياً يكن الأمر، إن هذا النوع مشكّك إلى حدّ كبير. إذا نظرت إلى أحدهم باشمئزاز، فسرعان ما سيقوم برد فعل عنيف، علينا أن نقوم بعرض مسرحي. أتعلم بماذا أفكر يا جدي؟".

قال سباركي: "ببالوما".

"بما أننا لن نتوقف بجانب المحاسب، فدعنا نترك مبلغاً من المال مع بقشيش. لا نريد أن نغضب دارلين حيث إننا سنفسد ليلتها في كل الأحوال".

قلت لهما: "ما نوع هذا العرض المسرحي؟ وما دوري؟".

قال سباركي وهو يعدّ المال: "عليك أن تظلّ قريباً منّا، ولا تقل شيئاً وخصوصاً حبيبتي".

قالت بريجيت: "سننتظر إلى أن ترافق المضيفة الزبائن إلى نهاية الصالة. استعد لأن نتحرك بسرعة، فالوقت من ذهب في حالتنا هذه".

كان سباركي وبريجيت هادئين تماماً، أما أنا فكنت أدعو أن أخرج من هذا العرض قطعةً واحدةً، فقلث: "إن المكان يعجّ بالزبائن

ومعظم الطاولات محجوزة".

أمسكت بريجيت بحقيبتها الكبيرة، ثم فتحتها قائلةً: "لدينا ما يكفي من الوقت".

"هل أنت واثقة؟".

"ما لم أكن واثقة، كنت ستراني أهرب إلى المخرج، وأصرخ مثل فتاة صغيرة".

نبهتها قائلاً: "ربما أنا من سيهرب صارخاً".

مرت دقيقة، ولم أجعل من نفسي مهزلة.

عندما رافقت المضيفة زوجاً يافعاً إلى وسط الصالة بدلاً من الكبائن الطويلة، وضعت بريجيت حقيبتها على كتفها، وتحركت إلى نهاية المقعد، ثم قالت: "انتظرا... انتظرا... الآن".

خرجت من الكبينة، ولحق بها سباركي، ثم لحقت به. حاولت أن أقنع نفسي أن هناك غاية مهمة من حياتي، فإن لم يأكلني حيوان وأنا في مهدي، فلن تقتلني دودتان كبيرتان في مطعم استراحة أريزونا للشاحنات أثناء تناولي الشطائر.

درست بريجيت خطواتها بعناية تامة، وكأن ليس لديها غاية أخرى سوى سؤال المضيفة، إن أكثر الوحوش شكوكاً ما كان ليلحظ أنها كانت تضع يدها اليمنى في حقيبتها، وهي تقترب من تلك الطاولة المشؤومة.

سألت بصوت مرتفع وهي تلوّح بيدها: "من فضلك، هل بالوما في

المطبخ اليوم؟"، همّت المضيفة لأن تقف كي تجيبها، ولكن بريجيت حثتها على المشي من دون أن تثير الشبهات، وأردفت: "لا، لا، أنا لا أريد أن أقاطعك، ولكنني صديقة بالوما، هل لي بأن أدخل المطبخ كي أخبرها أن طعامها رائع؟".

على الرغم من أن المضيفة قالت إنه ممنوع على العامة الدخول إلى المطبخ، إلا أن بريجيت شكرتها بصوت عالٍ كي يسمع هدفاها: "يا إلهي! هذا لطف بالغ منك! إن بالوما كنز. سأعود في لمح البصر".

عندما اقتربتا من الطاولة الفارغة في نهاية الصالة، تركت بريجيت المضيفة، ومشت إلى مدخل المطبخ. لحق بها سباركي، ولكنه وقف بجانبها عندما وصلت إلى الصارخين، وانتشل المسدس من معطفه في الوقت الذي انتشلت فيه مسدسها من حقيبتها. أخرج أحد الصارخَين مسدسه من حقيبته المرقطة تحت مجلة مفتوحة وشرع الآخر يسحب سلاحه من معطفه، ولكنهما كانا متأخرين كثيراً.

سبّب الهجوم المباغت الذي شنّه سباركي وبريجيت على الصارخين هلعاً في المطعم؛ تطايرت الأطباق، وسقطت أدوات المطبخ على الأرض، واهتزت بعض الكراسي، وتصاعدت صرخات الهلع عندما سارع الناس للمغادرة من أقرب مخرج. كانت هذه طبيعة جيلنا الرائجة، فجميع الناس كانوا على أهبّة تامة لحدوث أي شيء فظيع.

ترك سباركي وبريجيت الكائنين الميتين، ومشيا إلى الباب المتأرجح المفتوح، واختفيا في المطبخ.

عندما مررت بالمخلوقين الغريبين لاحظت أنهما توقفا عن التحول بين شابين جامعيين إلى دودتين مقزّزتين والعكس.

حُصِر جسداهما في الحالة الإنسانية، ولو كنا سنحاكم على قتلهما، فلن يكون هذا الشيء لصالحنا. كنت سأشك أنني قد رأيت الوحشين ما لم أرَ سلاحيهما والصحف الإضافية التي كانت في الحقيبة المرقطة. كان السلاحان دليلاً قاطعاً على غاياتهما، وأنهما حقيقيان وليسا من نسج الخيال.

سارعت في الدخول عبر الباب المتأرجح، ورأيت رفيقيّ يخرجان من نهاية المطبخ، عايَنَنَا طاقم العمل، وطغت على ملامحهم تعابير الاستغراب أكثر من الخوف. لقد طغت قرقعة أدوات المطبخ تقريباً على أصوات إطلاق النار.

دخل طاقم العمل المشغول في حالة دهشة تامة حيال اقتحامنا المفاجئ لدرجة يمكنكم القول إنهم ارتبكوا، مع أنني سأتعرّض لانتقاد لأنني أستخدم تلك الكلمة.

تسللنا تحت جنح الظلام إلى نهاية المبنى الذي امتد على عدة فدادين. لاحظت أن بريجيت كانت مشرقة أكثر من أي وقت مضى، ولم أفرّقها عن الإلهة الرومانية ديانا. كانت رشيقة ومرنة على الرغم من الشطائر الكثيرة التي تناولتها، ولكن الركض معها تحت ضوء القمر لم يكن رومنسياً ولا شاعرياً كما تخيلت.

لم أتوقع أننا سنصل إلى مرأب السيارات من دون أن يلحق بنا أحد، ولن نركب البويك قبل أن يوقفنا حرس الاستراحة. أخذ سباركي

المفاتيح مني، وقال إنه سيتولى أمر القيادة، وطلب من بريجيت أن تجلس في الأمام. جلست في المقعد الخلفي لألتقط أنفاسي، واختبأت تحت النافذة في حال كان هناك صارخون في الجوار يتربّصون بنا.

في الأيام الخوالي

الفتى، والأب، والنمل

كان ليتون أورموند صديقي المقرب في الميتم، ولم يعرف أحد اسمه الحقيقي سوى الراهبات وأنا. لم أعرف اسمه حتى أصبح زميلي في الغرفة لمدة سنة. عاش معنا تحت اسم بيتر كليفر الذي اختارته له الراهبات لأسباب واضحة لهنّ. كان بيتر كليفر القديس الذي أطعم الرّقّ الأفارقة في كولومبيا - وناضل في سبيل حريتهم - خلال القرن السابع عشر. كان بيتر أو ليتون في التاسعة عندما أتى إلى ماتر ميسيركورديا. كان يكبرني بعام، واهتمّ بي لمدة ثلاث سنوات، وكأنه أخي الأكبر. لم يكن قوياً أو صلباً، ولكنه كان متزناً وشجاعاً.

أخيراً، عندما شاركني قصته ذات ليلة لم نستطع النوم فيها، أصابتني دهشة تامة، تحولت إلى احترام بالغ لتأقلمه مع أحداث مروعة لم أتخيل أنه يمكنني تحملها يوماً. كما تأكدت من صحتها لأنها نشرت في الأخبار في العام السابق.

كان كوربيت أورموند يضرب النساء. في شهر أيار من السنة التي بلغ فيها ليتون الثامنة من عمره، غادرت أمه روكسان المنزل، وتقدمت بدعوى طلاق، ثم انتقلت للعيش مع والديها مارك ولورا رولينز.

استشاط كوربيت غضباً مع أنه لم يعرقل الطلاق أو يهدد زوجته، حتى إنه أعطاها الوصاية التامة على ابنهما، وكأن الأمر لم يعنِ له

شيئاً. كان سريع الغضب، ولديه روح الانتقام، ولكنه كان صبوراً وماكراً، لم يتواصل مع زوجته السابقة أو ابنه لمدة ستة أشهر، وهذا ما أعطاهما شعوراً بالأمان. في يوم عيد الشكر حين اجتمعت روكسان مع أخيها وأختها والأولاد في منزل رولينز لتناول المأدبة السنوية، نفّذ كوربيت انتقامه المنتظر.

قتل سبعة بالغين وأربعة أطفال ولم يبقَ سوى ليتون على قيد الحياة.

أجبر ليتون على الوقوف في المجزرة بدلاً من أن يأخذه معه، وقال له: "هذا حدث بسببك يا ليتون. كَتَبْتَ نهايتهم عندما اخترتَ العيش مع أمك بدلاً مني. والآن، عِش مع عذاب الضمير يا فتى". عرفنا ذلك لأن كوربيت ترك مقطع فيديو يضمّ عبارات غاضبة وعشوائية، ولكنها مخيفة لدرجة أن الأخبار قد وصلت لدرجة من الانحراف في استغلال ذلك المقطع. كما أصرت على إعطائه لقب "البيان الرسمي" لكوربيت مع أنه كان عبارة عن ثرثرة جنونية.

اتصل ليتون بالشرطة.

كان كوربيت هارباً من العدالة، ويبثّ الذعر في العروق، فارتأى اتحاد رعاية الأطفال ألا يبقى ليتون لدى عائلة متبناة أكثر من عدة أسابيع.

تنقل لأشهر بين بيت وآخر إلى أن جاء إلى الميتم تحت اسم جديد.

أخبرني قصته لمرة واحدة فقط، إذ اتفقنا بشكل ضمنيّ على ألا

نعاود التحدث في الموضوع. أتذكر نبرة صوته عندما قال لي قصته: لم يتطبّع صوته لا بالذعر أو بالأسى أو بالغضب أو بالحقد، بل كان خافتاً وخاشعاً كصوت الراهبات أثناء الصلوات.

تساءلت أحياناً لماذا اختارني من بين جميع أطفال الميتم ليثق بي، وبالنظر إلى المنعطف الذي أخذته حياتي، تساءلت إن تنبأ أنني سأواجه تلك الأرواح العنيفة التي تهدد سلامنا وآمالنا.

في بعض الليالي، كان يبكي في نومه، ولكنه لم يندب حظه وهو مستيقظ. إلا أن أحلامه أجبرته على البكاء والصراخ بذعر.

قبل أن يصبح زميلي في الغرفة، كان نومي خفيفاً لأنني كنت مسكوناً بفكرة أن هناك شيئاً يستهدفني في نومي، ولا يستطيع أذيتي سوى في الظلام.

كنت أقرّب الكرسي في ظلّ الضوء الخافت إلى سرير ليتون لأراقبه حين تراوده الكوابيس. لاحظت أنه بوسعي أن أهمس له برقة من دون أن أوقظه كي أوصله إلى برّ الأمان ليحظى بنوم هانئ.

في تلك الأثناء، أطلق كوربيت أورموند لحيته، وحلق شعره، وغيّر اسمه، وعمل في تجارة المخدرات. صنع حياة جديدة لنفسه، ولكنه لم يصنع رجلاً جديداً. لم يستخدم المخدرات التي تاجر بها حيث كانت مخدراته الخاصة هي الغضب والسخط، ولم تعرف الشرطة كيف اكتشف كوربيت ملجأ ابنه.

كان ماتر ميسيركورديا يحتل زاوية في نهاية الشارع ويقابله في الزاوية الأخرى متجر بيليني الإيطالي. سمح لنا بمصروف متواضع

كي نشتري الحلوى أو البسكويت أو أي شيء من بيليني شريطة أن ترافقنا إحدى الراهبات.

كانت الأخت مارغريت قد اصطحبت أربعة أطفال إلى متجر بيليني يوم وقوع الحادثة. كنت ممتناً لأنني لم أكن معهم ولكن ليتون كان. خمّنّا لاحقاً أن كوربيت كان يراقب الميتم لأنه تبعهم إلى المتجر.

كان الأطفال يضعون مشترياتهم قرب صندوق المحاسبة عندما اقترب كوربيت وسأل: "من ضاجعت الساقطة أمك في غيابي؟". عندما أدار ليتون الذي يبلغ من العمر اثني عشر عاماً وجهه لينظر إلى أبيه قال كوربيت: "أنت لا تشبهني". وأطلق النار على الفتى الذي مات فوراً، ثم صوّب المسدس على الأخت مارغريت الصهباء. كانت الأخت مارغريت رقيقة بقدر ما كانت خجولة، كما كانت يافعة ومخلصة، ولكنها تجهل التصرف في مثل تلك الظروف وكأنها قطة صغيرة شاردة. كان ابن المالك مايكل بيليني يقف خلف طاولة البيع حيث كانوا يخبّئون مسدساً يستخدمونه في حال حدوث سرقة، فكان أسرع من كوربيت في إطلاق النار، وأوقف القاتل عند حده، وحال دون أن تكون الأخت مارغريت ضحية أخرى.

خيّم ظلام روحي دامس على ماتر ميسيركورديا، ودخل الجميع في حالة دهشة. إن القلوب والعقول تشفى مع الوقت وهذه نعمة للبشر. كانت عملية التماثل للشفاء بطيئة بالنسبة إليّ ودخلت أنا - أسعد الأطفال - للمرة الأولى في حالة اكتئاب. لم أستطع أن أفهم لِمَاذا حصلت أقسى أنواع العنف مع أرقّ الفتيان، وكيف صُمِّم هذا

العالم ليسمح بذلك. كنت يائساً ومجرداً من الأمل وكئيباً.

لم تستطع الأخت تيريزا التي حازت على شهادة دكتوراه في الطب النفسي أن تستخدم أساليبها معي أو أن تهدئ من روعي بمعرفتها ونظرياتها. كانت تنزعج مني مع أن صبرها لم يكن له حدود. غطى لونها الداكن الذي تنافى مع طبيعتها البيضاء معظم احمرارها، ولكن ملامح الانزعاج لم تفتني.

عندما أتيت إلى مكتبها في الموعد المحدد بعد مرور أسابيع، اكتشفت أنها جلبت مستعمرة نمل: جلبت صندوقاً زجاجيّاً طوله قدمان وعرضه أربع أقدام يمكننا أن نراقب الكائنات الدقيقة من خلاله. كان لديها دي في دي وثائقي عن النمل وعدة كتب عنه.

"سنقوم بدراسة النمل هذا الأسبوع لمدة ساعات وساعات وكل يوم سوية وفي نفس الوقت بمفردك".

سألتها: "لماذا؟".

"جواب هذا السؤال يقع على عاتقك يا كوين، فأنت فتى ذكي بالنسبة إلى أقرانك، وأنا واثقة أن الصحوة ستأتيك عاجلاً وليس آجلاً".

قلت لها بلا مبالاة: "ولكنه نمل وحسب".

"وبالنسبة إلى النمل، أنت مجرد قدم".

عبست وسألتها: "قدم؟".

"إن هذا ما يراه النمل منك، وأنت على وشك أن تدهسه، ولكنك

أكثر من مجرد قدم أليس كذلك؟".

درسنا أموراً متنوعة عن مملكة النمل: عمارة مستعمرات النمل وتنظيمها، والطبقات التي ينقسم إليها النمل، والمهام التي تُوزَّع على النمل. كما درسنا عن الملكة المجنحة، والعاملات غير المجنحات، والذكور الآلية التي خُلقت للتزاوج والموت، والنمل الذي يؤمّن المؤن.

والنمل المحارب.

لاحظت بفضل النمل أن كل شيء في العالم مهما يكن متواضعاً أكثر تعقيداً وسحراً مما يبدو.

ولكن الدروس التي علمني إياها النمل، لم تعالج اكتئابي. كنت أنام نوم البائسين الطويل عندما لا أدرس عن النمل.

عندما اكتفت الأخت تيريزا من دراسة النمل سألتني ما إن كنت أريد أن أصبح نملة.

قلت لها: "لا".

"لِمَ لا؟".

"لا يفعل النمل شيئاً سوى العمل".

سألتني: "أهذا هو عذرك؟ ألا تريد أن تصبح نملة لأنها تعمل كثيراً؟".

"أجل، كما أنني سأعيش في خوف من أن تدهسني قدم طفل".

تنحنحت الأخت تيريزا وقالت: "حسناً، أنت حالة صعبة يا كوين كويكسيلفر، ولكننا سنعالجك يوماً ما. سندرس الطيور في المرة القادمة".

القسم الثاني

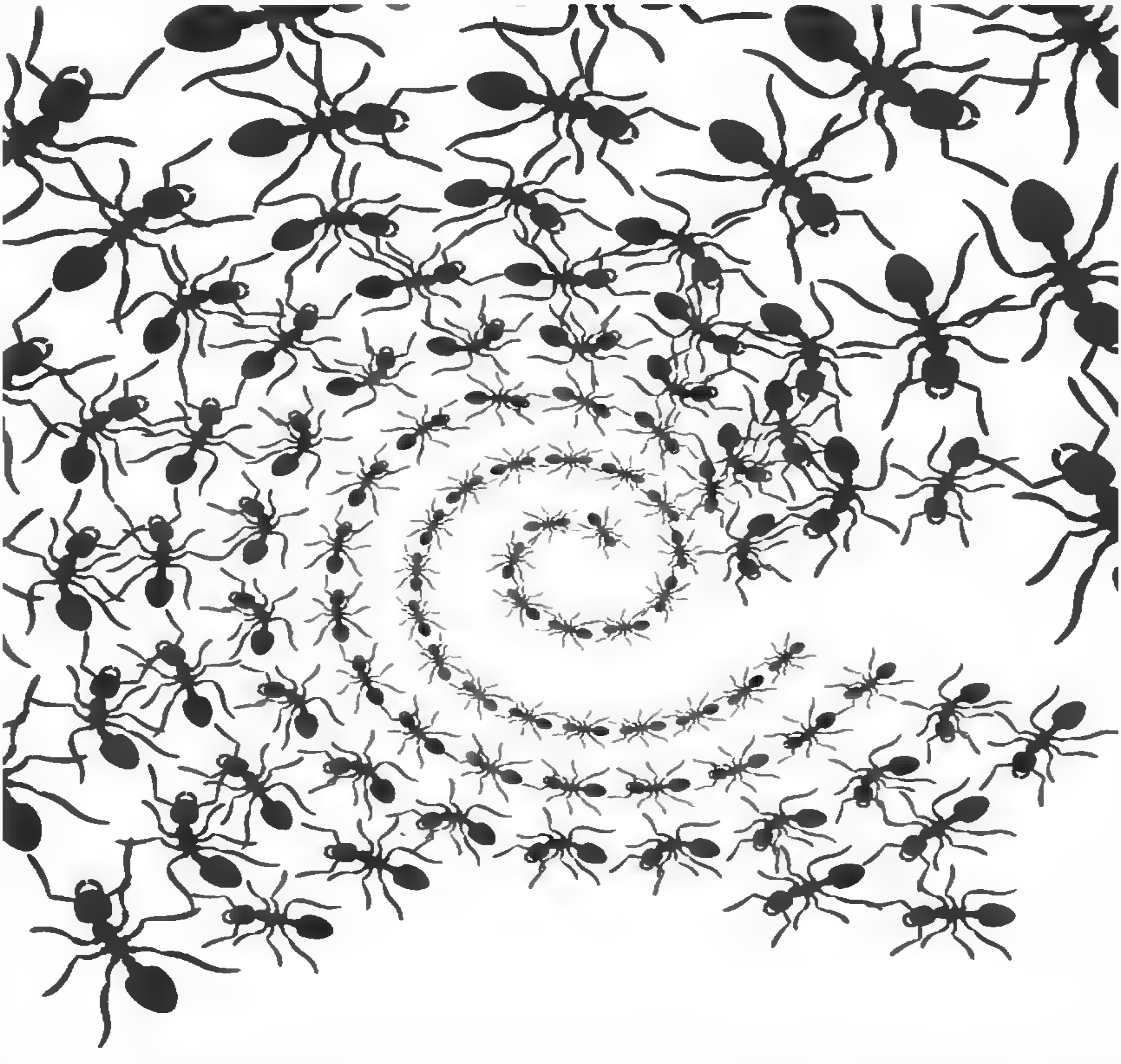

مال فاسد، وكلاب هجومية، ومحركات

| 11 |

لم نتجاوز السرعة المطلوبة عند مرورنا بالطريق رقم 10 واتجاهنا جنوباً. أسندت ظهري على المقعد، وتأملت حركة المرور المتجهة شمالاً، والأنوار المشعة، وحيّ الهنود في غيلا ريفر كما تأملت لافتة تظهر المسافة بين كاسا غراندي وإيلوي وتاكسون. كنت سأجد كل هذا مألوفاً كوجهي بصفتي ساكناً في ولاية هي مهد الغراند كانيون، وكاتباً لصالح مجلة أريزونا!

في هذه الحال، كلّل الغموض عالم الطبيعة والبشر. ما كنت لأكترث يوماً للناس في السيارات، أما الآن فأنا أتهيب نوع المخلوقات الشيطانية التي تتحرك في الليل، وما هي وجهاتها المحددة، وما الأحداث العظيمة التي تريد ارتكابها.

جلبت بريجيت صندوق الذخائر من تحت مقعدها. بدأت تحشو مسدسها ومسدس جدها اللّذين سبق لهما أن استخدماهما،

وتجولنا لوهلة بصمت. أعتقد أن سباركي وبريجيت تصورا أن نكون من ضحايا المجزرة التي كادت أن تحصل. سكنتني هذه الفرضية ميلاً بعد ميل.

أخيراً قلت: "يجب أن يكون هناك كاميرات مراقبة؛ لا بد أنها التقطت صوراً لنا".

قال سباركي: "إن كانت جودة الصور عالية، فسيلحق بنا جهاز الأمن الداخلي بعد قليل".

سألتهما: "ماذا عن السيارة؟ ربما لديهم مقطع فيديو يظهر استقلالنا سيارة البويك".

قالت بريجيت: "علينا أن نتخلى عن السيارة. أعتقد أن عليّ أن أزخّر مخزنين إضافيّين يا جدي".

قال: "اجعليها أربعة، لن نستطيع التخلي عن البويك إلا عندما نؤمّن سيارة أخرى، ولن نستطيع فعل ذلك قبل أن نصل إلى منطقة حيوية. لن نصل إلى تاكسون قبل ساعة ونصف. حالما نصل إلى تلك المنطقة ستتولين أنت أو كوين القيادة، وسنختبر فائدة الجذب الروحاني"، نظر إليّ عبر المرآة وقال: "نحن نقول الجذب الروحاني وأنت تقول المغناطيسية الغريبة، وهذا يشبه اختلاف اللكنات للمعنى ذاته".

سألت بريجيت: "ألديك القدرة ذاتها؟".

قالت: "إنها مفيدة مع أنها تصبح خطرة في بعض الأوقات، في بعض الأحيان تقودني إلى ما أحتاج إليه تماماً سواء أكنت واعية لذلك أم لا، ولكنها تأخذني إلى مأزق خطير في أحيان أخرى".

قال سباركي: "مثل النمر".

قالت بريجيت وهي تملأ المخزن: "لا، كان النمر رائعاً. كنت أفكر في مصنع القنابل".

"جذبتك المغناطيسية الروحانية إلى نمر؟".

قال سباركي: "أعجبني هذا المصطلح يا فتى. المغناطيسية الروحانية لها وقع أقوى من سابقتيها".

سألتها مجدداً: "جذبتك المغناطيسية الروحانية إلى نمر؟".

قالت: "كنا نمضي عطلة صغيرة في جورجيا...".

قال سباركي: "كان موسم الدراق، وأنا أحب الدراق الجورجي".

"... واتخذ مغفّل ما نمراً كحيوان أليف، وكبر بسرعة هائلة...".

"فطيرة الدراق ومربى الدراق وحلوى الدراق...".

"... وأفلت من صاحبه. قصة أخبار مخيفة بامتياز. وفي الحقيقة أنا...".

"كاسترد الدراق، وتارت الدراق، وكل شيء فيه دراق".

"... مهووسة بالنمور منذ الأزل...".

"كانت حبيبتي جانيت من جورجيا، وكانت أكثر ثمرة يانعة هناك".

"... ولكنني لم أعرف أنني جُذِبت إلى النمر".

بعد أن تعب من موضوع الدراق، قال سباركي: "كنا نقود في شارع وسط الغابة، وأصرت بريجيت أن نركن جانباً، فاعتقدتُ أنها أصيبت بدوار نتيجة الرحلة".

قالت بريجيت: "لم يصِبني دوار خلال رحلاتنا أبداً".

"دائماً هناك مرة أولى، لذا ركنت السيارة، وسارعَت في الخروج منها، ثم ركضَت نحو الغابة".

"كانت جاذبية قوية، ولم أستطع مقاومتها".

"لحقتُ بها، وعندما وجدتها، كان النمر يحاصرها قرب شجرة ويزمجر، ولم يكن معي من سلاح سوى سكين بطول أربعة إنشات".

"لا تكن درامياً الآن. لم يكن ألفونس يزمجر، بل يغرغر فقط".

قال سباركي: "رمقني بنظرة شريرة".

"لعلك استحققتها لأنك لوّحت بالسكين أمامه".

"يمكنني القول إن الأمور كانت ستزداد سوءاً".

"ولكنها لم تزدد سوءاً".

"ربما".

"كلا".

"ربما كان بوسعي أن أغلبه".

"أنا متأكدة من هذا يا سباركي، فأنت محارب مخضرم".

صمتنا، وانتظرت، ولكنني سألتها في نهاية المطاف: "ماذا حصل بعدها؟".

"أتقصد مع ألفونس؟".

"بالطبع".

"لقد أرشدناه إلى الطريق خارج الغابة، ووضعناه في المقعد الخلفي، وسلمناه إلى أقرب ملجأ حيوانات".

قلت: "هيا، هيا... ماذا تخفين من القصة؟".

"أخفي؟ أنا لا أخفي شيئاً، كان ألفونس حيواناً أليفاً".

قال سباركي: "بشكل جزئي. لن يجرد النمر تماماً من طبيعته الجامحة".

أصدرت بريجيت صوت استنكار وقالت: "كان ألفونس بجموح ذلك النمر الذي يمثل إعلان رقائق الفطور. ما اسمه؟".

قلت لها: "توني".

قالت: "في تلك الأيام كنت مهووسة برقائق فروستد فليكس".

"في تلك الأيام؟ متى حصلت حادثة ألفونس؟".

"منذ عشرة أعوام تقريباً، كنت في التاسعة من عمري".

قال سباركي: "في الحقيقة، لقد فوّتنا جانباً من قصة ألفونس؛ الكاسترد المتجمد".

قالت بريجيت: "هذا صحيح. رأينا فرعاً لديري كوين في طريقنا إلى ملجأ الحيوانات، وعرفت أن ألفونس سيحبّ هذا، لذا توقفنا".

قال سباركي: "استمتع بثلاثة أكواز كبيرة، وتأكدت أنه سيتقيؤها جميعها".

"لطالما خشي جدي من فكرة أن ينظف السيارة بعد أن يصاب أحد ما بالدوار".

"أفضّل أن أتخلى عن السيارة، وأشتري أخرى جديدة".

مدّت يدها لتربت على كتفه وقالت: "ولكنها خشية غير مبررة،

لأنك لم تختبر الأمر يوماً يا عزيزي".

استطعت أن أقلّب الحديث في رأسي وقلت: "كانت لديك المغناطيسية الروحانية في سن التاسعة؟".

سألت جدها: "متى حدثت معي للمرة الأولى؟".

"حدثت الجاذبية المغناطيسية في نهاية عامك السابع، ولكن جاذبيتك للحيوانات بدأت منذ سن الرابعة تقريباً".

تذكرت عندما أخبراني عن الغزالين اللّذين ينظران عبر النوافذ والسنجابين اللّذين يأكلان من يديهما والثعلب المسمى كاري غرانت الذي يجلس على الكرسي الهزاز على شرفتهما الخلفية.

أزعجني شعور عدم التكافؤ فقلت لها: "كنتِ في السابعة من عمرك عندما ظهرت تلك القدرة، وأنا عمري تسعة عشر عاماً. رأيتِ الصارخين منذ سنتين، وأنا رأيتهما اليوم للمرة الأولى. كنت تشبهين الدكتور دوليتل في سن الرابعة وأنا لم أكلم حيواناً في حياتي".

أدارت بريجيت رأسها كي تنظر إليّ وقالت: "أنا متأكدة من أنك لست عاجزاً في مجال تنمية القدرات يا كوين. مهما تكن ماهية قدراتنا، فهي تظهر عندما نحتاج إليها وحسب، وخلال حياتك المحاطة بالراهبات العطوفات، لم تحتج قدرتك في عمر مبكر مثلي. أياً يكن الأمر، إن الحيوانات تخبرني أشياء في بعض الأوقات، ولكنها لا تتكلم. إنه أمر يشبه اندماج العقول؛ عن طريق المشاعر والتخيلات".

"آه، اندماج عقول وحسب. لا شيء مهم. ما هي هباتك الأخرى؟".

"ما أخبرتك به وحسب، لا يمكنني الرؤية من خلال أشعة إكس ولا الطيران".

"أنت تتعاملين بحرفية مع المسدس، وكأنه امتداد ليدك اليمنى".

"هذه ليست هبة، أنا متمرسة بفضل التدريب. جدي متمرس بكل ما له علاقة بالأسلحة. يجب أن يمر رجل مثل سباركي في حياة كل فتاة".

خاطبت جدها الذي كان يوليني ظهره قائلاً: "هل تعلمت كل شيء يتعلق بالأسلحة عندما كنت شيئاً أو شيئاً آخر أو شيئاً آخر لا يمكننا التحدث عنه؟".

قال: "بالضبط"، وهذا ما توقعته.

| 12 |

سارت البويك بثقة، وكأنها قطار لا يحيد عن سكته، لأنها كانت مصنوعة في زمن الفولاذ لا الفيبر والصمغ. بدا الأمر وكأننا في آمان بداخلها، حتى لو تحوّل العالم الخارجي إلى مملكة من الظلام والإرهاب الأبدي. شعرت أن هناك عائلة جديدة تحيط بي بعد أن فرّقتْ عن عائلة الميتم بالعمر، والعرف، والقانون.

لم تكن أواصرنا نتيجة صلة الرحم - أو لأننا بلا أهل - ولكن بسبب حاجتنا للتصدي إلى خطر يحدق بنا نحن الثلاثة. أمّنت لنا راهبات ماتر ميسيركورديا صورة محبة، بل منظمة من الأمومة، وقدّمن لنا الاستقرار والتشجيع، وكانت تلك بيئة أتوق إليها جداً. كانت هذه العائلة أغرب بكثير من عائلة الراهبات، ولكنها دافئة بطريقة خاصة حتى لو كانت حياتها تاريخاً حافلاً بالأحداث الغريبة ويحمل بين طياته كثيراً من الألغاز.

كنت مرتاحاً مع الألغاز، فقد تربيت عليها عندما كنت أنا نفسي لغزاً. إن الحياة من دون ألغاز لم تكن مفهومة - مثل شطيرة مصنوعة من الخبز فقط - ومضجرة جداً إلى حدّ غير محتمل.

عندما تجاوزنا بلدة بيكاتشو لنقابل مستقبلنا عبر صحراء سونوران إلى ريد روك وريليتو، سألتهما عن موضوع حساس: "قلتِ إن أمك كورين لم تكن متّزنة يوماً لأن أمها كانت تعاقر الخمر خلال حملها".

قالت بريجيت: "متلازمة طيف الكحول الجنينية".

تحدث سباركي بشكل مفصل، وكأنه يلقي علينا وصفة طبيب حفظها عن ظهر قلب: "ليست حالة خطيرة. ما كنتَ لتميزها إذا نظرت إليها، فهي لم تصب بتشوهات خلقية أو فشل في الأعضاء، بل اقتصر الأمر على اضطراب نقص الانتباه وأعراض خفيفة من فرط النشاط والتقلبات المزاجية. كانت تجادل بكثرة من دون سبب وجيه"، تردد قليلاً قبل أن يكمل بصوت أرقّ مع تعابير الحزن: "كانت تملك جوانب خير وطيبة تُعبّر عن معدن كورين الأساسي عندما لا تعاني من تلك الاضطرابات".

قلت لهما: "أملت بريجيت أن يساعدها موقع تعرف إلى نفسك بأن تعرف من هو والدها، ولكن ألم تعطِك كورين لمحة عن الأب عندما تركت طفلتها معك يا سباركي؟".

قال: "يجب أن أقول لك شيئين مهمين، هي لم تبدُ حاملاً إلا في شهريها الآخرين؛ كانت حالة نادرة لأن وزنها لم يزد سوى عشرة أرطال. عندما أخبرتني أنها حامل، قالت إنها لم تعرف ذلك إلا بعد مرور سبعة أشهر. كانت عنيدة جداً. مع أن كورين لم تحتسِ الكحول، كان هناك احتمال أن يكون الرضيع قليل الوزن ومشوهاً. لا تقلق، كان وزن بريجيت عندما ولدت سبعة أرطال وأربع عشرة أونصة كأي طفل سليم".

لقد أصبحت أجمل في صباها، ولكنني لم أقل هذا لأنني شعرت أنني سأكون أبله. وبدلاً من هذا، ذكّرت سباركي أنه عليه أن يخبرني بشيئين مهمين.

"عليك أن تعاين حالة كورين. عندما تدخل في حالة فرط النشاط التي قد تدوم من ساعة إلى أسابيع، كانت تخطر لها أغرب الأفكار وتصبح مهووسة بها، كوجود مدينة في الجانب المظلم من القمر أو أن سفينة التايتانيك لم تغرق وهي قصة اختلقت لتغطية مؤامرة ما، ولكنها لم تستطع كشف تلك المؤامرة. لذا، عندما جلبت لي الفتاة بعد أسبوع من مولدها، قالت إنها ستغادر لفترة، وأصرت على أنها لم تُقِم علاقة مع رجل منذ أربعة عشر شهراً، وأنها حملت من دون جماع، فظننت أن تلك القصة واحدة من تخيلاتها أيضاً. لم تكن عذراء ولم تدّعِ أن ملاكاً قد جاءها وأخبرها أنها ستلد المنقذ المنتظر. ربما فسرت الأمر أن له علاقة بالذين يعيشون على الجانب المظلم من القمر أو بمسحوق بروتين شربته. لقد عانت المسكينة من الضياع معظم الوقت، ولكنني أيقنت أن كورين لم تكذب يوماً. كانت تراودها تخيلات أو هلوسات، ولكنها لم تكذب. لم تكن في حالة فرط النشاط عندما سلمتني الطفلة، بل كانت مذهولة وخائفة. صدّقتُ ما قالته مع أنني عرفت أنه غير صحيح. ولكن بعد مرور سنتين، وإظهار بريجيت أن لديها هبات وقدرات خارقة... كما قلت لك، كورين لم تكذب يوماً، ولعلها لم تكن موهومة في ذلك الوضع أيضاً".

خيّمت تلك المعلومات على ذهني لعدة أميال. ولكنني لم أفهمها تماماً على الرغم من التركيز الذي أوليتها إياه.

كسرت بريجيت حاجز الصمت عندما وصلنا إلى بلدة كورتارو الواقعة في ضواحي تاكسون وقالت: " لو كان أبي منزلاً من النجوم فأنا أفضل أن يكون لوك سكايووكر وليس جابا ذا هات".

| 13 |

إن مدينة تاكسون محاطة بأربعة سلاسل جبلية، وتحتل وادياً صحراوياً عالياً كان يوماً قاع بحر قديم. استقر أول قوم على نهر سانتا كروز قبل اثني عشر عاماً من الليلة التي جئنا فيها أنا وسباركي وبريجيت. كنت أجلس في المقعد الأمامي وسباركي في المقعد الخلفي مجدداً وبريجيت رينكينغ وراء المقود. اعتمدنا على قدرتها لتجذبنا إلى مركبة جديدة كي نستبدل فيها البويك التي سيتم تعقبها قريباً.

ستتحول المدينة بعد عدة ألفيات إلى شيء آخر مثلما تحول البحر إلى صحراء. لعلها ستعود بحراً أو تصبح أدغالاً وذلك لأن كل شيء يتغير. إن الأرض تتغير بعنف عندما يتبدل قطباها المغناطيسيان. تتراكم الصفائح فوق بعضها حيث الأراضي المنخفضة تصعد والجبال تهتز وتقتحم الأمواج العالية بارتفاع ثلاثة ألف قدم الأراضي الداخلية وتزيل كل شيء يعترض طريقها. ولكن الكوكب يعتمد على النشاط الشمسي كي يبقى صالحاً للعيش. يتحكم ذلك النشاط الشمسي بالعصور الجليدية فهو من الممكن أن يسمح لها أن تستمر آلاف اسنوات وفي الوقت ذاته يمكنه أن يتوهج بعنف لدرجة أن يتسبب بغليان محيطات ويبيد نصف كرة بأكمله. وها هو ذلك الجنس البشري المتغطرس يحاول أن يبني مدناً، ويوقف تغيرات الزمن، ويتحكم بالمناخ، ويخلق يوتوبيا مهددة بالانقراض في أية لحظة. اعتدت أن أؤمن بفكرة أن إقرارنا في لا وعينا بعجزنا أمام المقدرات الكونية برر تعطشنا الجنوني للسلطة الذي يدفع الكثير لأن

يصبحوا مجرمين ومغتصبين ونشالين وأيديولوجيين جنونيين. إن تلك السلطة اللئيمة تعطي لأمثالهم الشعور الوهمي بالعظمة وتقدح شعلة الأمل بالخلود على الأرض. وأياً يكن الأمر، وبعد أن عرفت بوجود الوحوش ذات النوايا الشيطانية بدأت أتساءل عن نسبة المآسي الإنسانية التي سببتها التصرفات الإنسانية أمام المآسي التي سببها الصارخون.

منذ العصور السحيقة، تضمنت الأساطير والمعتقدات الكثير من الشياطين والأرواح الشريرة. لذا أعتقد أننا نرفض الماضي في عصر ما بعد الحداثة وبهذا نبعد الحكمة على حساب الجهل. إذا تطلع البشر الحسودون إلى استملاك قدرات إلهية وسقطوا إثر هذا من النعيم فلعل العصور السابقة لم تخل من هذه السمات. لعلنا نتشارك هذا العالم مع طغاة كانوا يوماً شعلة من الأمل والنور، ولكنهم حولوا أنفسهم إلى مخلوقات تعبد الظلام الخارجي، وتتمنى أن يكون العالم مقبرتنا الواسعة.

كانت تلك الأفكار المهمة التي تراودني وأنا أكبح تجشؤي فصدرت عني أصوات تشبه الهسهسة.

في تلك الأثناء، جُذبنا إلى طريق متعرج عبر تاكسون واعتقدت حينها أن المتصدق الذي مدنا بقدرة الجاذبية كان يهزأ منا.

عندما توقفنا عند إشارة مرور في منطقة تجارية، رأينا ستة رجال تتراوح أعمارهم بين الثلاثين والخمسين عاماً يقفون تحت مصباح على الزاوية.

كانوا يرتدون بذلات وربطات عنق جاهزة. بدوا أكثر رسمية من موظفي مصرف وفي الوقت ذاته لم يكونوا بأناقة موظفي الشركات الكبيرة. وبناء على وقفتهم المتوترة وتعابير الاشمئزاز التي علت وجوههم ظننت أنهم مجموعة من المحامين يتناقشون في حادث مروع -واحتمال قدوم موكلين جدد- وقع على هذا التقاطع الخطير أو لعلهم عمداء جامعات يريدون أن يتناقشوا حول ضرورة حظر الكتب.

عندما تغيرت إشارة المرور ومشوا أزواجاً على ممر المشاة، رأيت اختلافهم فجأة. كانت وجوههم تشبه وجهي الوحشين في استراحة الشاحنات -وكانوا وحوشاً بدورهم- وتنقلت أيديهم بين أياد بشرية ووحشية. كانت حقيقتهم مخفية عن المشاة الآخرين الذين قابلوهم في طريقهم إلى الحياة الليلية في ذلك الحي. دهشني منظر الوحشين في المطعم كما أنه نقّرني. ولكن منظرهم الآن ولّد شعور ذعر في داخلي. كانوا عبارة عن حيوانات طفيلية ضخمة يعيشون على مضيفهم كي يدمروه تماماً دون علمه.

حذرت بريجيت سباركي: "هناك ستة صارخين".

عندما راقبتهم يتسللون بين المشاة دون معرفتهم، تساءلت ما إن تلطخ تاريخ البشرية بتلك المخلوقات التي تتسلل ضمن الحضارات مثل البلهارسيا التي تسري في العروق وتتغذى على ألمنا لا على لحمنا وربما عليهما في آن واحد. نخرت الرعشة عظمي ولم تقتصر على جلدي فقط فسألتها: "إلى أين يذهبون؟ وماذا يخططون؟".

قال سباركي: "سنجذب الانتباه علينا إن قمنا بملاحقتهم. لن نمتلك سلاح المفاجأة وهم يفوقونا عدداً. إن محتوى حقائبهم لا يقتصر على مجموعة أوراق عمل".

أدار ثلاثة صارخين رؤوسهم إلينا عندما عبروا أمام سيارتنا. بدت تلك الحوصلات المفتوحة وكأنها مرتبطة بمستقبلات شمية أي أن العضو نفسه يمدهم بحاسة الشم والتذوق. ذكرني افتقارهم إلى الأعين الظاهرة بحيوان المحار المروحي الذي كانت لديه عينان دقيقتين من الصعب ملاحظتها. لعل تلك المخلوقات مجهزة بالأسلوب نفسه: ربما اللحم المحيط بالأفواه المفتوحة دائماً مجهز بالكثير من الأعين الدقيقة التي تمدهم برؤية غريبة ومتطورة للعالم المحيط تفوق رؤية الأعين البشرية. ولعل ذلك الجسد البشري لم يكن مجرد ستار لتلك المخلوقات الطفيلية بل هو تجسيد فعال يسمح لهم أن يشعروا بالعالم عبر الحواس الخمسة مثلنا.

رمقنا وحشان من الثلاثة الذين أداروا وجههم إلينا ثم أكملا طريقهما، ولكن الثالث وقف أمام سيارتنا، وحملق بنا عبر الزجاج الأمامي. لم يُظهر وجهه الخالي من الملامح أي تعبير حقيقي، ولكن ارتسمت ملامح الدهشة والشك على تنكره البشري الذي ظهر واختفى. بدا أن المخلوق شكّ فينا، وشعر بخطب ما لم يستطع تسميته.

مع أن إشارة المرور لم تتبدل، قلت لها: "اضغطي على بوق السيارة وحثيه على المشي".

قال سباركي: "لن يبدو تصرفك وقحاً جداً، أثبتي له أنك الأولى يا بريجيت".

قرّبت يدها من الزجاج الأمامي، ورفعت له إصبعها الوسطى متهكمة.

بقي الصارخ مبهماً، ولكن تعابير الدهشة تحولت إلى استهزاء، فأدار وجهه عنا، ولحق برفيقيه.

سألتها: "لِمَ تنفع هذه الطريقة؟".

قال سباركي الجالس في الخلف: "إنها سياسة التضليل، بما أنهم يمثلون الشر، ويشكون في وجود حراس من أمثالك أنت وبريجيت... فلن يخطر لهم أن الحراس يتصرفون بفظاظة".

قلت: "حراس؟"؛ زعزعتني تلك الكلمة كحقيقة وجود الصارخين؛ "حراس ماذا؟".

أنار الضوء الأخضر في الإشارة، فتقدمت بريجيت.

كررت سؤالي عندما لم يجبني سباركي أو بريجيت: "حراس ماذا؟".

قالت: "حراس كل شيء على الأرجح".

"مثل ماذا؟".

قالت: "كل شيء. هذا ليس الوقت المناسب للتباحث في تلك النظرية يا كوين".

"متى يكون الوقت مناسباً؟".

"في الوقت المناسب يا عزيزي".

"متى أعرف أن الوقت مناسب؟".

"عندما أخبرك".

"هذا ما توقعته".

ابتسمت لي وقالت: "ربما أصبحت وسيطاً روحياً بدورك".

عندما تجولنا بصمت لفترة قلت لهما: "لكلمة حراس وقع عمل أبديّ. لعلنا لسنا حراساً بل رُسُلٌ لأداء مهمة معينة".

قالت بريجيت: "نحن حراس".

لم أرد أن أتخلى عن فكرة الالتزام المؤقت وقلت: "قصدت مهمة نبيلة كالفرسان في قصص العصور الوسطى، إنهم يجوبون الأراضي البعيدة بحثاً عن الكأس المقدسة أو تابوت العهد، ثم يعودون إلى ديارهم ويمضون حياتهم في شرب الخمر وتناول اللحم والمشاركة في مسابقات رمي الرماح".

قال سباركي: "نحن حراس".

قلت: "ربما يكون ذلك صحيحاً وربما لا، سنرى مع الوقت".

أخيراً، وصلنا إلى حيٍّ راقٍ منازله ذات زخارف جصية بجوار الكبائن الساحرة ومقابل منازل ذات طراز حديث. خفّفت بريجيت من سرعتها بشكل بالغ. نظرت بجانبي عبر المرآة الجانبية إلى بناء

داكن يجب أن يكون على تل قرب نزل بيتس وليس هنا.

قالت بغموض: "إنه نوتنغهام".

قال سباركي: "لا يبدو كذلك".

"إن الجاذبية قوية".

قالت وهي تركن قرب الرصيف بجانب البناء الذي أثار اهتمامها: "سترى قريباً. سندخل سوية. سيكون جدي سائق النجدة إن اضطر الأمر لذلك. إنه سائق مختلّ عندما يتطلب الأمر هذا".

"هذا مريح جداً. مِمَّن سنهرب؟".

"إنهم أناس يبترون قدميك ويتبولون عليك ثم يشربون دمك إذا أمسكوا بك وأنت تتعدى على ملكياتهم".

قلت لها: "لم أقابل مثل أولئك الناس، فلن أنفعك".

"هذا هراء يا كوين. لديك الملكات المناسبة وأعرف هذا منذ سنتين. أنت الشخص المناسب. وأياً يكن الأمر، أشعر أن المنزل خالٍ".

"وهل يصدُق إحساسك مثل قدرتك على استشراف المستقبل؟".

"لا بالطبع، يمكن أن تطلق عليه حدساً".

كانت البويك قديمة جداً لدرجة أن المقعد الأمامي كان يشبه مقعد الحديقة. أمسكت بحقيبتها التي كانت بيننا، وأخرجت مسدسها الذي زخّرته سابقاً حين تحدثنا عن النمر والدراق.

سألتها: "هل يجب أن أحمل مسدساً؟".

"هل تعرف استخدامه؟".

"ليس بشكل جيد".

"لن نعطيك مسدساً حتى يعلّمك جدي كيفية استخدامه".

قال سباركي: "عليّ أن أعلمه قريباً، فسأحزن إن طار رأسه، وهذا احتمال وارد ما لم يتجهز بالأسلحة المناسبة".

قلت له: "لا أحب السكاكين، فهي شخصية جداً. ماذا سأحمل غير المسدس؟".

قالت: "ستحمل دهاءك. هذا كل ما تحتاج إليه وأنا معك". أخذت بكرة من الشريط اللاصق الأزرق من حقيبتها.

"ما حاجتنا إلى الشريط اللاصق؟".

ابتسمت وقرصت خدي ثم قالت: "أنت تطرح كثيراً من الأسئلة أليس كذلك يا عزيزي؟ هيا بنا".

ترجلث من خلف المقود، وجلس جدها مكانها عندما مشت خلف سيارة البويك.

كان من المنطقي أن أعتقد أننا لن نفعل شيئاً عادياً كدهن غرفة. خرجت من السيارة، وأغلقت بابي، ثم التقيت بها عند الرصيف.

كانت عشية هادئة باستثناء صوت موسيقى كان صادراً من منزل مقابل. كانت الموسيقى كلاسيكية وهي المقطوعة ك. 488 لموزارت

بدلاً من الموسيقى المبتذلة التي يزعج بها النرجسيون جيرانهم. ميّزت تلك القطعة لأن الأخت تيريزا كانت تعشق موزارت، وكانت تلك مقطوعتها المفضلة بالنسبة إليها، وكنا نستمع إليها عندما درسنا النمل وأشياء أخرى. كانت الخفافيش تطير بلا صوت في الأعلى، وتباغِت الحشرات في الهواء، وكانت الجبال الداكنة تشمخ نحو السماء، وقد خيّم عليها نور القمر، فتسللت الموسيقى في ثنايا تلك الصحراء الداكنة، وكأنها تأتي من عالم أفضل.

هبّ نسيم عليل عندما مشينا أنا وبريجيت نحو المنزل الذي أثار اهتمامها وعلى الأرجح كان ينتظرنا فيه أربعة مختلين مع منشار تردّدي.

علا صوت حفيف شجر النخيل عندما اقتربنا من المنزل.

قالت وهي تقرع الجرس: "إن كنت مخطئة، وكان هناك أحد في المنزل، فسنكتفي بالقول إننا ظننا أن بيل وماري تورغينوالد يعيشان هنا".

"لِمَ تورغينوالد؟".

"تبدو كنية حقيقية أكثر من سميث".

"إن إيريك وإنغا يتماشيان مع تورغينوالد أكثر من بيل وماري".

قالت: "إن صديقيّ الخياليّين حفيدا مهاجرَين سويديّين؛ إنهما الجيل الثالث وقد حصلا على الجنسية الأمريكية".

اصطحبتني إلى خلف المبنى بعد أن رنت الجرس ثلاث مرات

من دون إجابة. كانت هناك جدران مملّطة، وكللت شجرات السرو العملاقة الحديقة الخلفية، وبدا العشب ميتاً تحت ضوء القمر.

كان الباب الخلفيّ مثبتاً إلى اليسار، وعليه أربعة ألواح من الزجاج. شرعت بريجيت تضع اللاصق الأزرق على اللوح السفليّ من جهة اليمين.

قلت لها بصوت خافت: "ستكسرين الزجاج".

قالت: "لن أُحدِث جلبة، ولن يمانع بيل وماري".

"ماذا لو كان هناك جرس إنذار؟".

"لن يكون، لأن جرس الإنذار سيلفت النظر إلى وجود شيء قيّم في المنزل، وهذا آخر شيء يريد هؤلاء الناس إظهاره. إن المنزل خرابة، فاللص العادي لن يكترث لأمره".

"نحن لسنا لصّين عاديَّين".

"بالطبع لا".

عندما غطت اللوح تماماً باللاصق، نقرت عليه بمقبض المسدس، وبالكاد سُمِع صوت تحطم الزجاج.

عندما ضغطت على الشريط اللاصق، انهار اللوح المحطم من مكانه ولم يصدر جلبة، كان الجيران سيعتقدون أنها مجرد قرقعة لا تحطم زجاج واقتحام منزل.

مدت يدها من الفتحة، وحرّكت مقبض الباب، فتبعتها لأستكمل

جوانب الجريمة غير المسبوقة بالنسبة إلى شاب ترعرع في ماتر ميسيركوديا.

استكشفت المطبخ بواسطة شعاع ليزريّ قادم من قلم ضوئيّ. لم يبدُ أن أصحاب المنزل يعيرون النظافة اهتماماً أو يهابون الأمراض، حيث إن الأرضية كانت متسخة، وسلة القمامة طافحة، والصحون قذرة، كما كان هناك وعاء بيتزا يحوي قطعتين عفِنتين.

سألتها: "ما تلك الرائحة النّفاذة؟".

"رائحة وعاء لتدخين الماريجوانا. لعل أحد القاطنين هنا مدمن".

كانت الثلاجة مليئة بالجبن، ووجبات الطعام، وأربعين زجاجة بيرا كورونا. كما كان هناك وعاء صغير يحوي أربع مُقَل أعين.

حدقنا إلى ذلك الوعاء بصمت ثم قلت: "لا أعتقد أنها حقيقية. أعتقد أنها حلوى يحبها الأطفال. إن كانت حقيقية وتم انتشالها من أشخاص حقيقيين، فلن تكون بمثالية وأناقة هذه المقل".

قالت: "أنت محق"، أغلقتِ الثلاجة سواء أصدّقتني أم لا. وقفت تصغي لوهلة وتتلفت حولها قائلةً: "أفضل شيء يمكنك فعله عندما يعترضك كلب هجوم هو أن تتحرك ببطء وألا تتحداه، وبالطبع لا تُدِر له ظهرك".

كنت في طور أن أقنع نفسي أن تلك المُقَل عبارة عن حلوى مطاطية فتطلّب مني الأمر وقتاً كي أفهم كلام بريجيت: "كلب هجوم؟ هناك كلب هجوم؟".

"ربما. لا أعرف. سنرى".

خرجت من المطبخ، وداست على شيء أثناء مشيها.

تبعتها إلى غرفة المعيشة التي بدت أرضيتها الخشبية أكثر اتّساخاً من أرضية المطبخ وقلت: "ماذا ستفعلين؟ أستطلقين عليه النار عندما يهجم؟".

"لن أطلق النار على كلب في حياتي".

"وإن كان كلباً شريراً؟...".

"لا توجد كلاب شريرة يا كوين، البشر الأشرار يدرّبونها أن تكون شريرة".

"هذا لطيف، وربما يكون حقيقة. ولكن، ماذا لو تم تدريبها على القتل؟".

قالت: "أعتقد أنه كان سيراودني شعور استشرافي لو أن كلباً كان سيقتلني، ولكن لم يراودني مثل هذا الشعور".

"حسناً. ماذا عني؟".

"سنرى".

| 14 |

فتحت بريجيت باباً أدى إلى رواق فيه درج خشبيّ يؤدّي إلى قبو. في أريزونا كما في نيفادا وكاليفورنيا، لم يبنِ الناس منازلهم على أقبية، بل على بلاطة بيتونية لمقاومة الزلازل والهزات الأرضية. هناك استثناءات بالطبع في العقارات الفاخرة التي يخصّص أصحابها الملايين لإقامة مسرح منزلي وقبو نبيذ ومرأب لمجموعة السيارات حيث لا يرحّب بالنوافذ. لم يكن المنزل الذي اقتحمناه مناسباً لملياردير ومجموعة سيارات الفيراري التي تأتي بمختلف الألوان.

أنارت المصباح، ووجدت جداراً من الجبس يعلوه العفن وبقعاً من الماء كفيلة بأن تلفت نظر مهتم بالفن التجريدي. وجدنا ثلاثة صراصير على الدرجة الثانية، وبدت وكأنها تمارس الحب. لقد تفاجأت بالضوء، وشعرت بالخجل فأسرعت إلى مكان مظلم لتخفي عارها.

قالت بريجيت: "إنه في الأسفل".

"ما هو؟".

"ما نحن بحاجة إليه".

"كان يوماً شاقاً، ولم أكن بحاجة سوى إلى النوم، ولن يمكنني النوم في الأسفل".

قالت وهي تنزل على الدرج: "لا تزال السهرة في بدايتها يا كوين، لم تتجاوز الساعة التاسعة بعد".

تركتني في الضوء الخافت القادم من القبو، وكنت في رواق معتم، ولم تنفِ احتمال وجود كلب هجوم. إن الخوف من إظهار تعابير الجبن أمام النساء هو السبب الرئيسي الذي يدفع الرجال للالتحاق بالحرب، والاشتراك في النزاعات، ومحاربة التماسيح، وتعلم رقصة دخول القاعات. لحقت بها على الدرج؛ إن رائحة القبو المريعة لم تشبه شيئاً سبق لي أن شممته، إذ كانت مزيجاً من رائحة الجلد المتعفن والمجارير، وحليب منتهي الصلاحية، وقيء رضيع، والكثير من المنتجات الكيميائية. تعالى القيء إلى فمي أكثر من مرة، ولكنني تمكنت من كبحه. ترقرقت عيناي بالدمع، ونخرت الرائحة أنفي، وكأنه مُسِحَ بالكحول، كما أن الهواء احتوى على طعم قميئ، وعندها وددت ألا أمتلك حليمات ذوقية.

قلت وكأنني قطة تختنق بكرة وبرٍ: "ما هذا بحق الجحيم؟".

كانت الخردة تملأ المكان؛ صناديق خشبية قديمة وكراسٍ محطمة، ومصابيح معطلة، ودلاء معطوبة، ودراجة من دون عجلتين، وصناديق فيها زجاجات بيرة فارغة، وألعاب أطفال تنقصها أطراف، ولكنني لم أرَ شيئاً عضوياً يمكنه أن يتعفن.

قالت بريجيت: "إن هذا ليس عفناً طبيعياً. إنهم يخلطونه ثم يدهنونه، سبق لي أن صادفت شيئاً من هذا القبيل".

"ما غايتهم من هذا؟".

قالت وهي تتفحص الغرفة: "كي لا يظن أحد ما أن هناك شيئاً قيماً هنا".

"مَنْ؟ مَنْ يفعل هذا؟".

"لا أعرف من يخلط تلك الرائحة في هذا البيت بالتحديد. لعلها عصابة أم أس – 13(2)، أو أي عصابة أمريكية مركزية تحتل هذا المنزل".

"أتقتل تلك العصابات الناس من أجل المرح فقط؟".

"لا، ليس للمرح فقط، إنهم يريدون إرهاب العامة".

توجّهَت إلى أكبر كيس قمامة في الجدار الخلفي، ثم أزاحَته جانباً.

قلت لها: "هذا غير معقول".

"إنهم يراكمون أكياس القمامة الكبيرة أمام الأشياء التي يريدون إخفاءها".

"علينا الخروج من هنا. لم أتوقع شيئاً كهذا".

"لقد حضّرتك نفسياً لهذا يا كوين. قلت لك إنهم يستخدمون المنشار التردّدي، ويتبولون عليك وأنت تنزف".

"ظننتك تبالغين".

"أنا لا أضخم الأمور يا كوين. لن نغادر حتى نحصل على مرادنا. لن تزعجك الرائحة إذا تنفست عبر فمك".

"إذا تنفست عبر فمي فسأتقيأ".

"حسناً، لا تتنفس عبر فمك، ساعدني في إزاحة هذه الأشياء من هنا".

أزحت القمامة من دون أن أثير ضجة على عكس بريجيت التي كانت واثقة من أنهم لن يعودوا إلى البيت في ذلك الوقت.

اكتشفنا غطاءً بعرض أنبوب تصريف؛ خاب أملي عندما رأيت هذا، ولكن بريجيت كانت سعيدة.

"يبدو أنه مسدود في مكانه، ولكنه ليس كذلك. إنهم يرغبون أن يزيلوا الغطاء بسرعة في أوقات الطوارئ".

جلبت رافعة من الأشياء التي قمنا بإبعادها؛ لقد وضعت تلك الرافعة عمداً بين أكوام القمامة لتخدم الغاية التي أشارت إليها بريجيت.

عندما وضعت الرافعة على حرف الغطاء المعدني قلت لها: "يمكنني أن أفعل ذلك".

قالت بحماسة: "وأنا أيضاً"، ثم أبعدت الغطاء عن تلك الفتحة.

كان هناك مسحوق أبيض يغطي الأنبوب، فأزاحته بريجيت وقالت: "إنها مادة عازلة للحريق".

أزيل الأنبوب ووسع محيطه، كانت الجدران مصنوعة من الآجر.

وجهت مصباحها إلى داخل الغرفة، فوجدنا ثلاثة أكياس قماشية.

جثوت على ركبتيّ، ومددت يدي في الغرفة كي أحضر كيساً؛ كان ثقيلاً جداً.

فتحت بريجيت الكيس، وسحبت كدسات من المال: "إنها من فئتي

المئة والعشرين. تبلغ قيمتها ثلاثة آلاف على الأقل".

قلت لها: "هذا مال ناتج عن المخدرات. إنه مال حرام".

"لذا سنسرقه، ونوظفه في أعمال الخير. ستوافقنا راهباتك الرأي".

"لست متأكداً من هذا، لِمَ هذا المال موجود هنا في ثلاثة أكياس؟".

"تجني هذه العصابات مئات الملايين خلال السنة، ربما يستطيعون الاستفادة من البنوك في العالم الثالث، ولكنهم لا يثقون بأي مؤسسة قادرة على التعامل معهم. أياً يكن الأمر، إن كانوا يتعاملون بالنقد الورقي فعليهم أن يخفوا الكثير منه هنا وفي كل مكان".

"كيف تعرفين هذا؟".

"من جدّي، اعتاد أن يلاحق أولئك المجرمين؛ كان هذا في زمن سُمِح للرجال أمثاله أن يطبّقوا القانون من دون تحريف من سياسيّي الطرف المظلم".

"لِمَ أُطلِق على هذا المبنى اسم نوتنغهام؟".

"كان روبن هود يقوم بعملياته على أطراف غابة شيروود في مقاطعة نوتنغهام".

"عندما يسرق الأغنياء ليعطي الفقراء".

"هذه هي النسخة الحديثة، سرق روبن هود من السلطات الحكومية الفاسدة في نوتنغهام. في القرن الثاني عشر لم يكن هناك بنوك، كان حكّام المقاطعة يخفون أموالهم في غرف سرية وأقبية

تخزين البطاطا وما إلى ذلك".

"أنت تقصدين أن المخبأ هو نوتنغهام، وعندما تحتاجين المال تجذبك قدرتك إليه".

ابتسمت وقالت: "هذا رائع أليس كذلك؟ نستطيع الآن شراء سيارة".

"هل ستعطين حصة من المال إلى الفقراء؟".

"سترى".

فكرت في قطعة النقد التي وجدتها في مطبخ المطعم المهجور؛ لقد بلغت قيمتها أربعين ألفاً عند تصريف العملة.

أعادت كدسات المال إلى الكيس، وأغلقته وسألتني: "أتحمل هذا عني؟".

"هل ستتركين الكيسين الآخرين؟".

"سيعود المجرمون قريباً. إن الوقت يداهمنا".

قلت لها بتوتر: "لمَ لم تقولي لي هذا؟".

قالت: "لقد فعلت لتوي".

ركضت مسرعة على الدرج، ولحقث بها لأبتعد عن تلك الرائحة النتنة التي خيّمت على القبو كضباب كثيف. عندما وصلنا إلى رواق الطابق الأرضي، وجدنا كلب هجوم من نوع شيبرد ألماني في انتظارنا، وكان قد كشّر عن أنيابه التي سيحسده عليها مصّاصو

الدماء.

| 15 |

كانت عضلات الكلب في تأهّب تام، وذنبه إلى الأسفل، ورأسه شامخاً ومتحدياً، وأذناه إلى الوراء، كما كانت عيناه تشعان بريقاً أصفر تحت ضوء مصباح بريجيت. لم يكن لدى ذلك الكلب خصال لاسي(3) نفسها. لن يحرك هذا الكلب ساكناً إذا وقع تيمي في بئر عميقة، وفي حال قدم المنقذون فعليهم أن يرتدوا واقي كيفلر لمؤخراتهم.

عندما زمجر الكلب عالياً قالت له بريجيت: "من استيقظ بمزاج سيئ اليوم يا عزيزي، هممم؟ ليس لدينا وقت لسخافتك أيها الفتى القوي".

مدت يدها، فزمجر الكلب أكثر، واستعد لقضم بعض السلاميات، ولكنها لم تسحب يدها.

"اشتمّ يدي يا فتى. هيا، تخطَّ مزاجك واعرف من أكون. إن لم تجد رائحتي أكثر لطافة من مدربيك الأغبياء، فيمكنك عندها أن تتصرف كالمستذئبين معي. هيا يا فتى، اشتمّ، اشتمّ".

تراجع الكلب خطوتين، وأحنى رأسه.

قالت بريجيت: "إنه لا يحبّ هذا المكان".

اشتمّ الشيبرد الهواء في كل الاتجاهات؛ إن حاسة شم الكلاب بمختلف فصائلها تفوق حاستنا بنسبة تتراوح بين عشرة آلاف ومئة ألف مرة. إن الكلب يحلل بيانات بواسطة حاسة الشم بنسبة تفوق

تحليلنا عندما نستخدم حواسنا الخمس.

قالت بريجيت: "إنه يُترَك بمفرده معظم الأحيان، وهو يشعر بالملل والكآبة".

في دار الأيتام كان لدينا كلب اسمه رافاييل، اعتدنا أن نخفي قطعة سجق في زاوية بعيدة في الطابق الثاني من ذلك المبنى الكبير، ثم نقول لرافاييل في الطابق الأرضي أن يبحث عنها. كان يعثر على المكافأة في غضون ثلاث دقائق تقريباً مع مجموعة كبيرة من الأطفال تلحق به. كان رقمه القياسي هو دقيقة واثنتي عشرة ثانية.

جثت بريجيت على ركبتيها، وأشارت له أن يأتي إليها، وهذا سبّب زمجرة أعلى من سابقاتها.

"بوغا بوغا بوغا في وجهك أيها الفتى. يا لك من فتى مخيف!".

قلت لنفسي إنني سأقف بجانبها عندما يمزقها الكلب إرباً، كما أنني سأدعمها طوال فترة مكوثها في المستشفى وخلال العمليات الكثيرة، وسأطمئنها أنها ستعود لأصلها، ولن أذكّرها أنها تشبه شبح الأوبرا.

قالت: "إنهم لا يلعبون معه أو يحضنونه. إنه وحيد، ولكنني أعتقد أنهم يطلقون عليه اسم هتلر".

عندما قالت اسمه، انتصبت أذناه وتوقف عن الزمجرة.

قالت لهتلر: "هذا غير منصف. لا يجدر بك أن تعيش مع هذا الاسم

الفظيع. إنهم أناس أغبياء ولئيمون".

ذكّرتها قائلاً: "وسيعودون قريباً. إنهم أغبياء، ولئيمون، وعنيفون".

"أجل، ولكن علينا أن نؤدي مهمة هنا".

"أي مهمة؟".

"إعادة تأهيل هتلر"؛ تقرّبت منه بكلتا يديها مما سهل مهمة أن يقضم جميع أصابعها لا خمسة منها فقط؛ "سأطلق عليك اسم وينستون تيمناً باسم السيد تشرشل العظيم الذي كان النقيض من أدولف القميء".

أعادت حركة تعال إلي ولكن بكلتا يديها هذه المرة، وقالت: "هل أعجبك اسمك الجديد يا وينستون؟".

استرخى الكلب، وتمدّد أرضاً، ثم ركّز نظره عليها، ولكن بطريقة مختلفة، ثم أصدر صوتاً يدل على استسلامه وراحته.

اقتربت منه أكثر وهي تمد يديها.

لعق وينستون أصابعها، وحرك ذيله يميناً ويساراً على الأرضية الخشبية.

تذكرت ما قاله لي سباركي فسألتها: "هل امتلكتِ هذه القدرة منذ طفولتك؟".

قالت وهي تداعب الكلب على وجهه وخلف أذنيه: "لم أكن واثقة منها في بادئ الأمر مثل الآن. يجب أن نطفئ أنوار القبو ونغلق

الباب".

فعلت ما أملته عليّ، وعدنا إلى الضوء الخافت المنبعث من القلم الضوئيّ. إن منظر المرأة الجاثية والكلب المستسلم كان خيالياً أكثر من كونه حقيقياً؛ بدا وكأنه لوحة في ظل ذلك الضوء الخافت والظلال الخفيفة؛ كان جزءاً من لوحة نادرة وكل خامة ولون فيها يخفيان خلفهما معنى عميقاً غير قادر على فهمه. كانت المرأة المشعة والكلب المحب في عالمهما الخاص الذي لا يقيم وزناً للظلام المحيط، أما أنا فكنت من عالم آخر. كانت بريجيت مثالية كما ذلك الكلب الذي أنقذته من براثن الشر، وعرّفته على البراءة، ولكنني أيقنت أنني أدنى منها بغض النظر عن ماهيتي. لم يتخلل تلك الحقيقة المدركة حسد ولا انزعاج ولا أسى. كنت سعيداً بمرافقتها في هذه الرحلة الغامضة؛ كان هذا أسعد وقت في حياتي، لأنني شعرت أنني سأعثر على النور الذي تقت إليه طيلة حياتي حتى لو كنت في ظلها.

وقف وينستون مع بريجيت، وقالت في ما يخص علاقتها مع الحيوانات: "أتت ثقتي من تعاملي مع النمر والدب من بعده".

سألتها: "أي دب؟".

صدر صوت ضحكة رجل أشار إلى وقوف شخصين على الأقل أمام المنزل.

قالت بريجيت: "إلى الباب الخلفي"، وقاد وينستون الطريق.

أسرعت باللحاق بهما وأنا أحمل كيس النقود.

أزالت بريجيت الشريط الأزرق الذي استخدمته في كسر الزجاج في المطبخ، وأطفأت القلم الضوئيّ عندما رافقت الكلب إلى الشرفة الخلفية.

تعالى صوت الضحكات الثملة عندما وقف الرجال عند عتبة الباب. أغلقت الباب الخلفي، وتمنيت ألا يلاحظا اللوح المتحطم حال دخولهما إلى المطبخ.

لمعت الأنوار تدريجياً من النوافذ في الوقت الذي كنا نهرب من المنزل مع وينستون المبتهج في الطليعة. كنت في الخلف كعادتي، حيث لم أستحق في حياتي لقب كشاف أمريكي من أصول هندية كأسلافي.

دخلنا السيارة في غضون دقيقة من مغادرتنا المنزل. كان سباركي يجلس في مقعد السائق، وجلست بريجيت إلى جانبه، أما وينستون فجلس إلى جواري في الخلف.

ابتسم الكلب، ولعق محيط فمه، أما أنا فوضعت كيس النقود عند قدمي.

سألتهما: "هل هم من الصارخين؟".

تساءلت بريجيت: "مَن؟".

"عصابة أم أس-13 وعصابات المخدرات الأخرى".

قالت: "ربما يكونون من الصارخين، ولكنني لا أظن ذلك".

قال سباركي: "هناك الكثير من البشر الحقيقيين الذين يريدون جني المال عن طريق تسميم الآخرين بالمخدرات. إن أولئك الديدان لا تكترث لهذه الأمور. يبدو أن لديهم منهجاً فريداً من نوعه".

"ما هو منهجهم؟".

أجابت بريجيت: "لم نتعرف إليه بعد".

سأل سباركي: "من هو هذا الفرد الجديد؟".

"أطلقوا عليه اسم هتلر، ولكنني أسميته وينستون".

أطلق ويسنتون صوتاً تدرج من الباص إلى السوبرانو، وكأنه يعطي موافقته على تغيير الاسم هذا.

قلت له: "إنه كلب هجوم".

اقترب وينستون مني ولعق عنقي.

قلت: "يمكنه أن يقتل الحشرات من خلال رائحة نفسه".

قالت بريجيت: "لم يعتنِ أولئك المجرمون به، سنأخذه إلى طبيب بيطري في أقرب وقت ممكن، كما أننا سنغسله وننظف أسنانه، ونحرص على أن يأخذ جميع لقاحاته".

ذكّرتها قائلاً: "نحن ننجو بحياتنا".

"هذا لا يعني أننا لن نغتسل أو ننظف أسناننا يا كوين".

"إذاً، هل ستحتفظين به؟".

نظرت إليّ وابتسمت قائلة: "أنا أحتفظ بك أليس كذلك؟".

| 16 |

قُيِّم النزل بنجمة واحدة فقط، وكانت الغرف نظيفة ورثة في الوقت ذاته. هناك ثلاث غرف متجاورة متاحة. لم يكن النزل يطلب هوية إن دفعت نقداً، ولم يكن عامل الاستقبال مبالياً لدرجة أنه سيعطي أي شخص غرفة إذا دفع له مقدماً حتى لو كانت يداه ملطختين بالدم، ويحمل خنجراً بين أسنانه.

اجتمعنا في الغرفة الوسطية حيث ستمكث بريجيت، وأفرغنا الكيس على السرير. جلسنا جميعاً على السرير لنعدّ المال في حين كان العضو الجديد في فريقنا يلتهم علبتين من طعام الكلاب جلبناهما من متجر على الطريق. لم يكترث الكلب لفكرة أنه يأكل من علبة بلاستيكية كانت تقليداً رخيصاً لأواني تابروير كنا قد جلبناها من المتجر أيضاً. كانت ترتسم ملامح الدهشة على وجهه عندما يرفع رأسه عن الطعام وكأنه يفكر: ***لِمَ كانوا يطعمونني الطعام المطحون مع مُقَل أعين في الوقت الذي يوجد فيه مثل هذا الطعام اللذيذ؟***

عددت خمسة وثلاثين ألفاً، وعدت بريجيت أربعين ألفاً، ثم جمعت كدسات النقود، ووضعتها في كيس بلاستيكي يمكن إغلاقه، ثم قالت: "بوسع جدي أن ينهي العدّ. هيا بنا نشتري سيارة".

قلت لها: "لقد تجاوزت الساعة العاشرة، من سيبيع سيارة في هذا الوقت؟".

"سنتدبر الأمر يا عزيزي".

"ألا نستطيع تأجيل الأمر حتى صباح الغد".

"كلا، من المؤكد أن البويك أصبحت مطارَدة، وعلينا التخلص منها".

قال سباركي: "استمتعا بوقتيكما".

قفز وينستون على السرير؛ ربما أراد أن يساعد في عدّ النقود وفرزها.

قلت: "يبدو أنكِ نجحت في عملية إعادة تأهيل وينستون، ولكنه لا يزال كلب هجوم في أعماقه. أيجدر بنا أن نترك جدك معه؟".

أرشدتني إلى البويك وقالت: "لن يؤذيه جدي".

أُطفِئَت مصابيح لافتة النزل لأنه كان محجوزاً بالكامل، وكسرتِ النجوم رتابة الظلام الدامس لامعةً مثل مصابيح متوهجة.

إن لتاكسون غطاءً سحبياً محدوداً بسبب مناخها الجاف، كما أنها تتمتع بإشعاع شمسيّ يدوم وقتاً أطول من أي مدينة أخرى في البلاد، أما ليلها فيعطي شعوراً بالخلود.

قادت بريجيت السيارة لأن مغناطيسيتها الروحانية كانت مشحوذة أكثر مني، وكانت واثقة من أننا سنجد أحداً ليبيعنا سيارة في ذلك الوقت من اليوم.

قالت: "الثقة هي وقود المغناطيسية".

"بِمَ كنت واثقة عندما جذبتك قدرتك إلى مصنع القنابل؟".

"لا تتحاذق يا كوين".

"أنا أشعر بالفضول حقاً".

سرنا عبر شارع عريض، ثم عبر شارع أضيق وصولاً إلى زقاق وهي تقول: "في العام الماضي قمنا برحلة إلى أوستن. كان لجدي صديق من الأيام الخوالي يدعى هاري بيسميكر وكان التواصل بينهما مقطوعاً. أفادت الشائعات أن هاري انتقل ليعيش في تاكسون، ولكننا لم نجد رقمه في دليل الهاتف. تولت المغناطيسية المهمة عندما أخبرني جدي بتاريخ بيسميكر الحافل. جذبتنا المغناطيسية إلى مصنع يدعى ***اتحاد بيسميكر صنّاع السلام***، ودخلنا عبر الباب الرئيسي؛ لم يكن هناك أحد في البهو العام. كان هناك زر اتصال، ولكنه لم يعمل، ولأن جدي لا يخشى شيئاً، فتح باب شباك الاستعلامات كي يبحث عن أحد ما وتبعته، وجدنا صالة كبيرة تعجّ بالمسدسات الهجومية والبنادق. في وسط الغرفة كان هناك طاولات جلس إليها ثلاثة رجال يصنعون قنابل بواسطة مادة سي فور المتفجرة كما استخدموا الهواتف المحمولة كمحرّض للانفجار. أنت تعتقد أن الإرهابيين لديهم على الأقل وعيّ بإجراءات الوقاية، ولكنهم ليسوا كذلك. إن الأشخاص أمثالهم يفتقدون للقدرات العقلية الكاملة".

"هذا يعني أن صناع السلام هم إرهابيون في الحقيقة".

"إن النفاق سائد في هذه الأيام، ومعظم الأشخاص لا يعون ذلك. إنهم يعارضون التمييز العنصريّ في الوقت الذي يتصرفون به بعنصرية، كما أنهم يعارضون الفاشية ولكنهم يتصرفون مثل الفاشيين بدورهم. لقد أصبح العالم غريباً".

"على الجانب الآخر، عندما تفجّرين شخصاً، فإنه يحظى بالسلام الأبديّ، أي هناك جانب من صنع السلام في أولئك الإرهابيين. ماذا حصل في مصنع القنابل؟".

"لقد تشاجرنا".

"ولم تخسرا بالطبع".

"نحن دائماً مستعدان لمواجهة المتاعب، لذلك نحن نفضل الرحلات البرية على الجوية".

"هل تحملان الأسلحة معكما دائماً؟".

"بعد أن بلغت الخامسة عشرة من عمري، وتبعني السيد سكاتلر إلى المنزل، وضرب جدي بعصى، وحاول أن يغتصبني قبل أن يقتلنا".

أزعجتني فكرة أنني كيتيم عشت حياة أكثر استقراراً منها، وأردت أن أعتذر على هذا، فقلت: "من كان السيد سكاتلر؟".

"كان أستاذي في اللغة الإنكليزية، بعد تلك الحادثة تابعت تعلّمي في المنزل".

"فكرة سديدة. ماذا حصل للسيد سكاتلر؟".

"أبعدته عني بسكين حفر تعمل على البطارية بينما ضربه جدي بواسطة مطرقة المناظرات".

"مطرقة المناظرات؟".

"إنها مطرقة خشبية كالتي يستخدمها القاضي ليرفع الجلسة. كان

السيد سكاتلر مسؤولاً عن المناظرات. لقد أحضر المطرقة بمثابة سلاح".

"قلت إنه ضرب سباركي".

"أجل بواسطة تلك المطرقة. يمكن أن تستغرب هذا، ولكنه من الصعب أن تطيح بجدي؛ حتى لو غاب عن الوعي، فهو يرفض أن يظل على هذه الحال لوقت طويل".

طمأنتها قائلاً: "لا أجد هذا غريباً جداً".

قالت وهي تركن السيارة بجانب الرصيف: "لقد وصلنا".

كان الحي إما ضمن قطاع الاستخدام المختلط(4) أو كان سكنياً في السابق، ثم أعيد توصيفه وإضافة الاستخدام الصناعي إليه. كانت النتيجة حيّاً غير متجانس مؤلفاً من بيوت منفردة سكنية ومطاعم للأكل السريع، ومرائب للسيارات المستعملة، ومراكز تجارية صغيرة تتراوح بين ستة إلى ثمانية طوابق.

ركنت بريجيت أمام عقار مؤلف من مبنيين؛ كان المبنى الأول منفرداً ذا طابقين مع سقف جملوني وأغطية على النوافذ وشرفة أمامية واسعة مزينة بأعمدة حجرية، أما المبنى الثاني فكان يشبه ملجأ معدنياً ذا باب يفتح إلى الأعلى وعليه لافتة كتب عليها: ***مركز باتش هامر الأمريكي لصيانة السيارات***. كانت هناك سارية عليها العلم الأمريكي بين المبنيين يرفرف مع النسيم العليل.

ركنت سيارة فورد إكسبلورر أمام مرأب الصيانة، وقد غُلقث على

إحدى نوافذها لافتة كتب عليها للبيع.

كانت الساعة تشير إلى العاشرة والثلاث والثلاثين دقيقة، أي بعد مضي ثلث ساعة عن مغادرتنا النزل.

قالت بريجيت: "ينتابني شعور جيد حيال هذا الموضوع".

قلت لها معترفاً: "لا يبدو المكان مصنعاً للقنابل".

خرجنا من البويك، ومعنا الكيس البلاستيكي المليء بالمال. لم تتجه بريجيت نحو المرأب بل إلى المنزل، كانت خطواتها ثابتة دلت على أن الجاذبية كانت تقودها، وبدأت أشعر بها أنا الآخر.

كانت الستائر مسدلة على نوافذ الطابق الأرضي، تخللها ضوء خافت كان أقوى عند الزوايا. أظهر ضوء الشرفة أن المنزل قد طُلِيَ باللون الأزرق الفاتح مع حدود بيضاء، وبدا أنه يحظى بصيانة جيدة. فوق الباب كان هناك نافذة من الزجاج الملون بالأحمر والذهبي والأزرق، وقد أعطت تلك النافذة إحساساً بالحراسة الإلهية حيث كتب عليها عبارة يا الله بارك هذا المكان.

استنتجت أن آل رينكينغ لا يحتملان التفكير السلبي، ولأنني وددت أن أقبل بعرض الزواج من بريجيت الذي اقترحه جدها، امتنعت عن إظهار تهيبي من تعاون سكان المنزل الذي تتجه إليه بريجيت وهي تفكر بصفقة مشبوهة. جلبت مبلغاً يعادل خمسة وسبعين ألفاً لشراء سيارة لا تبلغ قيمتها سوى جزء بسيط من ذلك المبلغ. أرادت أن تشتري سيارة من دون الحاجة إلى توقيع عقود أو أوراق أو دفع ضرائب. يجب على سكان ذلك المنزل الذين يلجؤون لله أن يتوقعوا

أنه يعلم ما خفي وما ظهر، وأنه سيمطر عليهم بحجارة من سجيل في حال قيامهم بأفعال إجرامية. أياً يكن الأمر، لم أتفوّه بحرف كي أضمن السعادة الأبدية.

قالت بريجيت وهي ترنّ الجرس: "أنا من ستتكلم".

وافقتها قائلاً: "بالطبع".

غطى الرجل الذي استجاب لرنين الجرس الباب عرضاً وطولاً؛ لا بد أن طوله بلغ ست أقدام وخمسة إنشات ووزنه بين ستين وسبعين رطلاً، كما كان صدره كصدر الدب وكتفاه ككتفَي ثور، ورقبته أثخن من أي مخلوق أنتجته الطبيعة. كان في الخمسينات من عمره تقريباً، حليق الرأس وكانت عيناه زرقاوين ثاقبتين وشاربه أشيب، أما ذراعاه فكانتا قويتين لدرجة أن أرنولد شوارزينيغر سينحني له احتراماً، أما كفاه فكانتا كبيرتين لدرجة أنه يمكنه خنقي بإصبعين فقط. انتعل حذاء مهندس وبنطال جينز وسترة سوداء كتبت عليها عبارة واحدة: لا تفعل ذلك.

قالت بريجيت: "أتوقع أنك السيد باتش هامر؟".

ظهرت أسنانه بيضاء ومتسقة كمفاتيح البيانو عندما ابتسم قائلاً: "أجل يا سيدتي. إلى من أتحدث في هذه الأمسية الجميلة؟".

توقعت أن تخترع شخصيتين وهميتين لنا، ولكنها قالت: "أنا بريجيت رينكينغ وهذا كوين كويكسيلفر؛ إنه يتيم ولم يعرف والديه اللّذين أطلقا عليه هذا الاسم، كوين خطيبي مع أنه لم يشترِ لي خاتماً بعد، نحن مهتمان بسيارة الفورد إكسبلورر، ولدينا صفقة غير

مسبوقة نودّ أن نعرضها عليك".

عاينها، وابتسم لها، ثم أومأ برأسه. بعد ذلك، نظر إليّ، وقرر أنه لن يعاني في قتلي، ثم قال: "هيا بنا لنتشاور بشأن تلك الصفقة".

| 17 |

كانت غرفة المعيشة مزينة بسجادة ذات نمط متشابك على شكل جواهر. إن الأثاث الخشبي البسيط والأنيق كان يشبه أثاث منزل صمّمَته شركة غرين أند غرين، وقد نُجّدَ بقماش أزرق وذهبي، هناك ثلاثة مصابيح متوهجة في المنزل، نُقِش على اثنين منها وردة لافندر، أما الثالث فقد نُقِش عليه ورد وشرائط، كما أضافت لوحات ماكسفيلد باريش سحراً فنياً على الغرفة، وتدلت على الجدار خلف الأريكة مجموعة صور بلغ عددها اثنتي عشرة صورة؛ كانت تلك الصور لأربعة شبان وفتاتين.

توقعت أن أرى ملصقات لفرق ميتل ولشركة هارلي ديفيدسون، ولاحقاً، لاحظت أن الوشوم لم تغطّ ذراعي باتش هامر، وهذا كان كفيلاً في أن يغيِّر وجهة نظري تماماً.

قال وهو يرشدنا من البهو إلى غرفة المعيشة: "لدينا ضيوف يا أمي".

المرأة ذات الشعر البنّي التي ظهرت من باب الرواق إلى غرفة المعيشة كانت يافعة جداً؛ بدت وكأنها زوجته. انتعلت حذاء أبيض وارتدت بنطالاً أخضر وسترة بيضاء أنيقة سبق لها أن رفعت كمّيها، كانت رشيقة القوام طولها قرابة الخمس أقدام والثمانية إنشات، ولكنّها بدت قصيرة مقارنة بزوجها. عرّفنا إليها باسم كريسيدا، ولكنها طلبت منا أن نناديها كريسي. سألتنا إن أردنا القهوة أو شيئاً آخر، ولكن بريجيت قالت لها ألا تُتعِب نفسها، ولكن كريسي قالت إنّ لا

تعبَ في ذلك، فأجابتها بريجيت أن الصفقات تصبح أفضل مع القهوة اللذيذة، حينها ذهب باتش إلى المطبخ ليعاون زوجته في إحضار القهوة.

جلست وبريجيت على الأريكة، ووضعت كيس النقود بيننا.

قلت لها: "لطالما تساءلت كيف يبدو منزل ثور".

"أصبحت تعرف الآن".

"لِمَ استخدمتِ اسمينا الحقيقيّين؟".

"كان سيعرفهما، وعندها لن يتعامل معنا".

"كيف كان سيكشف مواربتك؟".

"بسبب ماهيته".

"ماذا تقصدين؟ ما هي ماهيته؟".

"لا أدري. إنه ليس منا أو من الصارخين، ولكنه نوع مختلف".

"نوع مختلف؟".

"أجل، هناك حرب خفية لا يتحدث عنها أحد في الأخبار. أنا وأنت وجدي والعديد من الأشخاص الآخرين نمثل طرفاً منها، أما الصارخون فيمثلون الطرف الآخر. وهناك أشخاص تقابلهم كباتش وكريسي اللّذين يبدوان أنهما يشكان في حقيقة العالم، ولكن ليس لديهما دليل قاطع. إن الأشخاص من تلك الفئة... صالحون، وعادلون، وقابلون للإقناع وسيساعدونك في حال طلبت النجدة إذا

احترمتهم، وأثبتّ لهم أنك صريح وصادق".

"حسناً، ولكن كيف يتأكدان من قولك الحقيقة؟".

"إنهما يعرفان وحسب، وعلى الأرجح لا يعرفان السبب. إنها هبتهما".

فكّرت في هذا لثوان، ثم قلت: "تلك العبارة التي على السترة ما معناها برأيك؟"

"معناها الحرفي وحسب".

صمتّ لوهلة ثم قلث: "ما احتمال أن يضعا حبوباً مخدرة في القهوة، ثم نستيقظ ونلاحظ أننا مكبّلان ومعروضان للبيع في السوق السوداء أمام تجّار الأعضاء؟".

قالت: "صفر بالمئة تقريباً".

"ما الذي يجعلك متأكدة إلى هذا الحدّ؟".

"بسبب ماهيتي".

"إن أسلوبك ملتوٍ".

لم تقل شيئاً، واكتفت بالابتسام والتربيت على ركبتي.

"تمنيت لو اكتفيت بكلمة صفر، ولم تضيفي إليها كلمة تقريباً".

"إنها كلمة ضرورية يا عزيزي. لا أحد مثاليٌّ".

عاد باتش وكريسي بسرعة الضوء ومعهما صينيّة عليها قهوة

بخليط جامايكيّ. كان هناك بعض المواد الأخرى لتحسين الطعمة حسب الرغبة، كما كان هناك حلوى صغيرة والعديد من البسكويت.

وضعت وبريجيت قشطة حليب بيلي في قهوتنا التي كانت لذيذة جداً بالإضافة إلى الحلوى الشهية.

قالت كريسي عندما جلست أمامنا: "قال لي باتش إنكما مخطوبان".

قالت بريجيت: "لقد خطبنا اليوم بشكل شاعريّ".

قلت لهما: "لم أشترِ خاتماً بعد حيث لم تتسنَّ لي الفرصة لذلك، كنا مشغولَين جداً، ولكنني أعرف كيف سأنفّذ هذا. أقصد أنني أعرف من أين سأشتري الخاتم".

حدّق باتش وكريسي إليّ بشفقة.

قالت: "استرخِ وتماشَ مع الأمر أيها الفتى، لا داعي للتوتر، إن الزواج يشبه سفينة متينة تصمد في وجه شتى العواصف".

قال باتش: "أنت فتى يافع ومحظوظ كما كنت محظوظاً في السابق"، ابتسم لزوجته ثم أضاف: "ثم انقلب الحظ ليصبح كنزاً لا يُقدَّر بثمن".

أرسلت كريسي قبلة إلى زوجها ثم قالت: "لا تزال يافعاً في نظري يا سيد هامر"، ثم سألتني: "ماذا تعمل؟".

"أنا أكتب مقالات في مجلة أريزونا!".

"في الحقيقة، لقد فكّرنا في الاشتراك بها".

قال باتش: "ولكن علامة التعجب أزعجتنا".

قلت له: "أتفهّم هذا. إننا نبدو وكأننا شركة تدعم الإنتاج المحلي، ولكننا لسنا كذلك".

قالت بريجيت قبل أن يسألاها عن عملها: "كيف يمكنك يا كريسي مزج الكثير من النكهات في هذه القوالب الصغيرة؟".

تحدثنا قليلاً عن خبز المعجنات، وعن المصابيح المنقوشة التي يصنعها باتش وكريسي كعمل رديف، كما تحدثنا عن الصور التي على الجدار، والتي تبين أنها صور أولادهما الستة خلال مراحل حياتهم من الثانوية إلى حفل التخرج. كان أحدهم طبيباً، والآخر طبيب أسنان، كما هناك ضابط في السلاح الجويّ، ومستثمر في أحد صناديق الاستثمار، وكانت إحدى ابنتيهما تعمل لنيل شهادة متقدمة في علم الذرة. شعرت بالفشل مع أنني كنت أتمتع بالمغناطيسية الروحانية وقدرة رؤية الوحوش مع أنني لم أبلغ سن العشرين.

أخيراً، قال باتش: "لنبحث في موضوع الإكسبلورر. لقد أعدت صناعة تلك الجميلة بنفسي. إنها ممتازة ويمكنك تفحّصها".

تقدمت بريجيت على الأريكة وقالت: "نحن على ثقة بكلامك، لدينا عرض غير مسبوق".

"سبق لك أن قلتِ ذلك، أنا متشوّق لسماع عرضك".

"نريد أن نعطيك سيارة بويك قديمة مقابل لا شيء".

قال باتش: "تعجبني هذه الصفقة حتى الآن".

"ونريد منك أن تفككّها أو تسحقها إلى مكعب في ساحة الخردة كي لا يعثر عليها أحد".

قالت كريسي: "كي يتعذّر على مُلاحِقها أن يلاحقَها".

"تماماً يا سيدتي".

"أنا قلقة عليكما يا عزيزتي".

"لا داعي لذلك يا سيدتي. نحن نستطيع تدبر أمرنا".

قال باتش: "هذه العبارة يكثر ترددادها، تابعا".

قالت بريجيت وهي تضع المال على الطاولة: "هذه خمسة وسبعون ألف دولار".

أظهر تعبير باتش غير المبالي أنه اعتاد على الناس الذين يريدون دفع المزيد من أجل تحقيق غايات معينة. أبعد كوب القهوة الذي اختفى تقريباً بين يديه الكبيرتين ثم قال: "يبلغ سعر الفورد أقل من هذا المبلغ بكثير".

"لا نريدك أن تسجل الأرباح في دائرة الإيرادات الداخلية أو عملية الشراء لدى دائرة المركبات في كاليفورنيا".

قالت كريسي لزوجها: "لا يريدان أن يربطا اسميهما بالسيارة".

طمأنها قائلاً: "أفهم ما يريدانه يا عزيزتي".

قالت بريجيت: "لا مشكلة في النقود"، ثم فتحت الكيس، ووضعت

كدسات المال على الطاولة.

وضع باتش مرفقيه على مسندي المقعد، ثم وضع ذقنه على قبضته وحدق إلى عيني بريجيت وكأنها بنك معلومات. أخيراً سألها: "من أين حصلتِ على هذا المال؟".

بدورها حدقت إليه قائلةً: "سرقناه من أشخاص لم يحصلوا عليه بجدارة، لقد سرقناه من عصابة مخدرات، لم يعلموا أننا سرقناه، كما أنهم لن يعرفوا من سرق المال عندما يكتشفون الأمر".

"هل أنت متأكدة؟".

"بالطبع".

"هل تتاجرين وكوين بالمخدرات؟".

قالت بريجيت: "كلا، نحن نكره تجار المخدرات وأمثالهم. إذا اعتقدت أنني من أمثالهم فدقّق في كوين، من المستحيل أن يصبح تاجر مخدرات في حياته".

"لقد دقّقت فيه، وأنا واثق مما تقولينه عنه، ولكن التدقيق فيك أكثر صعوبة".

"أنا صادقة".

"أعرف، ولكن ما أقوله إن التدقيق فيك أكثر صعوبة".

قالت كريسي: "إنها تشبهني. كنتُ صلبة عندما كنت في عمرها".

وقف باتش هامر لوهلة، ونظر إلى صور أولاده، ثم توجه إلى

النافذة، وأبعد الستارة قليلاً ليتأمل الليل وكأن المنزل تحت المراقبة.

سألت بريجيت: "هل هناك جهاز تحديد مواقع في الإكسبلورر؟".

أسدل باتش الستارة مجدداً، وأشاح بوجهه قائلاً: "كلا، لقد اشتريتها من ساحة خردة بعد تعرضها لحادث. لقد أزيل ملفها من سجلات دائرة المركبات في كاليفورنيا، ولم أعاود تسجيلها حتى الآن".

"ممتاز. في هذه الحالة يمكنك القول إنك استخدمت قطعها وحسب".

جاب باتش الغرفة، وحدق إلى مفروشاته، وكأنه يعاينها قبل أن يغادر إلى الأبد. كان ضخماً جداً بالنسبة إلى ذلك المنزل.

عاد إلى مكانه، وبدا منزعجاً، ثم قال: "ما الذي تهربين منه يا بريجيت؟".

"من جهاز الأمن الداخلي، هل سمعت به؟".

كانت تعابير اشمئزازه جواباً وافياً.

قالت كريسي: "إنه نظير جهاز البوليس السري الألماني. من كان يتخيل أن ينشأ في أمريكا مثل هذا الجهاز؟".

بدت عينا زوجها الزرقاوان نافذتين لحريق أضرم في عقله، فسأل: "لماذا يلاحقونكما؟"، ثمّ ركّز عينيه عليّ وقال: "أهذا بسبب مقال كتبته في تلك المجلة التي تنتهي بعلامة تعجب؟".

نظرت إليّ بريجيت، ورفعتُ كتفيّ.

قالت: "لا يا سيدي، لا علاقة لكتابات كوين بالأمر. تواصلنا مع موقع تعرف إلى نفسك كي نعرف أصلنا، وقد أخبرت الشركة جهاز الأمن الداخلي عن مورثات غير طبيعية في حمضنا النووي".

ضرب باتش هامر قبضته على فخذه ثلاث مرات وقال: "اعتاد الناس أن يعتبروا كتاب جورج أورويل 1984 إنذاراً بالمستقبل، أما الآن فهم ينظرون إليه على أنه مصدرٌ للإلهام. إن أصلكما شيء خاصّ بكما، وليس لجهاز الأمن الداخلي علاقة به".

بعد فترة من الصمت، سألته بريجيت: "هل وافقت على الصفقة؟".

قالت كريسي وهي تتناول قطعة بسكويت من الصينية: "ماذا عن اللوحة يا عزيزتي؟".

"سنستخدم لوحة البويك التي انتزعناها من سيارة بورش، ثم سنبدّلها بلوحة أخرى غداً. يمكننا تكرار هذه العملية كل بضعة أيام، وبذلك نتفادى بحثهم عن لوحة مسروقة".

قال باتش: "إن المبلغ الذي تعرضينه كثير جداً على الرغم من المخاطر المحدقة. إنكما تحتاجان كل المال الذي يمكنكما توفيره في عملية هروبكما. سنأخذ سبعة وثلاثين ألفاً".

قالت بريجيت وهي تعاين صور أولادهما: "لا بد أن تعليمهم كلفكما مبالغَ طائلة".

قالت كريسي: "لقد حصلوا على منح، ولكن كان هناك مصاريف

إضافية".

قالت بريجيت: "لا يزال أحدهم يدرس. يمكننا الحصول على المال عندما نحتاج إليه. سنحصل على أموال الأشرار ونستخدمه في خدمة الأخيار. سيحل ظلام دامس على هذه الدولة غالباً. خذا المبلغ كاملاً. هذا هو عرضنا الأخير".

قبل آل هامر بالمبلغ على مضض.

عندما ودّعتنا كريسي، وأرشدنا باتش إلى الخارج قال لنا: "بدت تاكسون في السابق حصناً منيعاً ضد جنون العالم، ربما ليس هناك شيء محصّن ضد الجنون".

قاد الإكسبلورر إلى داخل المرأب وأدخلنا البويك بدورنا،، ثم وضعنا لوحة البويك على الفورد بعيداً عن الأنظار.

كان يوجد في ذلك المرأب الضخم رافعة هيدروليكية ومعدات أخرى، وكان مرتباً وأنيقاً كالمنزل المجاور.

عندما أصبحنا جاهزين للرحيل قال الرجل الضخم: "هناك شيء آخر. لقد أزلت الأرقام، وأي أثر لها عن هيكل المحرك عندما أعدت تركيب هذه السيارة، لن يستطيعوا تعقبي أبداً من خلالها فلا تقلقا".

سألته بريجيت: "لقد سبق لك أن قابلت أشخاصاً مثلنا أليس كذلك؟".

قال معترفاً: "القليل فقط. هل تستطيعان رؤية أمور غريبة يتعذّر على الناس الطبيعيّين رؤيتها؟".

أجبته: "نعم".

سألته بريجيت: "هل أنت مثلنا؟".

"لا، وأنا أحسدكما على ما أنتما عليه. كيف عثرتما عليّ؟".

أجابته: "نحن نُجذب إلى ما نحتاج إليه".

أضفت قائلاً: "وهذا ما نسميه المغناطيسية الروحانية".

اقترحت بريجيت شيئاً: "سؤال مقابل سؤال".

أومأ باتش برأسه.

سألته: "لا يستطيع الناس الكذب عليك أليس كذلك؟".

"يحاول معظمهم، ولكنني أكتشف الحقيقة دائماً، وهذه حال كريستي أيضاً. إن الكذب منتشر على نحو مخيف. بِمَ أنتما متورطان؟".

أجابته: "نحن متورطان بما يتورط به الجميع، أنت مثلنا متورط".

قلت له: "نحن في مهمة".

خالفتني بريجيت الرأي وقالت: "نحن في وضع أصعب بكثير من أن يكون مهمة".

قلت لباتش: "هذا أمر لا زلنا نختلف فيه".

قالت بريجيت: "نحن نحاول فهم الأمر بشكل أوضح. سنعلم عندما نكتشف الأمر".

قال باتش: "حاول الذين أتوا قبلكم فهم الأمر بشكل أوضح أيضاً؛ إن الأمر الذي يتفق عليه الجميع هو أن هناك خطراً جسيماً يحيق بنا".

قالت: "لطالما كان الخطر يحيق بنا".

عبس وقال: "أعتقد أنه خطر غير مسبوق. كونا حذرين، وليكن التوفيق رفيقكما".

اختفت يدي عندما صافحث باتش.

وقفت بريجيت، وقبّلت وجنته.

في تلك الأثناء، وصلت كريسي ومعها قطع بسكويت وحلوى بألوان عيد الميلاد. قالت كريسي: "نحتفل بعيد الميلاد كل يوم هنا". لاحظت أن دور بابا نويل يليق بباتش هامر كثيراً إن وضع لحية بيضاء، ولكنه سيُرعب بعض الأطفال الصغار. قالت كريسي: "تشاركا هذه الحلوى مع من تريدان. إن الحلوى تساهم في تذليل العقبات".

| 18 |

عدنا إلى النزل قبل منتصف الليل بقليل، ووجدنا سباركي رينكينغ في غرفة حفيدته يشاهد برنامجاً على قناة أرضية. "يبدو أنهم يتحدثون عن أخبار كوكب آخر، لأنها لا تماثل أخبار كوكب الأرض الذي أعرفه".

لم تذكر أية قناة إطلاق النار في استراحة الشاحنات، إذ لم ترتقِ عملية قتل شخصين لأن تذكر في الأخبار، فهي لم تكن عنيفة بما فيه الكفاية. أنهى سباركي عدّ المال؛ كان بحوزتنا بالإضافة إلى المبلغ الذي دفعناه إلى باتش مئة وتسعون ألفاً. كان المبلغ معظمه من أوراق المئة دولار، والقليل منها من فئة العشرين.

"نظفت يدي بعد أن انتهيت من العد، ولكنني لم أشعر أنني نظيف بما يكفي. لم أتجاوز فكرة أن هذا المال جُني بشكل منافٍ للأخلاق. دخلت الحمام مع وينستون، ووضعت بعض الشامبو عليه. إن رائحته تشبه الليمون. ليس علينا أن ننظفه غداً، ولكن يجب أن ننظف أسنانه في القريب العاجل".

أخبرنا سباركي عن سيارة الفورد إكسبلورر وهو يتذوق حلوى عيد الميلاد، وعن زيارتنا لمنزل باتش، بعد أن قاطعنا عدة مرات، وهو يقول إنه سيتزوج المرأة التي صنعت هذه الحلوى إذا أصبحت متاحة يوماً. اتفقنا على الانطلاق في تمام الساعة الثامنة صباحاً، ثم تمنينا ليلة سعيدة لبعضنا وافترقنا. عدت إلى غرفتي، وعاد سباركي بدوره إلى غرفته، وبقي وينستون مع بريجيت. لم أعرف وضع

سباركي الصحي، ولكن مفاصلي وعظامي كانت تؤلمني بعد هذا اليوم الشاق.

اغتسلت بماء ساخن، ثم نشفت نفسي، وارتديت ملابس النوم، وجلست على السرير بعد أن جافاني الكرى، ونخر الصمت عظامي. كنت واثقاً أن ما من وحش يتربّص بي في الظلام، ولكن الصمت أوحى لي أنه متخفٍّ. بدأت أقتنع دقيقة بعد دقيقة بوجود شيء قريب يسمعني، وأنا أعاين وجوده.

شغّلت قناة أرضية تعرض إعلانات عن ثياب داخلية وأدوية إسهال.

يبدو هذا غريباً، ولكنه ليس أغرب من كل شيء أخبرتكم به: لم أعد أعرف نفسي تماماً، كما أنني وجدت شخصيتي الجديدة مخيفة. لاحظت أنني شخص غريب خلال النهار، ومختلف عن ذلك الشخص الذي استيقظ كي يعمل في مجلة أريزونا! صباح الأمس. لقد تبخّر تماماً الطريق الذي سبق لي أن رسمته للمستقبل في ظل الطريق الجديد الذي لم أدرك أبعاده ووجهته بعد. لقد قتلت عميلَين فيدراليّين مع أنني فعلت ذلك دفاعاً عن النفس، وأصبحت فارّاً من العدالة وخاطباً، وسأعقد قراني في القريب أو شيئاً من هذا القبيل، كما استطعت رؤية الوحوش. لم يتغير العالم، ولكن ما تغيّر بشكل جذري هو رؤيتي له، وهذا التغيير الجذري انعكس بدوره عليّ.

سكنتني فكرة أن أصبح محارباً؛ لم يسبق لي أن رأيت نفسي محارباً كما أنني لم أرد أن أكون محارباً. أردت أن أتجنب الإسهال،

وأرتدي سراويل داخلية حريرية، وأمتلك مطبخي الخاص الذي سأملأه بالأدوات المنزلية الغريبة. أياً يكن الأمر، لم يبدُ أن القوى الغامضة في حياتي ستعطيني حرية الخيار. سيجدر بي إما أن أكون محارباً أو أن أموت. كنت سأموت في الحالتين على الأرجح لأن دور المحارب لا يناسبني.

بالمقابل، كانت القوى الغامضة عطوفة مهما تكن ماهيتها في اليوم الذي عثرت فيه على قطعة النقد. لقد تلاعبت بي بالطبع، ولكنها فعلت ذلك لتنقذني من شراك رجال جهاز الأمن الداخلي، وترشدني إلى طريق زوجتي المستقبلية المشرقة والجميلة. إن تغيّرت فعلاً، فلعل هذا كان ضرورياً لأتأقلم مع حقيقة العالم كي أنجوَ. إن كنت موظفاً لدى قوة غريبة، فلعل هذا أفضل من أن أستكين لكتابة المقالات عن المنازل المتعفنة الواقعة على تقاطع طريق سريع مهجور على الرغم من التشويق الذي تسببه تلك المقالات.

لعله يجدر بي أن أمتثل للقول السائد بين سكان كاليفورنيا "امشِ مع التيار"، ولكن هذا ما يحدث مع سمكة ذهبية ميتة عندما تدفق عليها مياه المرحاض.

أخفضت صوت التلفاز، وتركته يعمل كضوء خافت، واستغرقت أخيراً في النوم على دعاية لشركة محاماة متلهفة لتقدم لي التسوية المالية التي أستحقها إذا سقطت على درج شركة تجارية طويل، أو إذا وجدت أن شاحنة ذات ثماني عشرة عجلة يقودها موظفون متهورون تابعون لشركة شحن عديمة الشفقة قد حطمت مقدمة سيارتي.

لا أتذكر أنني حلمت أو راودتني كوابيس، ولكن أياً يكن الأمر، كنت سأستيقظ مذعوراً في صباح اليوم التالي. استيقظت عند الساعة السابعة والاثنتي عشرة دقيقة على دعاية لكمامة مدعمة بصفائح النحاس للّذين يودون أن يتحضروا للجائحة القادمة أو الذين اعتادوا على تلك الكمامة وأصبحوا يعاملونها كقطعة أكسسوار للوجه بعد مرور الجائحة السابقة. لم تمر لحظة ذعري بعد.

كان لديّ القليل من التنظيف في الحمام لأنني اغتسلت في الليلة السابقة، وأخذت كتابي معي كعادتي. في أيام فينيكس السابقة، وعندما أجبرت على أن أحزم أمتعتي كي أهرب، أخذت معي مذكرات لممثل مشهور ولا أدري لماذا. كان العنوان يحتوي على كلمة حب، ولكن الفصل الأول تحدث عن الناس الذين يكرههم ولماذا كان يكرههم من الصميم.

مرحباً بكم في يوتوبيا.

نظّفت يديّ، وحلقت ذقني بعد أن وضعت كتابي على الخزانة قرب المغسلة. بينما كنت أعاين وجهي كي أرى إن فوّتّ بقعة لم أحلقها، تنبهت لحقيقة أن مذكرات الممثل لم تنعكس على المرآة، أي أن الكتاب كان موجوداً قرب المغسلة ولكنه لم يظهر على المرآة. شعرت بعدم الارتياح، ليس بسبب الخوف بل بسبب الحيرة، لذا وضعت يدي على المجلد لأتفحص المفارقة العجيبة بين الحقيقة والصورة المنعكسة ليس لأنني شككت في وجوده. نظرت إلى المرآة مجدداً بعد أن وضعت يدي على المجلد، ولكنه لا زال مفقوداً في الصورة

المنعكسة.

اختفيت أنا وحمام النزل من الانعكاس، وأنا أحدق في المرآة في حالة نكران تام، تحولت المرآة إلى نافذة تطل على طريق تحت أرضي ضيق مُنار بأضواء خافتة قادمة من الغرف التي تحفّ بجانبيه.

ما تلا ذلك كان عبارة عن مزيج من الحقيقة والمجاز، وكأنني جذبت إلى رؤيا معقدة جداً، وعميقة لدرجة أنه لا يمكن تفسيرها بواسطة الصور العادية والكلمات العابرة؛ لا يمكن تفسيرها إلا من خلال اللجوء إلى الرمزية المرئية من نوع بالغ الأهمية، ولكن الخطورة تكمن في التواصل مع لا وعيي الذي يزوّد بإجابات لن أتمكن من معرفتها حالاً بل خلال الأسابيع والأشهر القادمة.

المرآة التي تحولت إلى نافذة أصبحت باباً، جُذبت من عتبته من دون أن أخطوَ خطوة واحدة، وكأنني عديم الوزن، لا أعتقد أنني ذهبت إلى أي مكان بجسدي، فالحركة التي كنت أشعر بها كانت وهمية، كنت أرى من منظور كاميرا مثبّتة على طائرة من دون طيار، وكنت أجوب متاهات الأنفاق الواسعة والضيقة، وأمرّ بين الغرف التي تفضي إليها تلك الأنفاق والكهوف الكبيرة عبر البحيرات الداكنة التي عرفت أنها أحواضٌ تشير إلى الأجيال والوقت. تغيرت الجملة الإنشائية في ذلك المبنى باستمرار، وكانت تخدم العمارة السريالية التي يمكنها أن تخفي أي رعب في ثناياها ينتظر بحماسة أن يُغذّى بالشيء الذي يتوق إليه.

كونّت جدران الطين نفسها كي تصبح حجارة، ثم أصبحت الحجارة فولاذاً، وأصبح الفولاذ موادّ عضوية؛ مادة لحمية تنبض لؤماً وشراً، وبعدها أصبحت المواد العضوية حِمماً بركانية مشتعلة، ثم تصلّبت لتصبح ألواحاً من العظام زينتها بعض الجماجم التي زحفت فيها كائنات متلألئة لم يسبق لي أن رأيت مثلها؛ لعلها كانت دوداً أو حشرات أو أشياء لا يمكنني أن أضع لها اسماً معيناً.

كانت هناك غرف فيها رجال ونساء موتى بالطبع، وقد عُلق أولئك الأشخاص على الجدران، أو مُدِّدوا في التوابيت، كما كان يشع نور طيفي من أفواههم المفتوحة، وأعينهم الغائرة، وفتحات أنوفهم التي لا تعبرها الأنفاس، ووجدت أشخاصاً في غرف ذات إنارة خافتة يعانون من قبضة رجال ونساء عديمي الرؤوس، كما كان هناك غيلان تلتهمهم، كما جُسّد في لوحة غويا ساتورن يلتهم أولاده. رأيت أشخاصاً عراة يركضون مذعورين ضمن ممرات مهجورة إما هرباً من خطر يحيق بهم أو توقاً إلى شيء يناديهم. كانوا يركضون أحياناً باتجاه مقطورات فيها أناس يمدون أيديهم بيأس واستماتة. رأيت أناساً في أنفاق نظيفة كزجاجة نبيذ داكنة يطوفون فوق الأرض، وكأنهم لا يخضعون لجاذبية الأرض، لم يكن هناك صوت سوى ضربات قلبي المتسارعة، وكأنني في فراغ عديم الهواء، ولا يمكنني إصدار أي صوت. انعطف نفق أخير، وصعد إلى الأعلى، فطفت فوقه بسرعة فائقة، وكأنني صاروخ قُذف بسرعة بسبب خطر وجودي. خرجت من الأرض إلى مدينة يحترق مركزها والنار تطال أطرافها تحت سماء منخفضة تعكس لهيب النار وكأن الجنة هي التي كانت

تحترق.

صدر صوت مفاجئ من الشوارع التي يغطيها الزجاج المحطم: صرخات ذعر، وعويل، وغضب غير معروف المصدر، وشتائم، وصلوات، وضحكات هيستيرية، وأصوات إطلاق نار، وانفجارات، وأصوات سيارات إسعاف، وزمامير، وسيارات تذهب من مكان مجهول إلى مكان مجهول آخر؛ إنه احتفال بالعدمية باسم العدالة التي هي انتقام بالفعل. ارتكبت الفظائع في كل مكان من دون التفكير بالعواقب: اغتصابات من قبل عصابات متطرفة، وضرب بالهراوات والحديد والسلاسل، وجرائم قتل عنيفة في حرب طالت الجميع، بدا الجميع متعطشين إلى النشوة، والدماء، والسلطة، والمال، وذلك النوع من التعطش الذي يُعرَف بخطيئة الحسد.

مر حصان مذعور بالقرب مني يجر عربة اندلعت فيها النيران، وركضت امرأة باكية وهي تحمل رضيعاً دامياً، ورأيت طفلاً في الخامسة من عمره تقريباً ينتقل من موت حتميّ إلى آخر، في الوقت الذي كانت فيه الحضارة تغرق في بحر من النيران. اخترقت المخلوقات التي تسمّيهم بريجيت الصارخين الفوضى العارمة وعاينوها بأعينهم الخفية. ارتعشت أصابعهم التي تشبه المجسات، وكأنها تشعر بصرخات أعدائها، وتحركت أفواههم كأنها تلتهم آلام القتلى. لقد مشى الصارخون من دون أن يخدشوا وكأنهم محصنون.

ارتددت إلى جدار الحمام وأنا حافٍ، وأرتدي ملابس النوم، وأمسك بمذكرات الممثل بيدي اليسرى، وعادت المرآة إلى أصلها، واختفت ملحمة الجنون والأسى، وحل صباح تاكسون العادي.

في غرفة النوم، جلست على الأريكة، ووضعت رأسي بين يديّ. تنفست بعمق، وانتظرت أن تهدأ ضربات قلبي.

مهما تكن تلك الرؤيا، فهي تشبه فيلماً وُجِّه باتجاهي كما لو أنه نداء الواجب، وتحذير طارئ بأن الحرب السرية قد أوشكت على الحدوث، وستكون على مستوى عالٍ، ولعلها تتحول إلى حرب أرمجادون.

شعرت أن الحرب ستطالني إن لم ألبِّ ذلك النداء. كان هذا ضرباً من القدر؛ إن تجاهلت قدري، ومشيت بالاتجاه الآخر، فلن أفلت من الأمر تماماً. ما كان سيحدث سيحدث لا محالة، ستسحقني تلك الكائنات القميئة التي تسنّت لي الفرصة أن أواجهها من دون مقاومة، إن هذه طريقة عمل الأقدار ولم تكن لطيفة. لم أرد أن أسحب السيف المنتظر من الصخرة، ولكن إن لم أسحبه، فسيسحقني هو والصخرة.

إن أردت أن أتحضر للمستقبل، يجب أن أعرف لماذا تُركت في مهد قرب طريق سريع مهجور.

نهضت عن الكرسي، ورميت مذكرات الممثل في سلة المهملات.

بينما كنت أرتدي ملابسي، وأتحضر لرحلتنا إلى بيبتو، ظهر إعلان عن مقلاة متطورة؛ أثبت ممثل الإعلان كفاءة المقلاة بصنع عجة الجبن فيها وتذويب السكر والشوكولاتة عليها ثم بمزج غراء وبلاستيك فيها. أزيلت الأطعمة الشهية من المقلاة من دون أن تترك أثراً عليها، ولكن الإعلان لم ينصحنا بنوع النبيذ المثالي لمقبلات الغراء والبلاستيك.

أنا أحب هذه الدولة، إنها أفضل دولة في الوجود إذا سُمِح لها بالبقاء.

كان سباركي وبريجيت ينتظرانني قرب سيارة الفورد إكسبلورر. جلس وينستون في المقعد الخلفي، وقد أخرج رأسه من النافذة الجانبية. لم يعد يشبه كلب الهجوم المخدر من قبل أفراد العصابة؛ فقد أعادت إلهة القمر تأهيله.

تبادلت وسباركي السؤال عن النوم، فقلت إنني نمت مثل حجر، وبدوره قال إنه نام مثل طفل رضيع؛ كنا نكذب على بعضنا. في البداية، لم تقل بريجيت شيئاً، وراقبتني عن كثب وأنا أحمل حقائبي وأمتعتهما وأضعها في صندوق السيارة.

سألتني عندما ذهب جدها ليجلس في مقعد السائق: "هل راودك حلم مزعج؟".

"لا، لكن لم يعجبني ما رأيته في المرآة هذا الصباح وحسب".

"أنت أيضاً أليس كذلك؟".

تفاجأت لأنني توقعت أنها خاضت تجربتي نفسها ثم سألتها: "ما كان هذا؟".

"إنه توجيه يساعدنا على معرفة نوايا أعدائنا، لقد كشف لنا العالم الذي يسعى إليه الصارخون وأعوانهم إذا أتيحت لهم الفرصة".

"أعوانهم؟".

"كما لدينا أناسٌ كباتش هامر وكريسيدا هامر وجدي بالمقابل،

وهناك أغبياء يعتقدون أن العالم التي تسوده العدمية الصرفة هو يوتوبيا. سيحقق لهم الصارخون العالم الذي يبتغونه والذي هو عالم من دون حدود، والذي سيحكمه الصارخون، وسيلاحظون بعد فوات الأوان أن العالم الذي طمحوا إليه هو ستار للمعاناة والموت".

شغّل سباركي محرّك السيارة.

"هل تخفين ما رأيته عن جدك؟".

صحّحت لي قائلة: "أنا أرحمه منه".

"لماذا؟ فهو ليس رقيقاً وهشاً".

عانقتني وعانقتها بدوري، وصمتت لوهلة ثم قالت: "بينما كنت أتحمل ذلك الشيء... مهما تكن ماهيته، راودني شعور استشرافي قوي، لن ننجو جميعاً من الأخطار التي تحيق بنا".

قرأت العديد من الروايات التي كتب فيها أن قلب شخصية قد هبط عند تلقيه للأخبار السيئة، وكنت أتساءل بسخرية أين سيرسو بعد ذلك. هل سيستقر في المعدة؟ أو في القولون؟

شعرت حينها أن قلبي قد هبط إلى مستنقع الشؤم، وكان هذا الشعور مزعجاً جداً لدرجة أنني تناسيت استهزائي السابق. نحن نخلق في هذا العالم، ونحن نحمل تذكرة للخروج منه، ولكننا نقتنع أن الناس الذين نحبهم سيظلون معنا إلى الأبد على الرغم من الدلائل المنافية لتلك الفكرة.

"أنت تقصدين أن... سباركي لن ينجوَ؟".

"لا أدري. ربما هو أو أنا أو أنت؛ لعلنا لن ننجوَ جميعاً. كل ما أعرفه هو... أن أحدنا على الأقل لن ينجوَ من هذه المعمعة. إذا عرف سباركي بهذا، فسيتحمل مخاطر أكبر من أجلي، وأنا لا أريده أن يفعل ذلك. ما سيحدث سيحدث لا محالة"، أفلتت مني وتراجعت قليلاً ثم قالت: "إن هذا هو المسار الوحيد. أتفهمني؟".

"أجل، إلا إذا... إلا إذا لم نشارك في هذه اللعبة".

لمعت عيناها ببريق أخضر قوي وقالت: "الاستسلام ليس من شيمك. أنت أفضل من هذا".

تردّدت قليلاً ثم قلت: "كما تقولين".

"أنت تعلم أن ما أقوله صحيح"، جلست قرب جدها في الإكسبلورر، وأغلقت الباب.

أفسح وينستون لي مجالاً بأدب كي أجلس إلى جانبه في المقعد الخلفي ولعق وجنتي، لكنني لم أجارِه في التودد فقد كنت مضطرِبَ المزاج.

في الأيام الخوالي

الفتى والأب والطيور

اعتاد كوربيت أورموند أن يضرب زوجته، ثم قتلها وقتل عشرة أشخاص آخرين، وبعد مرور عدة سنوات أطلق النار على ابنه الذي يبلغ من العمر اثني عشر عاماً. كان ذلك الولد ليتون زميلي في السكن وصديقي المقرّب. كيف سمح العالم العادل بحدوث مثل تلك الأعمال؟ لماذا لم نُصمَّم بحيث لا نستطيع أن نؤذي بعضنا؟ لماذا لم تُبَرمَج عقولنا بشكل لا نستطيع فيه أن نقتل أو نغتصب أو نسرق أو نكذب أو نخدع؟ لماذا وُضِعَت فينا القدرة على البغض والحسد؟ يقولون إن هذا العالم والحياة ضمنه هبة مميزة. كيف له أن يكون هبة عندما يعرضنا للخوف، والذعر، وللحزن غير المحتمل؟

لقد تملّكني الحزن عندما كنت في الحادية عشرة من عمري، ولم أعثر على السعادة في أي شيء. أصبحت أعاين تلك الأسئلة الوجودية حدّ الهوس، ولكنني لم أتوصّل إلى نتيجة أو إلى إجابات مُرضية. لم آكل الكثير وكنت أمضي يومي نائماً.

حاولت الأخت تيريزا التي كانت في الوقت نفسه طبيبة ومشرفة نفسية أن تخفّف من حدّة اكتئابي عن طريق تعليمي عن النمل.

من الغريب أن يكون لديك معالجة نفسية تشبه أريثا فرانكلين(5)، ولكن مع ذلك فقد علمتني الكثير عن مملكة النمل، ولكن تلك المعلومات لم تعالج اكتئابي لأنني كنت مريضاً عنيداً.

قالت الأخت تيريزا بعد أن جلبت صندوقاً زجاجياً فيه مستعمرة نمل إلى مكتبها: "إن لم يعالجك النمل فلن يعالجك النحل على الأرجح".

وقفت قرب نافذة المكتب أراقب المطر الذي انهمر كخطوط رمادية في يوم لم تشذه الرياح، رسا المطر كحمض على الشوارع والأرصفة الخرسانية الرمادية.

تابعت الأخت تيريزا كلامها وقالت: "أياً يكن الأمر، لن أجلب منحلة إلى مكتبي".

سألتها: "لِمَ على النحل أن يلسع؟".

"كي يدافع عن نفسه ويحمي مستعمرته، ولكن لن نمضيَ وقتاً أكثر في التحدث عن النحل".

"لِمَ تعض الحيوانات؟ لِمَ يجب على كل شيء أن يقتل كل شيء؟".

"هناك قسم من الحيوانات لا يلجأ للقتل. إن الأرانب لا تقتل أي شيء، إلّا إذا ظننتَ أن العشب، والأزهار، والجزر، والتوت يمكن أن تُقتَل. إذا كنت تعتقد هذا، فعلينا أن نُخضِع الأرانب للمحاكمة، ونزجّ بها في سجن الأرانب".

"لا تكوني سخيفة".

قالت وهي تلقي بوزنها على كرسي المكتب: "سأكون سخيفة إن أردت ذلك. أحب أن أكون سخيفة في المناسبات. وأياً يكن الأمر، ولأكون صريحة معك، عليّ أن أقول إن الأرانب يمكنها أن تتهجّم

على بعضها، إنها تستخدم قوائمها القوية كي تركل بعضها عندما تتنافس في موسم التزاوج، كما أنها تعضّ بعضها بين الفينة والأخرى إن اختلفت في الرأي".

وأنا أراقب المطر، فكّرت في الطوفان الذي طهّر العالم من الخاطئين باستثناء نوح وعائلته والحيوانات على سفينته، ولكنهم شرعوا في القتل مجدداً عندما انتهى الطوفان وخرجوا من السفينة.

"لا أريد أن أؤذي أحداً، لا أريد أن أقتل أحداً".

قالت الأخت تيريزا: "حسناً، لا تؤذِ ولا تقتل أحداً".

لم أصدق أن الجواب كان بهذه السهولة. كانت لديها أجوبة سريعة لم أستطع استيعابها، وبدأ هذا الأمر يزعجني، فقلت: "حسناً، ولكنني أستطيع أن أغضب وأفقد السيطرة على نفسي. إن معظم الناس يستشيطون غضباً طوال الوقت".

"ستمر عليك أيام يا كوين ستكون فيها لئيماً وستجرح مشاعر الآخرين كما سيجرحون مشاعرك، ستفعل أموراً غبية وقاسية أحياناً، ولكنك لن تقتل أحداً".

"ماذا لو شُنّت حربٌ، وتوجّب عليّ الاشتراك فيها؟".

"ربما عليك أن تقتل دفاعاً عن عائلتك ووطنك في الحرب، ولكنّ القتل بهدف الدفاع عن النفس أو عن الأرواح البريئة لا يُعتَبَر جريمة".

تمنيت أن ينهمر المطر بغزارة غير مسبوقة كي تتحول الشوارع

إلى أنهار وتغرق السيارات برمتها. أردت أن أرى الناس على الرصيف يرتدون معاطفهم الواقية من المطر، ويحملون مظلاتهم، ويحاولون الالتجاء إلى أقرب مبنى، ولكنهم يجدون بابه مقفلاً. سيدركون حينها أنهم سيغرقون مع السيارات وسيشعرون بما شعر به ليتون وهو يحدق إلى فوهة مسدس أبيه البغيض.

لم يكن ذلك منطقياً في فترة اكتئابي، ولكنني كنت في الحادية عشرة من عمري، وكان ذلك عمراً يفتقد للمنطق. قلت للأخت تيريزا: "يمكنني أن أشنّ عليك حرباً إذا تقدمت ولكمتك في وجهك".

وافقتني الرأي عندما قالت: "يمكنك أن تختار هذا، ويمكنني أن ألكمك بدوري، لن تكون هذه خطوة مدروسة من قبلك حيث إنني أكبر منك".

"أنتِ راهبة ولا يجدر بك أن تلكمي أحداً".

"أنا راهبة، ولكنني إنسانة أيضاً؛ إن البشر يقترفون الأخطاء. هل سأقدم على لكمك فعلاً؟ على الأرجح لا، ولكن ليس هناك ضمان، لذا، يجب عليك يا كوين أن تتخذ قرارك وتُجرّب حظك. اضربني إذا شعرت أن هذا سيُشعرك بتحسن".

انهمر المطر بغزارة، وكأنه يستجيب لأمنيتي، وبدا العالم من النافذة وكأنه سيفيض ويذوب.

لقد انهمرت دموعي فجأة. اعتدت أن أبكي في غرفتي، ولكنها المرة الأولى التي أبكي فيها أمام شخص. أوليتها ظهري، وحاولت ألا أصدر صوتاً، وسمحت للدموع أن تنهمر إلى أن انتهت تماماً.

إن وقفت إلى جانبي، وحاولت مواساتي، كنت سألكمها بشدة لأنني لم أردها أن تواسيني وليتون قد مات.

مرت فترة صمت وجيزة لم يخترقها سوى صوت المطر وصرير كرسيها الذي ظلت تتحرك عليه، ثم قالت: "إن الطبيعة حلبة منافسة ما بين مجموعة الفصيلة الواحدة وبين فصيلة وأخرى. لا تستطيع الحيوانات التغلب على العنف في هذا العالم الفاسد، ولكن يمكن للناس هجر العنف. يجدر بهم ذلك، بل عليهم ذلك. إن هذا هو خطأنا يا كوين. لا يفترض بنا لوم الطبيعة أو الله".

قلت لها عندما تمكنت من الكلام: "ولكن لماذا؟".

"لعل الطيور ستعلّمك ما عجز أن يعلّمك إياه النمل؛ سندرس الطيور سوياً".

أصبحت الطيور موضوع دراستنا؛ جلبت الأخت تيريزا أفلاماً وثائقية وكتباً، وجلسنا في الحديقة، وتأملنا الغربان والحمامات والعصافير. أخذتني إلى جامعة حيث أمضينا ساعتين مع عالِم طيورٍ في مقر بحثه. تعرفت إلى أصناف لا تعد ولا تحصى، لم يسبق لي أن رأيتها، ومع ذلك لم تمثل سوى جزء صغير من أصناف الطيور الموجودة في أصقاع العالم. تفحصنا ريشها؛ كان للعصفور الصغير أربعة وثلاثون نوعاً من الريش. إن ريش مجموعة كل فصيلة متماثل تماماً.

درسنا كيف تبني كل فصيلة أعشاشها، وكل طير من الفصيلة الواحدة يبني عشه بطريقة مماثلة لباقي الطيور. إن طيور الفصيلة

الواحدة تربي صغارها على نفس القواعد وبنتائج متوقعة ومتماثلة. درسنا الفصائل التي تطير بنسق معين، كما درسنا الطيور التي لا تطير بنسق معين، ولكن أسرابها المؤلفة من مئات الطيور تنعطف في اللحظة ذاتها.

درسنا طعامها وكيف تحصل عليه. كل طير من الفصيلة الواحدة يتناول نوع الطعام ذاته ويحصل عليه بالطريقة ذاتها.

انزعجت عندما عرفت أن البوم والطيور الجارحة مثل الصقور والعقبان تتناول طيوراً صغيرة أحياناً، فأطلقت عليها لقب "آكلة اللحوم".

لم يفدني أي شيء تعلمته في تفسير العنف البشري، أو لماذا هو مسموح في عالم بدأ بشيء اسمه جنّات عدن.

لم تقل لي الأخت تيريزا أيضاً الدرس الذي يجب أن أتعلمه من الطيور، بل قالت: "عليك أن تكتشف الحقيقة بنفسك وتصدّقها وتتقبّلها وإلا سيصبح الأمر لديك مجرد شيء قد تمّ إعلامك به ولا تصدّق حقيقته. سندرس السمك لاحقاً".

القسم الثالث

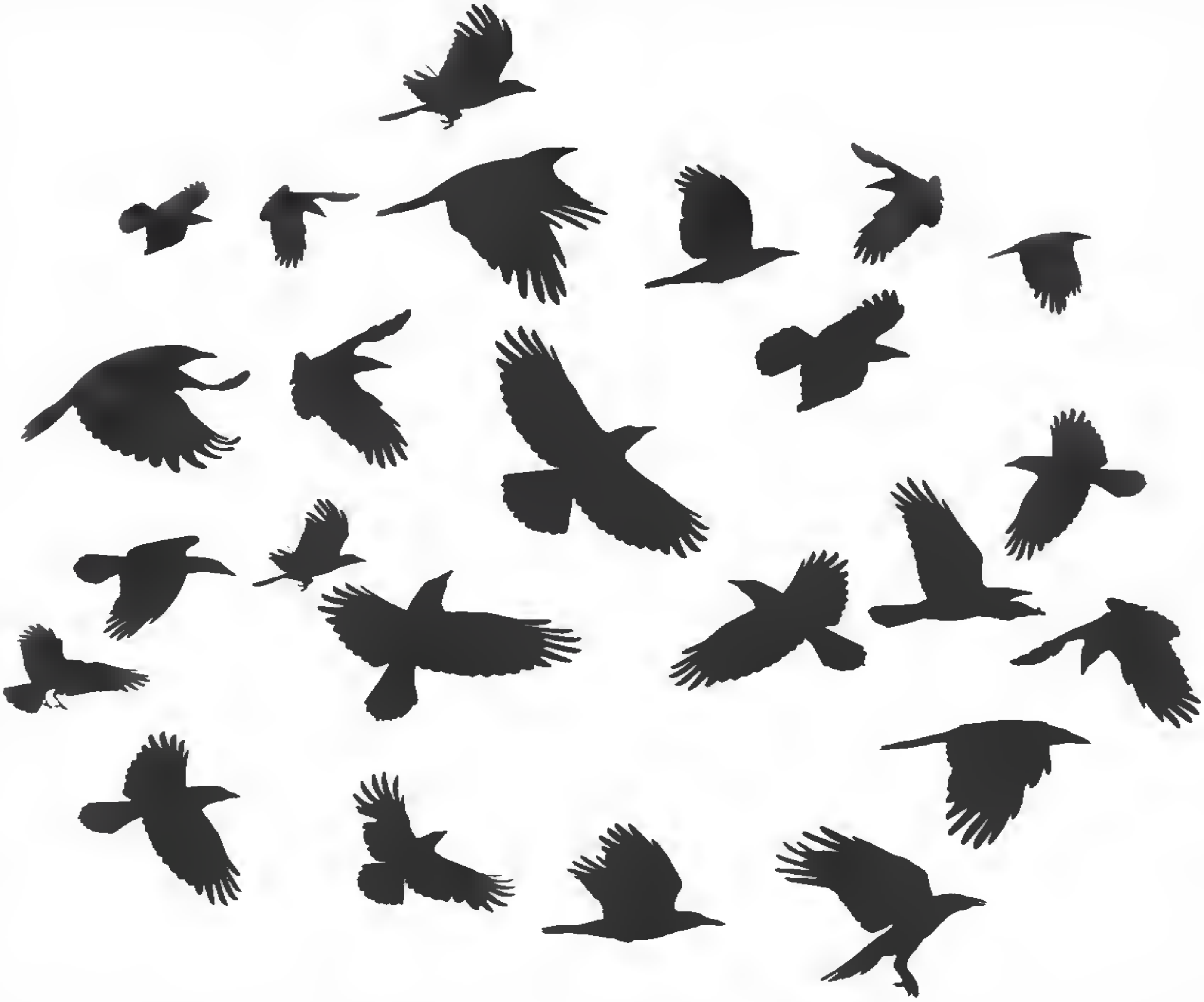

ما شهد عليه البحر

| 19 |

لم أعُد إلى بيبتو بعد أن أُرسِلت إلى فينيكس في الأسبوع الأول من حياتي، لأنني كنت مشغولاً في أن أكون يتيماً ثم أن أسترزق من عالم المجلات الإقليمية الموحشة. بحثت عن بيبتو قبل أشهر من مقابلتي لآل رينكينغ من دون أن أذهب إلى هناك. جهّزت ملفاً لأبرّر لمجلة أريزونا! ذهابي إلى تلك المدينة لعدة أيام، أردت أن أكتب مقالاً عن قصة تركي وحيداً، وأنا لم أبلغ من العمر سوى ثلاثة أيام، وأن أعرف في الوقت ذاته أي شيء يخصّ أصولي.

للتوجه إلى بيبتو من تاكسون كان يفترض بنا التوجه شرقاً عبر الطريق 1-10 لبلوغ الطريق السريع الفيدرالي، ثم عبر طريق سريع آخر مروراً بحقول نبات السجوار، وبين الجبال التي كانت بصلابة الفولاذ والأراضي التي ارتوت بدماء حروب القبائل التي لم يوفِها التاريخ حقها، حيث احتُجِز العديد من الأشخاص، واستُعبِدوا، وعُذِّبوا منذ آلاف السنوات. لقد تناسينا ما آل إليه مصيرهم، وإن أردنا أن نلطّف عبارة تناسينا يمكن القول لم نفكر في الأمر، لأننا أردنا أن نفسح المجال للأحداث الحديثة. كان الطريق الوحيد المؤدي إلى بيبتو يحتّم علينا المرور عبر تاريخ ازدهار الإنسان وتدهوره، وما مرّ به من رحمة، ولؤم، ونبل، ودناءة، وآمال وخيبات.

لم تكن تلك البلدة بلدةً بشكل رسمي، بل كانت أشبه بمستوطنة تشكّلت بالطريقة نفسها التي يتشكل فيها الصدأ على الحديد؛ لقد نمت بعشوائية وتلقائية، ولم تكن بلدة وفقاً للقيود الحكومية.

إن الذين اعتبروا تلك البلدة موطنهم هم أشخاص رفضوا المدن المكتظة، والذين اعتبروا المجتمعات التي تشهد نمواً مطرداً مجتمعاتٍ أوروبلية، ولكنهم ينفرون في الوقت ذاته من حميمية البلدات الصغيرة وطبيعة مجالس القرية الفضولية. أراد قاطنو بيبتو وأمثالها أن يحظوا بجيران، ولكنهم أرادوا أن تفصلهم مسافة عن هؤلاء الجيران، لقد أرادوا عملياً أرضاً بخسة الثمن، وأرادوا أيضاً مجتمعاً بسيطاً، ولكنهم فضّلوا أن يعيشوا حياتهم بأقل مضايقات ممكنة، أي بعيداً عن نقاط مراقبة الشرطة والمسؤولين المخادعين.

أرادوا نقطة خدمية لتسهّل حياتهم، وتؤمّن لهم احتياجاتهم من البنزين إلى الخضراوات والأدوات الأساسية. تلك النقطة في بيبتو كانت تدعى محطة تشينغ وهي عبارة عن مبنى على شكل حرف U مؤلف من طابق واحد، ويقع على تقاطع طريق سريع فيدراليّ وطريق حصويّ غير معبّد. نوافذ تلك المحطة صغيرة وجدرانها حجرية كي تقي من حر الصيف. لم يكن هناك تنسيق للموقع المحيط سوى بعض نباتات الصبار وطاحونة هوائية لاستخراج المياه؛ خدمت محطة تشينغ العديد من المجتمعات المجاورة إلى جانب بيبتو.

وصلنا بيبتو في تمام الساعة الحادية عشرة صباحاً، فجلنا على غير هدى. انتظر سباركي أن أطبِّق وبريجيت قدراتنا الروحانية على الجذب كي نحدد مكان أحد الرجال الثلاثة الذين أنقذوني من لدغة أفعى سامة أو صدمة شاحنة: هاكيم كاسبار، وبيلي بيلشازير، وسيزار ملكيزادك. أياً يكن الأمر، لم نكن نتحكم بقدرتنا؛ لعل الذي منحنا هذه القدرة الغامضة اعتقد أن جوهر عدم الاعتماد التام كان

أساسياً كي لا نتغطرس ونغترّ بتلك القوى مثل الأبطال الخارقين الفاشيين الذين غزوا هوليوود. عدنا إلى محطة تشينغ عند الساعة الحادية عشرة والربع، بعد أن باءت محاولاتنا بالفشل، لم نشعر سوى بمبنى صغير يحتاج لتمديدات صحية.

قالت بريجيت: "بين الفينة والأخرى أعتقد أن قدرتي على كشف تنكّر الصارخين ليست موثوقة مئة بالمئة، أشعر أن هناك أفراداً منهم يتخفون ويتنكرون لدرجة أنني لا أستطيع تمييزهم".

قلت لها: "يسرني سماع هذا. كنت قلقاً من أن أكون الوحيد الذي يصيبني الذعر، ولكنكِ حللتِ تلك المعضلة الآن".

كان هناك إعلان عن نظافة الحمّامات من ضمن إعلانات المنتجات والخدمات التي ظهرت على اللافتة على سطح محطة تشينغ.

لم يكن هناك سوى مركبة واحدة مركونة أمام المحطة، وكانت شاحنة زرقاء مع بندقية وملصق كُتِب عليه: أنا أطلق النار على السيارات التي تقترب مني كثيراً. كانت تلك المحطة تفتح لثماني عشرة ساعة في اليوم، ولم يكن النظام متشدداً، حيث لم يكتظّ المكان لدرجة أن يكون هناك ساعة ذروة أو انتظار في الدور.

دخلت إلى المحطة لأسأل عن مفاتيح الحمامات، وعن كيفية تعبئة البنزين من المضخات القديمة، بينما تمدد سباركي قليلاً، وسكبت بريجيت الماء لوينستون في وعاء صغير. كان هناك رجل يبلغ من العمر سبعة وخمسين عاماً وطوله خمس أقدام وتسعة إنشات، وكان شعره بنياً وكذلك عيناه وكأنه ولد في عيد الميلاد. كان ذلك الرجل

يملأ نواقص الحلوى على الرفوف بعد طاولتَي المحاسبة. كان وجهه ودوداً وينم عن شخصية هزلية وساخرة؛ وجهه يجعل منه مرشحاً لامتهان الكوميديا الارتجالية. تعرفت إليه من الصور في ملفات الولاية الرسمية للتجار الذين لديهم رخصة لبيع الكحول، لقد بحثت في تلك الملفات أثناء بحثي الذي ذكرته سابقاً.

قلت: "جون كينيدي تشينغ"؛ لم أنوِ قول اسمه بصوت عالٍ، ولكن رؤيته بشحمه ولحمه بعد أن قرأت عنه وعن عائلته كانت تماثل بالنسبة إليّ مقابلة شخصية مشهورة.

ابتسم وهو يمسك بلوحي شوكولاتة في كل يد ثم قال: "اعتدت أن أستجيب لهذا الاسم. ماذا عنك؟".

"أنا؟ أنا لا أحد. اسمي بارت. بارت سيمبسون".

رفع حاجبه وقال: "يصعب التعامل مع اسمك ولعله أصعب من جون كينيدي".

لا أعرف لماذا اخترت هذا الاسم أو لماذا كنت متفاجئاً بأنه قد شاهد برنامج السيمبسونز على التلفاز. لم أكن متمرساً في مهنة الخداع التي تتطلّبها حياتي التي تشبه حياة كلوك وداغر في سبايدرمان.

اعتقدت أنه يفترض بي بصفتي غريباً عنه، أن أشرح له كيف عرفت اسمه عندما رأيته، فقلت: "كنت أبحث أنا وأصدقائي عن عقار في وينكلفي".

أومأ برأسه وقال: "إن سوقها العقاري منافسة للغاية، كل الناس في العالم يودون العيش في وينكلفي".

قلت له موضّحاً: "أياً يكن الأمر، تساءلت أين يذهبون لشراء أغراضهم على الرغم من عدم وجود نقطة خدمية مثل هذه هناك. رجّح كل الناس محطة تشينغ وجون كينيدي تشينغ، وحتى عائلة تشينغ كلها من الأجداد وحتى الأولاد".

ردّ بتلقائية قائلاً: "الناس في وينكلفي يبالغون".

نبعت الصعوبة في مجاراة تلك المحادثة من أنه سبق لي أن عرفت تاريخ عائلته وإنجازاتها.

كان لجديه ولدان؛ كان أحدهما يبلغ من العمر خمس سنوات والآخر سبع سنوات، وكان الأخير والد جون حين هربوا من الصين في العام 1948 بعد أن نصب الشيوعيون مخيماتهم، وبدأت المجازر. هربوا إلى تايوان التي كان اسمها فورموزا، واتجهوا بعدها إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

استقروا لفترة في سان فرانسيسكو ضمن المجتمع الصيني الأمريكي المزدهر. لم يشعروا بالأمان في المنطقة الميتروبوليتانية وإن كانوا في أمريكا، لأنهم هربوا من مدينة كبيرة غزتها الأيديولوجيات العنيفة. لم أعرف - أو لم أتصور - كيف عثر جدا جون على بيبتو أو كيف استطاعا تصور بناء محطة تشينغ وجعلها القطب التجاري للمقاطعة. خدم أربعة أجيال من عائلة تشينغ على مر سبعة عقود أهالي بيبتو ووينكلفي - تعداد سكانها 802 - وسانيسلوب -

تعداد سكانها 746 - وسالفور فلاتس - تعداد سكانها 635 - والعديد من المستوطنات الحارة. امتلك آل تشينغ الكادحون خمسة منازل في المناطق المجاورة لتقاطع الطرق حيث تموضعت محطتهم كما رفرف على تلك البيوت الخمسة علم أمريكا ذو النجوم والخطوط.

ركّزت على لبّ الموضوع وقلت: "إن مضخات البنزين أكبر مني سناً. كيف تعمل؟ أقصد كيف سأدفع لك؟ أريد أن أدفع لك نقداً".

قال لي: "إن هذا لغز سنحله سوياً. سأشغل المضخة الأولى من وراء طاولة المحاسبة، وستذهب إلى هناك وتدير الذراع حتى تظهر الأصفار على العداد، املأ الكمية التي تريدها، وادفع لي ما يُظهِره العداد".

"الأمر برمته هو أن مضخات فينيكس تطلب بطاقة ائتمان قبل عملية التعبئة".

قال: "فينيكس، إنها بلاد العجائب".

"ألا يملأ بعض الناس سياراتهم ويفرون هاربين من دون أن يدفعوا لك؟".

"فعل سافل واحد هذا في العام 1996، ولكننا تعقبناه إلى كليفلاند، أوهايو وأحرقنا منزله".

ضحكت وأومأت برأسي ثم قلت: "أنت تمزح أليس كذلك؟".

وقف خلف الطاولة كي يُشغّل المضخة الأولى ثم قال: "أنت بدأت هذا يا بارت سيمبسون. يجدر بك أن تدفع لي إن لم تكن تمتلك تأميناً

على عقارك".

"أعلم ما تفكر به، ولكن اسمي الحقيقي هو بارت سيمبسون. هذا عبئي الخاص. آه، هل يمكنني أن أحصل على مفتاحَي حمّامَي الرجال والنساء؟".

قال تشينغ وهو يعطيني المفتاحَين: "لا تبدو أنك فتى يعاني في تحديد جنسه، أتمنى أن أقابل السيدة التي تسافر معها، لا بد أنها مثيرة للاهتمام".

في تلك المرحلة، كان يجدر بي أن أعرف أن يومنا سينشغل بتشينغ في شبكة من التعقيدات تفوق شبكات الفلفل الأحمر المجفف التي كان يبيعها في متجره.

أعطيت مفتاحاً لبريجيت ومفتاحاً لسباركي في الوقت الذي أنهى فيه وينستون شرب الماء، وانشغل في التبوُّل على العشب اليابس، وقلتُ: "حسناً، أخبرت السيد تشينغ أن اسمي بارت سيمبسون فاحذرا من مناداتي كوين".

نظرت إليّ بريجيت باستهجان متسائلةً: "بارت سيمبسون؟".

"كان هذا أول اسم يخطر في بالي".

"يعتقد السيد تشينغ أنك مثيرة للاهتمام".

"لماذا؟".

"لقد أثرتِ فضوله حقاً".

ضحك سباركي، وأعطاني مفتاح الإكسبلورر، وتوجه إلى حمام الرجال.

ناديتهما، وعندما التفتا إليّ قلت: "هناك شيء آخر، لقد أوهمته أننا نبحث عن عقار في وينكلفي".

سألت بريجيت: "هل هناك مستوطنة اسمها وينكلفي؟".

"إنها على بعد أربعة أميال من هنا، وعلى بعد ميلين من شرق سالفور فلاتس وثلاثة أميال جنوب فالتشرز روست".

"إن أرادوا أن يقيموا ديزني لاند لأريزونا، فلن تكون في تلك المنطقة من الولاية".

قدت السيارة إلى المضخة الأولى بعد أن طلبت من وينستون أن يجلس في مكانه. مسحت الأرقام السابقة عن العداد، وملأت خزان الوقود، وأعدت ركنها أمام المتجر.

كان سباركي قد أنهى مهمته في الحمام، وأخذ ينظر إلى نفسه في المرآة.

قلت له: "أنت رجل وسيم، أليس كذلك؟".

"كيف هرِمت بهذه السرعة؟".

"لم تمُت بعد".

قال وهو يخرج: "أنا أعمل على الأمر".

ندمت فوراً على تصرفي هذا لأنني تذكرت كلام بريجيت بأننا لن

نتجوَ جميعاً من تلك الأخطار التي تحيق بنا.

بعد دقائق، خرجت منتعشاً لأجد رفاقي الثلاثة ينتظرونني تحت المظلة الخضراء بجانب المدخل.

كانت تزحف بعض السحالي والثعابين على الطريق السريع في الحر.

قال سباركي: "نحن نتضور جوعاً، وكتب على اللافتة في الأعلى أن هناك شطائرَ شهية وطازجة".

قالت بريجيت: "وذكر على اللافتة أيضاً أن الكلاب المروضة مرحّبٌ بها. لعلهم يبيعون أشياء خاصة بالكلاب. نحن نحتاج إلى لِجام".

في غضون ذلك، خرج رجل يحمل كيساً في كل يد، صندوق رصاص بنادق وخمس زجاجات من الويسكي. تطايرت خصل شعر أشيب من تحت قبعة رعاة البقر التي يعتمرها، وأوحت لحيته الطويلة أنه عضو في فرقة الروك القديمة زي زي توب، كما بدا أنه شارك في كل فيلم أُنتج عن الغرب. عندما مرّ بنا خاطبني قائلاً: "قل لهومر ومارج إنهما أنجبا طفلاً رائعاً"، ثم مشى إلى عربته ذات اللون الأزرق الباهت التي عليها ملصق: أُطلق النار على السيارات التي تقترب مني كثيراً.

أنهى السيد تشينغ ملء رفوف الحلوى، وشرع في وضع أكياس البسكويت المالح. قدّمتُ بريجيت باسم فينيسا وسباركي على أنه عمها فيرنون. لاحظت أنني اخترعت هذين الاسمين بسلاسة. حدق

السيد تشينغ إلى بريجيت بدهشة، ثم نظر إليّ لثانيتين ثم حوّل نظره إليها مجدداً وقال: "أمور تشهدينها فقط في أمريكا. اعذريني يا فينيسا ولكن وينكلفي لا تلائمك".

قالت: "ربما، ولكنني أفضلها على فالتشرز روست".

كانت محطة تشينغ تخدم الكلاب إلى جانب المسنين الغاضبين الذين يحتاجون الذخائر والكحول. اخترنا لوينستون طوقاً أحمر جميلاً، ولجاماً، كما أحضرنا له صندوق طابات تنس، ولعبة تصدر صريراً، وأداة مضغ لتنظيف الأسنان، وعلباً من طعام الكلاب اللذيذ.

عملت فتاة مراهقة جميلة في قسم المأكولات الصغير الذي قدم ثلاثة أوعية من الحساء منزلي الصنع، وسلطة البطاطا، وسلطة المعكرونة، والحلوى، والبسكويت، والشطائر.

أفادت أن اسمها تايلور تشينغ، وأن الشطائر كانت تُعَدّ كل يوم وتُحفَظ في البراد، وتنفد في تمام الساعة الثانية، وقالت إنها تعتقد أن أختي ليزا تستحق أن أعاملها على نحو أفضل.

لو تبنيت اسماً من برنامج ذا فاملي غاي ما كان أحد ليكتشف الأمر ويستمتع بوقته على حسابي.

دفع سباركي ثمن كل شيء من مال عصابات المخدرات، وقال السيد تشينغ إنه يودّ أن يرانا مجدداً بعد أن ننتقل إلى وينكلفي، ونستقر عند نهر ليتل سنيك.

جلسنا في السيارة، وشغّلنا مكيف الهواء لنتناول شطائرنا؛ تناولت

وبريجيت شطائر لحوم باردة إيطالية، أما سباركي فتناول شطيرة دجاج، ثم ألحقناها بماء منكّه.

عصفنا أذهاننا ونحن نتناول الشطائر كي نخلص إلى طريقة نعثر فيها عن أحد الرجال الذين أنقذوني في ذلك اليوم. أمكننا أن نقود ثلاثين ميلاً لنذهب إلى الكازينو الذي اعتاد أن يعمل فيه سيزار ملكيزادك بصفته منظماً لألعاب القمار لنرى إن استمر في العمل هناك. كما أمكننا أن نذهب إلى مزرعة الرياح التي أصلح بيلي بيلشازير المعدات باهظة الثمن فيها، وكانت تلك المعدات قد عانت من ضرر كبير لأن آلاف الطيور ألقت بأنفسها بين الشفرات الحادة بتهور تام. كما أمكننا أن نذهب إلى مكتب المقاطعة في محطة الطاقة لنرى ما إن استمر هاكيم كاسبار في تطبيق أغنية غلين كامبيل.

قالت بريجيت: "لعلنا نستطيع سؤال السيد تشنيغ عن واحد منهم ونوفّر الوقت. يجدر به أن يعرف كل الناس من سالفور فلاتس إلى فالشترز روست إلى تارانتولابورغ".

"لا توجد بلدة اسمها تارانتولابورغ".

قالت: "أجد هذا صعب التصديق. لا نريد أن ينتشر خبر أنك تستعلم عن أحد هنا، وبذلك نلفت نظر جهاز الأمن الداخلي إلينا. لا يمكننا أن نسأل السيد تشينغ عن الرجال الثلاثة، لأنه يتذكر بالطبع حادثة إنقاذ الطفل الرضيع على الطريق السريع، ويبدو أنه رجل لا تفوته فائتة".

قال سباركي من المقعد الخلفي: "ستكون حجتنا أنني صديق قديم

لهاكيم، وفقدت التواصل معه منذ سنوات، وأود استشارته بشأن وينكلفي".

قلت: "تبدو هذه الحجة عفوية بشكل سخيف، ولكنها قابلة للتطبيق. هيا جرّبها".

تراجع سباركي وقال: "إنها ليست فكرة سديدة. يعمل تشينغ وفقاً لحدثه، ظل يرمقني بنظرات شك وكأنه يعرف نوعي".

"هل تقصد أنه يشك في أنك قد كنت شيئاً ثم شيئاً آخر ثم شيئاً آخر لا نتحدث عنه أبداً؟".

"تماماً".

قال: "إن حدسه لا مثيل له، يبدو أن أنفه حساس أكثر من أنف وينستون".

"لدى جدي حدس لا مثيل له أيضاً، وسأثق به حيال هذا الموضوع يا كوين؛ بارت".

قال سباركي: "أياً يكن الأمر يا بني، أنت الوحيد الذي لديك فرصة مع السيد تشينغ".

"فرصة؟ نحن لن نتصادق على المدى الطويل بحق الجحيم".

أصر سباركي: "أنت تعجبه، لأنه يجدك مسلياً، ادخل، واسأله، وعد ومعك عنوان هاكيم كاسبار".

عندما عاودت الدخول إلى المتجر، كان جون كينيدي تشينغ ينقل

أكياساً كبيرة من ملح الغسالات من صندوق كبير ليعرضها قرب الباب الأمامي.

قلت له: "أردنا أن نقول لك إن الشطائر كانت لذيذة جداً".

أحنى رأسه لليمين، وكأنه عصفور فضولي يعاين شيئاً ما، وقال: "تبدو متفاجئاً. اعتقدت أن سكان وينكلفي الطيبين قد أخبروك عن شطائرنا اللذيذة عندما مدحوا محطة تشينغ".

لست نداً لهذا الرجل، لذا توقفت عن التحاذق وقلت: "في الحقيقة، لقد فقد حماي المستقبلي التواصل مع صديق له يقطن في هذه المنطقة، إنه يريد أن يعثر عليه طالما نحن هنا ليتذكرا الأيام الخوالي والمغامرات القديمة. لا بد أنك تعرفه وتعرف أين يعيش الآن".

"من هو ذلك الصديق؟"

"هاكيم كاسبار".

قال تشينغ: "صحيح، أنا أعرفه. إنه يعمل في محطة طاقة المقاطعة".

"هذا هو".

قال تشينغ: "تقع المحطة على الطريق العام".

"سيسرّ فيرنون كثيراً".

قال تشينغ: "إنه يجوب الطريق في الشمس الحارقة كالعادة ليرى ما إن كان هناك عطل في الألواح الشمسية".

"هل تعرف له عنواناً؟".

"إن منزله على طريق ألباتشي القديم، إنه طريق قديم وليس عليه لافتات. سأرسم لك خريطة صغيرة. ستصل إلى هناك في غضون عشر دقائق في هذا الوقت من اليوم. تتجمع حشرات الربيع على زجاجك الأمامي في ليل شهر أيار بالإضافة إلى ازدحام الخفافيش، لذا ستصل في غضون عشرين دقيقة أو أكثر. اذهب في النهار".

ذهب إلى طاولة المحاسبة، وأخرج دفتراً من الدرج، ثم كتب الاتجاهات على وجه الورقة الأوّل، ورسم خريطة على الوجه الآخر.

قلت له عندما سلمني الورقة: "ازدحام الخفافيش؟".

"يعجّ الهواء بالحشرات المتطايرة من أواسط أيار حتى أواسط حزيران، وتأتي الخفافيش لتتغذى عليها. يمكنك أن ترى آلاف الخفافيش وغيوماً من الأجنحة التي تحجب القمر.

"هذا مدهش. لا بد أنه منظر مثير للاهتمام".

قال تشينغ: "ولكن الرجل العاقل لن يسعى لمشاهدته".

"سنتجه حالاً إلى منزله. أتمنى ألا يكون في العمل الآن".

قال تشينغ: "إن عمله يبدأ في الفجر، ويستمر حتى الآن، ولكنه سينتهي من عمله في جنوب هذا الطريق في هذا الوقت. ستلتقي به على الأرجح عندما يصل إلى منزله".

| 20 |

لم يكتفِ جون كينيدي تشينغ بكتابة الإرشادات ورسم الخريطة وحسب، بل رسم رسماً توضيحياً صغيراً رائعاً لمنزل هاكيم كاسبار المتحرك. بدا المنزل من البعيد جميلاً ويرتكز على ركائز إسمنتية، وفي نهاية المنزل هناك فناء مفتوح، حيث يمكن أن تجلس، وتستمتع بذبول غطاء الصحراء النباتي ومنظر الحيوانات والسحالي التي تحاول شق طريقها على الرمل الحارق. هناك مرأب في نهاية البيت الأخرى، ركنت فيه عربة فورد أف-150 ضخمة العجلات. لاحظت صفاً مكوناً من ثلاثة صحون لاقطة أمّنت له بالطبع قنوات التلفاز الفضائية والاتصال بالإنترنت مع أنني لم أفهم لماذا يريد شخص يحب الانعزال عن فوضى العالم تصفّح تويتر.

كانت حديقة هاكيم الأمامية عبارة عن ساحة من الطين والحصى والعشب، ولم أشعر بالوقاحة عندما ركنت عليها.

عندما خرجنا من الإكسبلورر سمعنا صوت مولّد يعمل على البروبان على الأرجح. يعيش هاكيم بعيداً عن تمديدات الكهرباء، لذا كان عليه أن يؤمن حاجاته بنفسه كي يتمتع برفاهية الحضارة، كما كان عليه أن يستخرج الماء من بئره. من المؤكد أنه كتم صوت المولد الذي بدا خافتاً مثل غطيط مجموعة من الدببة خلال السبات الشتوي.

أنزلت زجاج نوافذ السيارة، ولم أوقف عمل المكيف، لأضمن أن وينستون يحظى بهواء عليل.

أعطت بريجيت لعبة الحمل التي تصدر صريراً لوينستون كي

يحظى بصحبة؛ لعل تلك اللعبة هي اللعبة الأولى التي يحظى بها في حياته. نظر إلى اللعبة عندما وضعتها بريجيت إلى جانبه على المقعد الخلفي، ثم أمسكتها وقرّبتها من فمه، وشجّعته على أخذها. عضّ على لعبة الحمل، فتدلت قدم الحمل من فمه وراقبنا بذهول ونحن نتجه إلى المقصورة. لم نتفاجأ عندما سمع هاكيم كاسبار حركتنا وفتح الباب وهو يضع مسدساً عند خصره، لأن منزله في مكان ناء، ولم يحِط به أحد، كما كان الطريق الترابيّ يؤدي إما إلى تاريخ ما قبل وجود الإنسان أو إلى مستقبل ما بعد الإنسان.

بدا أنه في الأربعينات من عمره، وكانت السمرة التي اكتسبها من عمله واضحة على وجهه. اعتقدت أن أسلافه انحدروا من الشرق الأوسط بناء على اسمه، ولكنه كان يشبه قائد الفرقة الكوبي الذي تزوج لوسيل بال في المسلسل القديم أنا أحب لوسي. توسعت حدقتا عينيه عندما رآنا، وكأنه كان يحذر منا.

قال قبل أن يستفسر عنا: "توقفوا وتقدموا واحداً تلو الآخر، أنا لا أعرفكم ولا أستطيع الوثوق بكم قبل أن أتعرف إليكم، وليكن بمعلومكم أنني لا أثق بمعظم من أعرفهم".

أمسك هاكيم في يده اليسرى أداة بحجم كتاب ذي غلاف ثقيل. كانت تلك الأداة أشبه بأداة لإضرام النار كما كانت موصولة إلى جهاز يشبه مقياس الحرارة، وكان يمسك به بيده اليمنى.

لم أعتقد أن هذه الأداة سلاحاً، لذلك تقدمت نحوه. احتاج نصف دقيقة لمعاينتي، وتفحص الشاشة التي ظهرت على الجهاز الذي كان

بحجم الكتاب.

بعدها تبعتني بريجيت ولحق بها سباركي.

قال هاكيم: "حسناً. اتضح أنكم تشبهون هيأتكم إذا كان لهذه الجملة معنى أساساً. والآن، أخبروني من أنتم. أعطوني هوياتكم".

لم أرَ حاجة في أن أدّعي أنني بارت سيمبسون أو باغز باني. أتيت إلى هنا لأسأله عن الصباح الذي وجدني فيه في المهد.

اتسعت حدقتا عينيه أكثر عندما سلمته رخصة قيادتي، وانكشفت ملامح الشك عن وجهه وعلته تعابير الدهشة.

"ك-ك-كوين ك-كويكسيلفر بشحمه ولحمه؟".

أكدت له قائلاً: "أجل".

"الذي كنت في المهد؟".

"لقد أصبحت كبيراً".

"لقد أرسلوك بعيداً".

"لقد عدت".

"لم تعد حياتي إلى سابق عهدها منذ ذلك الحين".

سألته: "ماذا تقصد؟".

"لم تعد إلى سابق عهدها من بعدك".

قلت له: "أتيت لأشكرك لأنك أنقذت حياتي، ولأسألك عن ذلك

الصباح. هذه بريجيت التي تقول إنها خطيبتي وهذا هو جدها سباركي. أتريد أن ترى هويتيهما؟".

"لا، لقد تجاوزا جهاز المسح. عليّ أن أثق بنتيجته، فإن لم أفعل هذا فبمن سأثق؟".

قالت بريجيت: "هذا صحيح".

"هل معكم كلب في السيارة؟".

قلت: "أجل".

"يجدر بكم أن تكونوا جيدين بما أن هناك كلباً يرافقكم. أنا لا أثق بالكلاب".

نظر إلينا بصمت، وتفحص وجوهنا من دون أن يستخدم جهاز المسح هذه المرة ثم قال: "إن الشخصين الوحيدين اللذين أدعوهما إلى هنا هما صديقي المقرب وحبيبتي. أما بالنسبة إلى سائر معارفي، فأنا أقابلهم إما في منازلهم أو على أرض محايدة. عليكم أن تتفهموني".

أبدينا تفهمنا، وأخبرته أننا سنكتفي بالجلوس تحت ظل الفناء لنطرح بعض الأسئلة.

سألني بصوت خافت تعلوه الدهشة: "ألأنت الطفل الذي كان في المهد؟".

"أجل".

"تراودني أحلام عنك عندما كنت طفلاً، إنها أحلام سعيدة. أرى نفسي فيها مشهوراً ومكرّماً لأنني عثرت عليك على ذلك الطريق. لطالما كنت في الحلم ابن ثلاثة أيام، لم يتقدم بك العمر، بمرور الأيام، لطالما كنت بجانبي بالإضافة إلى عدد كبير من الحيوانات التي ترعاك من بينها دب يطعمك العسل بملعقة ذهبية".

لم أعرف ما يجدر بي قوله، لذا اكتفيت بالصمت على غير العادة.

أخيراً، قال هاكيم: "حسناً، أعتقد أنكم لو أردتم أن تسجنوني في شرنقة أو تفجروا دماغي أو تقتلوني لكنتم فعلتم هذا مسبقاً. هيا ادخلوا ودعونا نحتسي القهوة".

لحقت بريجيت وسباركي على الدرجات الفولاذية الثلاث إلى داخل منزل رجل سكنه الهوس.

| 21 |

عُلِّقت على السقف، والجدران، والأبواب، وستائر النوافذ المغلقة تماماً صورٌ مستخلصة من مجلات فرينج ومحملة من الإنترنت لصحون طائرة وأجسام طائرة مجهولة أو ما يعرف باليوفو. كان بعضها مشوشاً أو مصوراً بضوء خافت، وكان بعضها الآخر دقيقاً ومثيراً للاهتمام، وكان هناك كثير من الصور المزيفة.

عجّ المكان بالألغاز عن المخلوقات والحياة الفضائية لدرجة خانقة.

سادت رائحة براعم القرنفل التي وضعت في صحون صغيرة، ووزعت في الأرجاء بشكل استراتيجي. كانت الرائحة كثيفة جداً في الهواء لدرجة أنني استطعت أن أتذوق الرائحة حتى.

توجّهنا إلى غرفة المعيشة، وجلست على الأريكة بالقرب من بريجيت، أما سباركي فجلس على كرسي منفصل. بدوره جلس هاكيم على كرسي منفصل آخر، ولكنه نهض بشكل متكرر، وراح يتحرك جيئة وذهاباً، وهو يتحسّس المسدس، وبدا على أهبة الاستعداد لإطلاق النار إن فكر أحدنا أن يفجر دماغه.

"لا يجدر بكم إخبار أحد بما سأطلعكم عليه، وإن فعلتم، فسأنكر، فنحن لم نخبر المأمور به عندما اصطحبناك إليه. لم نرد أن يعتقد أهل المقاطعة أننا كنا نتناول الفطر السحري الذي يسبب الهلوسات أو نحاول أن نُبرِم صفقة لفيلم. المأمور رجل طيب، ولكن خياله لا يفوق خيال حجر، لذا كان سيظن أننا كاذبون أو مختلون وعندها سيرسلنا إلى مستشفى المقاطعة كي نُقيَّم نفسياً".

عبس وحملق بنا إلى أن أقسمنا على ألا نخبر أحداً.

قال هاكيم: "قبل ذلك اليوم لم يكن لديّ اهتمام بالأجسام الطائرة والمخلوقات الفضائية، بل كنت أستهزئ بمن يهتمون بها، ولكن الأمر اختلف منذ ذلك الحين. في العادة، أنا أتوجّه إلى العمل قبل ساعة من الفجر، ولكنني تأخرت يومها. اتجهت شمالاً على الطريق الفيدرالي خارج بيبتو عندما أخذت الأرض ملامحها تحت ضوء النهار الأول. كان لديّ الكثير من العمل، فأنا أتفحص الكابلات، لذا أنا أتحرك وفق وتيرة ثابتة، كنت أتفحص كالعادة عندما رأيت شيئاً أبيض في منتصف مسارب الشارع الثلاثة. عندما خفّفت سرعتي لدرجة التوقف، رأيت فتاة يافعة في أواخر سن مراهقتها تركض بعيداً عن الشارع إلى دراجة صالحة لجميع التضاريس مع عجلات ضخمة تشبه الدراجة الثلاثية، ولكن للبالغين.

استقلت تلك الكائنة اليافعة الدراجة، وابتعدت مسرعة عبر النباتات الشائكة والميرمية وتصاعد الغبار خلفها؛ أظنها كانت والدتك".

لم يذكر هذا القسم في الأخبار عندما أُعلِن عن العثور على ولد صغير على الطريق السريع. كنت قد تقبلت فكرة كوني يتيماً وعاجزاً عن العثور عمّن تخلى عني، لذلك تفاجأت عندما انتابتني رغبة عارمة بمعرفة المزيد عن تلك المرأة اليافعة، وإن اقتصرت المعرفة على لون شعرها وعينيها، ولكن هاكيم لم يرها سوى من بعيد، وفي ضوء خافت، لذا لم يستطع أن يحدّد أي شيء بثقة.

أمسكَتْ بريجيت بيدي، واحتضنتها براحتيها اليافعتين جداً،

فبالتأكيد أصبحت يداي باردتين بعد ذلك الخبر.

نهض هاكيم عن كرسيه، ثم توجه إلى غرفة الطعام، ثم إلى المعرض قبل أن يعود إلى حيث نجلس، وقال: "ركنت قرب الرصيف، وشغّلت مصابيح الطوارئ، وذهبت لأرى ماذا تركت تلك الفتاة في السلة؛ لم ألحظ المهد. شعرت بالاشمئزاز عندما وجدت طفلاً. كيف يمكن لأحد أن يستقتل لهجران شيء ثمين مثله؟".

وقف عند رفوف كتب عن الفضاء وعن رجال الفضاء القدماء، ثم أمسك ببراعم القرنفل من الصحن، وقرّبها من أنفه، واستنشقها بعمق مرات عدة، ثم أعادها إلى الصحن.

تابع: "عندها سمعت صوت سيارتين قادمتين إحداهما من الشمال والأخرى من الجنوب. السيارة الأولى كانت تخصّ سيزار ملكيزادك في طريقه إلى الكازينو، والأخرى كانت شيفروليه صغيرة تخصّ بيلي بيلشازير الذي كان متجهاً إلى مزرعة الرياح. كان سيحدث تصادم مريع لأنني ركنت عربتي الضخمة مغلقاً المسرب بأكمله. كان يجدر بي أن أمسك بك وأبعدك عن الطريق، ولكنني كنت - لا أدري - مصدوماً بما وجدته. لم أفكر بعقلانية، ولكنني أشرت لسيزار وبيلي. ركنا على جانب الطريق وترجّلا كي يكتشفا ما الخطب".

جلس مجدداً، ولكن ظهره كان متشنجاً ووضع ذارعيه على ذراعي الكرسي، وشد بكفيه على التنجيد كما ثبّت قدميه على الأرض، وكأنه يستعد لحصول هزة أرضية. ظلت عيناه متوسعتين، واتضح تدريجياً أن لا زيارتنا المفاجئة ولا هويتي تبرران تعابير الذهول تلك.

بدت تلك النظرة دائمة، وكأنه ينظر بدهشة إلى أبسط الأشياء.

قال: "اجتمعنا حول المهد، وجثوت على ركبتيّ أما سيزار فجثا على إحدى ركبتيه، وقرفص بيلي. كانا بمواجهتي لذلك لم يريا ما شاهدته خلفهما. رأيت على بعد أربعين قدماً عنهما على الطريق السريع... وكأن باباً ضخماً ينفتح بعرض خمس عشرة قدماً وارتفاع ثلاثين قدماً. كان باباً غير مرئي، باباً في وضح النهار. فُتِح إلى الداخل، ولم يكشف عن طريق سريع أو صحراء. رأيت حصى وشيئاً يشبه طريقاً قديماً يؤدي إلى الظلمة، لا إلى الليل وحسب... بل إلى العدم، وكأن الحصى تتطاير في الهواء وتحيط بها النجوم من الجهات كافة".

كنت سأتفق مع المأمور مونكتون قبل يوم واحد على إرسال هاكيم إلى التقييم النفسي، ولكن ليس بعد أن رأيت الصارخين، وبعد ما جرى في استراحة الشاحنات.

نهض فجأة عن الكرسي، وجال في الأرجاء مجدداً، ومرر أصابع يده اليمنى عبر خصلات شعره، وارتعشت يده اليسرى بشدة، وكأنه يعاني من داء باركينسون. جعلته تلك الاعترافات أثقل، وكأن كل خطوة يخطوها تصدر صوتاً يخترق الأرض، ولم تكن تلك حالته سابقاً.

"وليزداد الموقف غرابة، راودني شعور مستمر بأن أحداً ما أو شيئاً ما سيأتي إلينا عبر طريق الحصى من بين تلك النجوم. كلا، دعوني أصحّح مفرداتي، لم يكن مجرد شعور، بل أنا واثق من أن شيئاً تقدم

نحونا عبر طريق الحصى، لأنني شعرت بقدومه وبقوته العارمة كما تشعر أن الهواء قد عصف بك عندما تقترب العاصفة. عندها تمكنت نوعاً ما من رؤية ماهية ذلك الشيء، لم يكن مرئياً، ولكنني استطعت رؤية الفراغ الذي يشغله، وهو الباب في وضح النهار. كان ذلك أشبه بالحرارة التي تصعد من الطريق لتبخر الهواء، لقد تبخر الهواء، أو بالأحرى ارتجف على هيئة رجل طويل أو شيء يشبه رجلاً، ولكنني لم أستطع رؤيته، لم أستطع سوى رؤية إيحائه".

تابع قائلاً: "اعتقدت أنني مختل، وأنني أصبت بانهيار عصبي، ولكنني علمت في الوقت ذاته أن ما أراه حقيقي، وأن وجوده له علاقة بالطفل، وأنه يشعر بالقلق لأن الطفل قد هُجِر على الطريق السريع، وأنه يريد الاطمئنان على سلامته. لا أعرف ما الذي قلته وقتها، ولكنني قلت شيئاً بالتأكيد لأن سيزار وبيلي نظرا إلى الخلف. توقعت ألّا يريا ما أراه، ولكنهما رأياه؛ رأياه حقاً".

ذهب إلى المطبخ، وفتح البراد وجلب زجاجة بيرة، ثم أزال الغطاء، وعاد إلى كرسيه وكرع كرعات كبيرة. لم يقدم لنا مشروباً. ربما إعادة اختبار تلك الأحداث غير الطبيعية، تطلبت منه أن يشرب كل زجاجة متبقية عنده قبل أن ينتهي النهار.

بعد فترة صمت، سأله سباركي: "وبعد هذا؟".

نظر إليه هاكيم لنصف دقيقة تقريباً، ونظر إلى زجاجة البيرة التي أنهى نصفها. كرع كرعة كبيرة ثم قال: "وقفنا جميعاً. كانت ملامحنا تُعبّر عن التالي: من المستحيل أن يحدث هذا. أنا أقصد: إنه باب

في وضح النهار. صدر صوت هسهسة وصرير رياح جعلنا ننظر إلى الأعلى. رأينا فوقنا فتحة في السماء. فتحة في السماء! هل تظنونني مختلاً؟ أنا لست مختلاً. أتعتقدون أنني مختل؟".

أكدنا له قدر المستطاع أننا نثق بقواه العقلية.

قال هاكيم: "بدا الأمر وكأن أحداً فتح طاقة في النهار، ومن خلال هذه الطاقة التي يبلغ قطرها اثنتي عشرة قدماً، استطعنا رؤية سماء الليل المظلمة تزينها النجوم مثلما شاهدناها في الباب السحري. اعتقدت أن ليل السماء سيبتلعنا، ولكن بدلاً من ذلك، تصاعدت دوائر زرقاء متحدة المركز من تلك الفتحة ومن النجوم ومرت فوقنا. استطعنا رؤيتها، وسرت القشعريرة في عروقنا، وبعدها، حدث شيء مضحك للوقت".

أنا متأكد أنه قصد مضحك بشكل هيستيري من الخوف وليس أمراً مضحكاً مثل ههههه.

أنهى زجاجته وقال: "لا يتذكر أحد منا كيف عدنا إلى سياراتنا. بعد ذلك تماماً، رأينا أنفسنا في بيبتو في غضون لحظة وكنت أمسك بالطفل - أقصد أنت - في عربة محطة توليد الطاقة. لحق بي بيلي وسيزار. تشاركنا جميعاً شعوراً بأن خطراً جسيماً يحيق بالطفل، وأن أحداً سينال منه - منك - في أي لحظة. في الحقيقة، ليس شخصاً من سينال منك بل شيءٌ، وأنّ ذلك الشيء ينوي التخلص منا جميعاً ليصل إليك، في تلك اللحظة، لم نُقدّر مقدار خوفنا وذعرنا، لعل أكثر ما أرهبنا تلك الدوائر الزرقاء متّحدة المركز... ربما برمجتنا

تلك الدوائر لنخاف عليك، ونحرص على إنقاذك من ذلك الطريق الموحش، ونضعك بين يدي السلطات إلى أن يأتي أحد ويعتني بك وكأنك طفله. سكنتني فكرة أن خط حياتك كان مفكوكاً، ولن يعاد ربطه إلا بعد أن توضع بين أياد محبة".

سألته: "ماذا يعني خط الحياة؟".

"لا أدري ماذا يعني، ولكن التفكير فيه أصابني بالذعر".

رفع الزجاجة إلى شفتيه، وتفاجأ عندما لاحظ أنها فارغة.

حان وقت بريجيت لتسأل: "وماذا بعد؟".

"لقد فرغت من حديثي. ليس لديّ المزيد من الأحداث. لم يرَ بيلي وسيزار ما رأيته. عليكم أن تتحققوا منهما لتستكملوا جميع نواحي القصة".

سأله سباركي: "أين هما؟ كيف يمكننا التواصل معهما؟".

"ترك سيزار عمله في الكازينو بعد شهرين. لعله لم يتُب بسبب الدين، ولكنّ شيئاً ما قد غيره. ذهب إلى فلوريدا كي يعتني بدير أنشأته أخته ليعتني بالناس الذين يعانون سكرات الموت، أما بيلي فلا يزال يعيش في وسط بيبتو. لقد توفيت زوجته، وسيخبركم بدوره ودور سيزار من القصة، لقد ترك بيلي عمله في مزرعة الرياح وتفرغ للموسيقى".

وضع زجاجته الفارغة على الطاولة محدّقاً إليها وكأنها أداة سحرية مليئة بالمعاني العميقة، ثم نظر إليّ وكأنني معزاة برأسين.

سألني: "ما خطبك يا كوين كويكسيلفر؟".

"ما الذي تقصده بسؤالك؟".

"ما هي ماهيتك؟".

اعترفت له وقلت: "أنا في حيرة من أمري".

"لماذا تهتم بك المخلوقات الفضائية إلى هذا الحدّ؟".

أكدت له قائلاً: "لا أعلم بوجود أي مخلوقات فضائية. أتينا إلى هنا لأنني كنت مهتمّاً بالحصول على دليل يرشدني إلى والديَّ".

قال هاكيم بشفافية تامة وبعيداً عن أي حقد: "لعل الطريقة المثلى لتكتشف ذلك هو أن ترسل عينة من بصاقك إلى تلك المواقع مثل تعرف إلى نفسك".

قلت له: "يا لها من فكرة سديدة! سأفكر في الأمر".

ذهب سباركي ليرى رفوف الكتب في الوقت الذي دوّنت فيه بريجيت رقم بيلي بيلشازير وعنوانه. أخذ سباركي برعم قرنفل من الصحن الصغير وقرّبه من أنفه ثم سأل: "لِمَ تضع براعم قرنفل يا هاكيم؟".

"قرأت مرة أن براعم القرنفل تبعد المخلوقات الرمادية كما يبعد الثوم مصاصي الدماء".

سأله سباركي: "ما هي المخلوقات الرمادية؟".

عندها سمعنا صوت خفقان ارتفع بسرعة، وتبيّن أنها شفرات

مروحية لم تكن تابعة للشرطة بل كانت أكبر بكثير. رأيتها تقترب عبر النافذة التي كانت خلف كرسي هاكيم. كانت منخفضة وتتقدم بسرعة، كما كان لديها محركان مزدوجان وصيانة عالية ودوار خلفي مفرد. حلّقت المروحية الضخمة فوقنا ثم غادرت. لم أفكر في تلك المروحية كثيراً بعد أن انخفض صوتها وتوقف المنزل عن الارتجاج. إن القواعد العسكرية شائعة في الجنوب الغربي، فتوقعت أن طياراً كان يتدرب على الطيران.

قال هاكيم: "إن المخلوقات الرمادية هي المخلوقات الشائعة في عالم الفضاء والتي أخبر عنها الناس الذين اختطفوا واقتيدوا إلى السفينة الأم، إن لون بشرتهم رمادي، لا بد أنك رأيت رسومات لهم. إنهم قصيرو القامة إلى حدّ ما، وهم ليسوا واضحي الجنس، ولا شعر لهم، رؤوسهم بيضاوية الشكل، وعيونهم جاحظة وكبيرة ولا بياض فيها، إن المخلوقات الرمادية تخطط لشيء خطير. إنها تريد منا شيئاً لا نستطيع تخيله، وأنا أدعو الله ألا أعرف ما هو هذا الشيء. آمل ألا يأخذوا ما يريدونه مني".

هذا الرجل مسكون ومضطرب، لقد تغيّر مجرى حياته لأنه كان في المكان والزمان الخاطئين، وشاهد شيئاً لا يمكنه فهمه أو نسيانه. اعتبرته مثيراً للاهتمام ومسلياً، لأنني أعامل جميع الناس على هذا الأساس، وأنا خير مثال على ذلك. في النهاية، هناك جانب غريب الأطوار عند جميع البشر بطريقة أو بأخرى وبدرجة أو بأخرى. شرعت في اعتبار هاكيم شخصاً تراجيدياً وضحية لاضطراب ما بعد الصدمة، وكان عالقاً في درج حلزونيّ من الخوف والذعر ويطوف

عليه مسرعاً، ولا يجد مهرباً.

لاحظت جهاز المسح الذي وضعه على طاولة القهوة فسألته: "أهذا جهاز مسح للمخلوقات الرمادية؟".

"لا، لا، إن الرماديين لا يغيرون مظهرهم. حصلت على هذا الجهاز من خبير في الصحون الطائرة في أركنساس. إنه يصنعه ويبرمجه بنفسه. إنه على صلة مع برنامج صيني لمسح الوجوه اسمه أل أل فيجين، ولكن من دون العدسات المعتادة. كما أنه مزود بنظام لمسح الوجوه أو بالأحرى لمسح العناصر البنيوية الغريبة. أردت أي شيء يميز الستار البشري. لست مختلاً".

قلت له: "بالطبع لست مختلاً. هل مسحت أحداً ورن الجهاز بعده؟".

"لا، ولكن النشاط الفضائي يزداد فلا بد من أن يرنّ يوماً. حمداً لله على مايلز بينيل. إنه عبقري".

"مايلز بينيل؟".

"إنه خبير الصحون الطائرة الذي يبيع الماسح والذي قابلته في أركنساس".

سألته بريجيت: "هل النشاط الفضائي في ازدياد حقاً؟".

نهض هاكيم كاسبار عن كرسيه مثل سوبر سونيك وقال: "إنه في ازدياد مستمر منذ أربعينيات القرن العشرين. إنه في ازدياد دائم - النشاط وعدد المشاهدات - باتجاه طرف أو آخر. من يدري ما هو الطرف المحدد؟ في العديد من الليالي أجلس في الحديقة وأراقب

السماء، لقد قمت بذلك عدة مرات، إن راقبتم السماء فستتفاجأون بما سترون. سترون أشياء لم تقلع من مطار أرضي، ولن تهبط في مطار. سترون مركبات هائلة من دون أضواء، ولكنها تحجب النجوم عندما تمر. لقد رأيتها ثم أعود لأدقق جيداً ثم أراها مجدداً فأنا لست مختلاً". نقل نظرته المضطربة من بريجيت إليّ ثم إلى سباركي. تنفس بعمق وقال: "لا تخبروا أحداً بما قلته لكم، إن عملي في محطة الطاقة يعتمد على بقاء هذه المعلومات طي الكتمان؛ لن يفهموا اهتمامي بهذه الأمور".

غادرنا المكان بعد أن أقسمنا له إننا سنلتزم الصمت.

كنت آخر من غادر، فقد وقفت عند الباب، ووضعت يداً على كتف هاكيم وقلت له: "أنا آسف"، ألقيت نظرة سريعة على الصور العديدة الخاصة بالنشاط الفضائي المجهول والتي غطت المكان برمته تقريباً وقلت: "لم أهجر نفسي في ذلك الطريق السريع، ولكنني أشعر بالمسؤولية حيال ما تعيشه وما قاسيته".

ضاقت حدقتا عينيه، وأخيراً عاينني وهو يبحث عن آثار غريبة. فاجأني عندها ووضع يديه حولي وعانقني ثم قال: "لا، لا، لا، لا، لا، لا"، أفلتني وتوسعت حدقتاه مجدداً، وترقرق الدمع في عينيه مضيفاً: "قبلك، أي قبل حادثتك، وقبل الباب في وضح النهار والفتحة في السماء، كان وقتي يمضي من دون أهمية، لم تكن هناك معجزات في حياتي أو سحر أو شيء أنتظره سوى راتبي وطرد البيرة. في ذلك اليوم، وبعد ما حصل فهمت تماماً أن العالم ليس مجرد شاشة لعرض فيلم، ولم يكن مسطحاً بل عميقاً وغريباً وذا

مغزى. لم أعرف حقيقة مغزاه، ولكن لا شك أنه مهم وأنا جزء منه. لو كان هناك رماديون - وهناك رماديون بالفعل - فلا بد أن هناك فضائيين خيرين زرق اللون أو من أي لون آخر. يوجد أي شيء يمكنكم تخيله وكل شيء يمكنكم تخيله في هذا العالم لأنه كبير حقاً.

أنا أدين لك يا كوين كويكسيلفر. أنا أدين لك لأنك منحتني السعادة".

لقد استخلصت بنفسي وعلى الرغم من محدوديتي درسين من ردّ هاكيم العاطفي. الدرس الأول هو: لا تحكم على طبيعة مشاعر الشخص الداخلية بالاستناد إلى ما يظهره من إشارات خارجية، أما الدرس الآخر فهو: يمكنك الاعتذار عن أفعالك، لكن من الغباء الاعتذار عن أفعال الآخرين، فأنت لست مخولاً للقيام بذلك. غادرت المقصورة وأنا أشعر أنني غبيّ، ولكنني كنت غبياً محملاً بالنوايا الطيبة.

واستني فكرة أنه بالرغم من أنني ألهمت هاكيم ليتبع مغزى الحياة العميق الذي لن يجده يوماً - كالأجسام الطائرة المجهولة، والرماديين، والزرق، والسفن الأم، ومخطوفين يُجرى عليهم فحص للمستقيم من قبل فضائيين مريبين - إلا أنني حفزت الإيمان بالمعجزات عند هذا الرجل المسكين؛ يتطور الإيمان بالمعجزات مع الوقت إلى إحساس بالدهشة والخشوع لوقار ما هو مهم وثمين وحقيقي.

قالت بريجيت عندما لحقت بها وبسباركي إلى الإكسبلورر: "سيتحمس وينستون كثيراً. إن رائحتنا تشبه لحم الخنزير المطبوخ بالفرن. لماذا عانقك؟".

"قال إنه مدين لي لأنني منحته السعادة، ولأكون دقيقاً إنه يقصد أنني منحته السعادة عندما كنت في المهد.

عبس سباركي وسألني: "السعادة؟".

قلت له: "إنها معدية أليس كذلك؟ دخلت منزله عكر المزاج، ولكنني خرجت وأنا أشعر باللامبالاة، حتى إنني أرغب بالرقص. علينا الآن الذهاب ومقابلة بيلي بيلشازير. لا يزال النهار في بدايته، ولكنني أود الخروج من بيبتو قبل أن يبدأ عرض الخفافيش والحشرات".

قال سباركي وهو ينظر إلى المقصورة: "ما هذا؟".

قال هاكيم وهو يسرع نحونا: "هذا"، وكان يحمل بيده هاتفاً ذكياً وكأنه يحمل شعلة الألعاب الأولمبية.

كان يتمتع بخدمة الهاتف هناك.

لا بد أن هذه الخدمة كانت لها علاقة بأحد الأطباق التي كان يضعها على السطح.

حذّرنا هاكيم قائلاً: "اتصل بي جون تشينغ الآن. لا يمكنكم التوجه الآن إلى منزل بيلي بيلشازير، وليس في أي وقت لاحق. كانت تلك المروحية تنقل عملاء جهاز الأمن الداخلي. إنهم ثمانية أو تسعة أوغاد في منزل بيلي، لقد صادروا سيارته الجيب وسيارتي دورية

من سيارات المأمور. لا شك أنهم سيتجهون إلى هنا عندما يخبرهم أحد ما بعنواني، وهذا لن يحصل بسرعة لأن سكان بيبتو لا يفضلون التعامل مع نوعهم. عليكم أن تتجهوا إلى بانثيا حالاً. كان بيلي سيرسلكم إليها بعد أن تزوروه. كانت بانثيا تنتظر قدومكم منذ أسابيع".

سألت بريجيت: "منذ أسابيع؟ لم نعلم أننا سنأتي إلى هنا قبل البارحة".

"أجل، ولكن بانثيا ترى".

"ما الذي تراه؟".

"إن المستبصر يرى ما يحلمه".

"بالطبع. يا لسخافتي لأنني لم أفهم".

"اذهبوا إلى بانثيا. إنها تنتظركم، ستكونون في أمان معها. لن يخطر على بال أحد أن يبحث عنكم هناك".

كنت متأكداً من صحة كلامه لأنني ما كنت لأبحث عن نفسي هناك مهما يكن ذلك المكان.

"حسناً، ولكنني لا أعرف أحداً باسم بانثيا. من هي بانثيا؟".

رمقني هاكيم بنظرة انزعاج وذهول، وكأنه يتساءل كيف للفتى المعجزة أن يكون بهذا الجهل.

"من بانثيا؟ بانثيا تشينغ بالطبع".

| 22 |

تعلّم وينستون طريقة اللعب مع الدمية. جلس الكلب في المقعد الخلفي بجانب سباركي، وبدا مستمتعاً بالدمية، وحرّك ذيله بسعادة يميناً ويساراً خلال رحلتنا من منزل هاكيم النائي إلى منزل بانثيا. دلّنا خبير الفضائيين على اتجاهات ذلك المنزل بحركات ملهوفة. قال سباركي: "عرفت رجلاً في حياتي أراد أن يحمي أولاده، فاقتنى كلب هجوم كان له من اسمه نصيب، إن حاولت أن تعطيه دمية كان سينتشل يدك ويأكلها".

قلت له: "يبدو من الخطر أن تترك أولاداً مع هذا الكلب".

"ليس هؤلاء الأولاد، كانوا أولاداً أقوياء، وكان الكلب يكنّ لهم احتراماً بالغاً".

عندما خيّم ضوء المساء على الأراضي القاحلة عديمة الألوان، زيّنت ظلال الصبار ونباتات المسكيت القصيرة الأرض، ولكن سكينة نهار الصحراء لن تستمر مع حلول الليل. كان هناك وابل من السحب يتجه من الجنوب الغربي ليغطي الشمس قريباً. بدأ الهواء الساخن يبرد نتيجة العاصفة المقتربة، كما شرعت الرائحة القلوية الخفيفة بالتبخر.

لم تسكن بانثيا ابنة جون كينيدي تشينغ أحد منازل العائلة الخمسة في جوار محطة تشينغ، بل سكنت وراء حدود بيبتو المبهمة في الضاحية غير المعروفة التي اكتشفت أثناء بحثي أنها سميت بأرض يباب دان الميت، ولكن دان كان منسياً من التاريخ لدرجة أن أحداً لا

يعلم من هو، أو أين عاش، أو كيف مات. يقع منزل بانثيا في نهاية طريق حصوي، وهو عبارة عن هنغار حوّلته إلى مسكن. تعود تلك المنشأة إلى الحرب العالمية الثانية، حيث أجرت الحكومة فيها عدداً من التجارب التي لا يجرؤ أحد على التحدث عنها، والتي أسفرت عن ثلاث عشرة حالة وفاة، وتلويث للتربة تطلب أكثر من نصف عقد للتخلص منه.

تفيد الشائعات أن إحدى التجارب كانت عواقبها وخيمة، حيث هُجنت صراصير بست أرجل وحُوِّلَت إلى كائنات تثير الرعب بحجم كلاب داشهند، ونمت لها أسنان أتاحت لها اختراق الجلد ونخر العظام. استغرقت عملية إبادة تلك المخلوقات ثلاثة أيام في حرب مع الحشرات باستخدام قاذفات لهب وبنادق رشاشة.

مضت ثماني عشرة سنة على تلك الحادثة، ولم يرَ أحد مثل هذه الوحوش، وبغض النظر عما حصل هناك يُرجَّح أن قصة الصراصير مفبركة، ولا أساس لها، وهي شبيهة بشائعة أخرى انتشرت في العقد نفسه عن تطوير قنبلة ذرية ضمن مشروع يسمى مشروع مانهاتن.

كان هناك ثلاثة أطباق لاقطة على السقف كما هو الحال في منزل هاكيم. لعل مقيم المنزل كان يقدر الوصولية ويعتبرها أولوية.

غادرت بانثيا التي تبلغ الآن الثلاثين من العمر منزل عائلتها عندما كانت في سنّ الثامنة عشرة. لقد ابتعدت عن أهلها لأنها استشرفت أنها ستقتل على يد قاتل مأجور غير بشريّ ليلاً، ولم ترِد أن تُعرّض أهلها للخطر، بعد أن انتهى هاكيم كاسبار من إرشادنا إلى منزل بانثيا،

غمز لنا، وهو الذي رأى باباً في وضح النهار، وفتحة في السماء، وأمضى عشرين سنة من عمره وهو يؤمن بأن المنطقة عبارة عن خادمة للنشاط الفضائي، عندما أخبرنا عن قصة القاتل المأجور غير البشري وقال: "بانثيا غريبة الأطوار، ولكن هذه المنطقة تزخر بهذا النوع، وبغض النظر عن قصة القاتل المأجور، إنها سيدة رائعة، ومستبصرة مُصيبة".

انتظرتنا بانثيا أمام الهنغار عندما سمعت صوت السيارة. كان طولها خمس أقدام وإنش واحد ووزنها حوالى الخمسة والتسعين رطلاً، وكانت أجمل من أية زهرة في الصحراء، فهي كانت عبارة عن مجموعة من الأزهار التي تشع جمالاً. لو كانت أذناها أكثر تدبباً لظننت أن لديها جينات قزم حيث كانت عيناها واسعتين وزرقاوين وشفّافتين لدرجة أنك يمكنك ملاحظة العضلات الصغيرة في الحدقتين.

مع أنها تمتلك جسد مراهقة ووجه طفلة إلا أن حضورها كان آسراً، فقد وقفت باستقامة، وفرجت ساقيها، وارتدت سترة حمراء قانية وبنطال جينز رمادياً أقحمته داخل جزمة كجزمة جندي سوداء. كان شعرها الأسود قصيراً، ومن خلال وضع يديها على فخذيها بدت أنها تستعدّ للقتال بوجه جاكي شان في حال كنا مصدر تهديد لها.

قالت لنا أن نصطحب وينستون معنا عندما ترجلنا من الإكسبلورر. ركض وينستون عندما تحرر من السيارة عبر الباحة ومر ببانثيا، ودخل الهنغار، وكأنه سبق له أن عاش هنا ويتوق للعودة. نظرت بانثيا متفحصة إيّانا، ثم أومأت برأسها وكأنها تتحقق من هوياتنا

بشيء يشبه الحاسة السادسة وقالت: "كوين، بريجيت، وسيلاس الذي يطلق على نفسه اسم سباركي. لقد علمت أنكم آتون إلى هنا، لقد اكتمل الفريق الآن".

سألتها: "الفريق؟".

"إنه فريق من بين عدة فرق، ولكنه لا يقل أهمية عن سائر الفرق. إن كلاً منا يعد ألوف شيل هالاخاه، وتقع على كل منا مسؤولية كبيرة".

قلت لها: "ولكننا في مهمة".

قالت بريجيت: "إن الأمر ليس بهذه البساطة".

سألت بانثيا المستبصرة: "أليست هامة؟".

"ربما هي هامة، ولكنها ليست مهمة هامة وحسب".

لقد ضقت ذرعاً من هذا، لذا قلت: "سنعثر على ما يعادل الكأس المقدسة، وتابوت العهد، ومقبرة الفيلة ثم سننتهي".

قال سباركي: "ماذا يعني ذلك اللقب ألوف لا أدري ماذا؟".

قالت بانثيا تشينغ: "عندما تعرفون لماذا أنتم موجودون ستعرفون معنى تلك الكلمات".

"لماذا أنا موجود؟ أراد والدي طفلاً ولذلك أنا موجود. لذا من فضلك يا سيدة تشينغ أخبريني ما معنى ألوف شيل هاليبوت".

"لن تعني لك تلك الكلمات شيئاً الآن؛ ستعرف معناها بمرور الوقت".

انزعج سباركي من أن يكون متلقياً للغموض الذي كان يطبقه عليّ وعلى بريجيت فقال: "كان سؤالي بسيطاً".

قالت المستبصرة: "ليس هناك أسئلة بسيطة بل أجوبة بسيطة وحسب، وهناك أجوبة عليك استخلاصها بنفسك. أياً يكن الأمر، تُفضِّل بعض القوات أن تطلق على نفسها لقب ألوف شيل تيف شوك، وتفضل قوات أخرى لقب ليجيس ناتوراليس بروبوغناتو، ولكن الجوهر واحد".

سألت بريجيت: "وما هو هذا الجوهر؟".

"المقاومة".

"مقاومة ماذا؟".

"ليس عليكم أن تسألوا عما تعرفونه مسبقاً. هيا ادخلوا. سينشر جهاز الأمن الداخلي عملاءه في شتى أنحاء المقاطعة، ولكن لدينا عدة ساعات قبل أن يطرقوا بابي، عليكم أن تروا ما أرسم في نومي، وستتعرفون إليه".

بدأت ملاحظة أنني لن أسجل هذا اليوم على مفكرتي بأنه اليوم الذي عثرت فيه على والديّ، أو اقتربت حتى من معرفتهما. كان هذا اليوم عبارة عن قدر غريب يربط حياة البشر بطرق غير متوقعة. لقد جُذبت عائلات تشينغ ورينكينغ وكويكسيلفر بشيء أكثر من مجرد مغناطيسية روحانية. أياً يكن الأمر، كل محاولة أقوم بها كي أكتشف المزيد لن تقودني إلا إلى مزيد من الألغاز الصعبة التي تتعلق بالوجود الإنساني أو بالجانب المظلم لهوس هاكيم كاسبار.

على ذكر ذلك الهوس، بدا أن بانثيا سمعت أفكاري بعد أن دخلنا الهنغار، لكنها بالكاد كانت تؤدي دورها كمستبصرة الفريق عن طريق تحريرنا من أية صحة قد استخلصناها عن السفن الأم وسكان غير أرضيين بلون رمادي أو ألوان أخرى. قالت: "ليس لهذا الموضوع علاقة بالفضائيين من مجرات أخرى أو من عالم أبعد من عالمنا أو من قمر على زُحَل. إن تلك الأمور لا تعدو كونها من نسيج مخيلة كاتب أفلام. لو كان خصمنا هكذا لكنت ابتهجت، إن الحرب التي جُندنا فيها أقدم من الأرض نفسها ومن النجوم أيضاً، وليس لدينا حل سوى أن نضحي بأنفسنا في المعركة الحالية. إن الحرب بالإضافة إلى خصمنا يلتهمان العالم".

ما قالته بانثيا كان ضرباً من الجنون.

وكما سبق لي أن كتبت، إن كلَّ إنسان غريب أطوار بدرجة أو بأخرى. يكون هذا الكلام صحيحاً في حال كان هناك معيار خاطئ للطبيعية؛ أنا متيقن أنه خاطئ. إن البشر بصفتهم جنساً يتربعون على عرش كل أشكال الحياة، وبغض النظر عن إصرار علماء الاجتماع المتعنتين والسياسيين وكل من يندرج تحت هذه الخانة على تقسيمنا إلى جماعات، وطبقات، وقبائل ليسهل التحكم بنا، إلا أنني واثق أن قوتنا تنبع من تفردنا. إن آينشتاين يكشف لنا بعبقريته أسرار العالم، وكذلك يفعل طفل مصاب بمتلازمة داون فهو يضيف لمسة الطيبة والتواضع إلى العالم بحركاته الفطرية، وعندها نلاحظ كم يفتقد هذا العالم للطيبة، إن كل إنسان يمتلك شيئاً ليقدمه إلى هذا العالم.

أقول كل إنسان، ولكنني أستثني المعتلين اجتماعياً، إن تلك الأرواح الخاوية مجردة من العاطفة الإنسانية بكل أشكالها - باستثناء التعطش إلى السلطة - ولكن هؤلاء المعتلين يتميزون في محاكاتهم لتلك العواطف. تفيد بعض الإحصائيات أن نسبة المعتلين اجتماعياً في العالم تعادل عشرة بالمئة تقريباً، بعضهم مجرمون يجوبون الشوارع وقد يسلبونك روحك ليسلبوك ما في حقيبتك، وربما يُقدِمون على ذلك لمجرد الاستمتاع، أما بعضهم الآخر فهم جزء من الطبقات الراقية التي تنتفع من المجتمعات.

ما قالته بانثيا عن أن خصومنا أكبر من الأرض نظرت إليه بصفته ضرباً من الجنون، أعلم أنها ليست معتلة اجتماعياً؛ من المستحيل أن ينجب جون كينيدي تشينغ مثل هذا النوع؛ ولكن أياً يكن الأمر، يختلف الجنون عن الاعتلال الاجتماعي كما أن مقومات الجنون كامنة في جميع القلوب، وهي التي قادت إلى أفظع الجرائم التي يندى لها جبين الإنسانية عبر التاريخ. عندما تتحد السياسة المتزعزعة والأيديولوجيات الجنونية، يمكن للذين لا يؤمنون إيماناً راسخاً بالمجتمع المدني أن ينجرفوا، ويكونوا جزءاً من دوامة الجنون التي تنشر الخراب في كل شيء.

عندما تحدثت بانثيا عن الحرب التي هي أقدم من النجوم، بدت وكأنها انجرفت وراء عقائد يمكنها أن تقود للتعصب المجنون.

في ذلك الصباح، عثرت وبريجيت على تجربتنا في منزل بانثيا - تذكروا ما رأيناه سابقاً عندما جُذبنا عبر المرآتين وكأننا نجوب عالماً

آخر - حيث رأينا تلك التجربة منسوخة على جدران الغرفة الأمامية. لو كانت تلك اللوحات جزءاً من جنون بانثيا فسنكون نحن أيضاً على طريق الجنون.

لاحظنا أن ذلك الهنغار الذي وُجِّه مدخله إلى الشرق ووُجِّه بابه الخلفي إلى الغرب تماماً صُمِّم بشكل يشبه منازل الشوزن أي دون رواق: كانت غرفة المعيشة في المقدمة تليها غرفة طعام صغيرة خلف الباب كما هناك باب آخر يؤدي إلى المطبخ وخلفه حمام، وكان هناك مرأب خلف الحمام، ركنت فيه سيارة رانج روفر قديمة.

في الفراغ التمهيدي أي في غرفة المعيشة، هناك ست أرائك منفصلة وإلى جانبها طاولات لخدمتها بالإضافة إلى مرسم كبير مع كرسي خاص وخزائن لحفظ الفراشي والألوان وحاملَين للوحات كان عليهما لوحتان غير منتهيتين.

اعتبرت بانثيا تشينغ موهوبة للغاية، بالاستناد إلى تلك اللوحتين. ولكن للأسف، إن لوحات الطاهيَين فيل وجيل بِن - هو وشعره المدبب البنفسجي وحاجباه الحليقين، وهي وشعرها الأخضر المدبب، وملابس نومها السوداء، وحذاؤها الأحمر - كانت أقل تأثيراً بالمقارنة. إذا حلق صديقاي التوأم شعريهما، وصبغا بشرتهما باللون الأزرق، وإذا قررت منظمة الفنون أن عملهما قابل للتسويق فلعل سعر اللوحتين اللّتين اشتريتهما منهما سيعلو فجأة وعندها سأبيعها وأؤمن نفقات تقاعد مريح. إن هاتين اللوحتين معلقتان على حائط حمام الموظفين في مجلة أريزونا!

أياً يكن الأمر، إن احتمال ارتفاع الأسعار أقل من احتمال عيشي كصائد وحوش ناهيك عن خطة تقاعدي.

كان الهنغار كبيراً وكان الفراغ التمهيديّ أكبر غرفة في المنزل وتصل مساحته إلى ستين قدماً مربعة تقريباً. غطت اللوحات غير المكتملة التي زعمت أنها رسمتها في نومها الجدارين الشمالي والجنوبي من ذلك الفراغ.

قالت بانثيا: "استغرقت مني كل جدارية عدة أسابيع. لطالما استيقظت في الليل لأرى نفسي أعمل عليها. كنت أتعب خلال النهار، فأستلقي لأحظى بقسط من النوم، ثم أستيقظ بعد عدة ساعة وبيدي مازجة الألوان، وألاحظ الفراشي، وعبوات الأكرليك المصفوفة، وأرى نفسي منهمكة في الرسم".

مشينا على يسار المدخل الرئيسي لنصل إلى الجدار الجنوبي الطويل لنرى الجدارية غير المكتملة التي يبلغ طولها ثماني أقدام والتي تعرض بشكل واضح ما رأيته في مرآة حمام النزل في ذلك الصباح. كان ذلك المشهد عبارة عن جحيم ثلاثيّ الأبعاد مع حركات سكانه. غير أن هذه الجدارية ثنائية الأبعاد تشبه صورة جامدة، ولكن شغف ومهارة الرسام أعطتها قوة مزعزعة. صوّرت متاهة الأنفاق، والعمارة السريالية، والموتى الذين يتدلون من الجدران أو يمكثون في التوابيت، والنور الطيفيّ الذي يخرج من أفواههم المفتوحة وأعينهم الغائرة، كما صوّرت الغيلان المفترسة.

تم رسم أهوال أخرى، لم أنتبه إليها تماماً أثناء رحلتي في عالم

المرآة، لقد بلغت هذه المشاهد درجة من التعقيد تضاهي قدرة هيرونيموس بوس(6)، ولكنها كانت أفظع من أي شيء ممكن لبوس أن يتخيّله ويرسمه. رسمت بانثيا تلك اللوحة قبل أسابيع من رحلتي أنا وبريجيت إلى ذلك المستقبل اللئيم والخطير؛ إن كان ذلك العالم يُعدّ مستقبلاً أصلاً.

استمرت اللوحة الجدارية على الجدار الشمالي. رُسِمَت فيها حشود من الناس العراة والمذعورين يركضون داخل نفق قطار مظلم، وكانت المقطورات تعج بالملعونين. كما صورت فيها المدينة المحترقة والجرائم العنيفة التي تحدث في كل زاوية من زواياها. رأيت ذلك الحصان المذعور الذي يجر العربة المحترقة، والمرأة الباكية التي تحمل رضيعها الدامي بين يديها. مشى الصارخون في تلك المدينة الضخمة المتدهورة بين المغتصبين والقتلة وكأنهم لا يكتفون بالمراقبة بل بالإملاء والتشجيع. توقفنا عند شيء زعزعنا أكثر من أي شيء آخر في تلك الجدارية. كان وجهي ووجه بريجيت يطفوان فوق تلك السماء التي تشع باللون البرتقالي بسبب النيران المشتعلة، وكانا يشبهان قمرين شاحبين. كنا ننظر إلى القتلة المدمرين والعنيفين بتعابير تماثل تعابيرنا عندما نظرنا إلى مرآة النزل، ووجدنا أنفسنا في رحلة إلى الجحيم. قالت بريجيت بدهشة: "لقد رسمْتِنا قبل أن تراودنا تلك الرؤيا، لقد عرفت أنها ستراودنا".

قالت بانثيا: "لم أكن أعرف شيئاً. أنا أرسم في نومي أو في حالة اضطراب إذا كنتم تفضلون هذا الوصف. كنت أخاف من كل مشهد أرسمه عندما أستيقظ، ولكن عندما انتهيت من تلك المشاهد، عرفت

عندها أنكم ستحضرون وأننا سنؤدي دورنا الصغير في درء هذا المستقبل الذي تشاهدونه على هذه الجدران".

نظر سباركي إلى حفيدته بعد سماع هذه الكلمة بنظرة مستنكرة دلت على أنه كان قادراً على معاقبة أعداء هذه البلاد دون رحمة. "رؤيا؟ رأيت كل هذا في رؤيا وليس مجرد شعور؟ لِمَ لم تخبريني؟".

"لقد رأيتها هذا الصباح يا جدي. اختبرناها أنا وكوين بشكل منفصل. كنت أعالج الأمر طوال هذا الوقت وهو أيضاً. لم أرد أن أتحدث عنها قبل أن أفهم الموضوع تماماً".

"لقد تحدثت عنها مع كوين بالطبع".

قلت له: "في الحقيقة، لم نتحدث كثيراً عنها. لقد تأكدنا أننا رأينا شيئاً فظيعاً عبر مرآتينا".

وضعت بريجيت يدها على كتفي لتسكتني.

قال سباركي: "لم نخفِ شيئاً عن بعضنا طوال هذه المدة، كنا فريقاً واحداً".

"ولا نزال فريقاً واحداً يا جدي. احتجت وقتاً لأفهم ما جرى ولأرى وجهة نظر كوين أيضاً"، اقتربت منه ووضعت يدها على وجنته، "وكما تعرف يا سباركي، لقد أصبحنا ثلاثة أفراد ولم نعد فردين فقط...".

قالت بانثيا: "أربعة".

صححت بريجيت لنفسها: "أربعة أفراد".

زمجر وينستون.

قالت بريجيت: "خمسة أفراد. لقد قاسينا الكثير بمفردنا يا سباركي، وكنا رائعين خلال تلك الأحداث، ولكننا نحتاج مساعدة الآن، وهي تُعرض علينا، كم فرداً كان في فريق قوة العمليات الخاصة البحرية الأميركية؟ هل كان فيه فردان فقط؟ أشك في الأمر".

لم يستطع أن يعبس حتى عندما واجهته، أشاح بوجهه وتنهد قائلاً: "شعرت فجأة أنني كبير في السن".

قالت: "أنت لست كبيراً في السن، أنت مخضرم والفريق يحتاج فرداً مخضرماً، ولن ينجح الأمر من دونك".

نظر سباركي إليّ، واعتذر مني، فقلت له أن لا مشكلة، ثم قال لبانثيا تشينغ إنه ليس متأكداً من شأنها تماماً فقالت له: "وأنا كذلك"، ثم ابتسم لها.

أخفت بريجيت عنه شعورها الاستشرافي بأن أحداً منا لن ينجوَ من هذه المهمة. أتساءل ما إن أخفت شيئاً عني أيضاً.

| 23 |

كانت العواصف النادرة تجرف الأرض، وتحوّل مجاري المياه الجافة إلى أنهار غزيرة، وتنعش الأراضي المنخفضة بفيضانات مفاجئة على الرغم من أن الحياة الصحراوية لم تكن مروية مثل شواطئ البحار والغابات المطرية والحقول المروية. لم ينهمر المطر في ذلك اليوم على الهنغار بهدوء، بل قرع عليه بعنف، وكأن الطبيعة لم تفهم نوايانا، ووقفت في صفّ الصارخين في حربهم ضدنا. قالت بانثيا إننا ستُستدعَى إلى الخدمة قريباً، وإننا سنغادر بيبتو هذا المساء، لذا نحتاج إلى عشاء يقوينا لنتحمل ما ينتظرنا بين الآن والفجر. تحدثت بهدوء وثقة وقوة السلطة، وبدت عيناها الزرقاوان والشفافتان نافذتين لذهنٍ متّقدٍ غير قادر على الخداع ولا يُخدع.

لم أشكّ وبريجيت وسباركي في قدرتها كمستبصرة أو بكونها حليفتنا. صحيح أننا كنا متوترين مما سيأتي لاحقاً، لكننا سعداء لأنها إلى جانبنا، وستقدّم لنا معلومات أكثر عن الصارخين وعن هدفنا.

استناداً إلى قوامها الصغير وميلها إلى التصوّف، توقعنا أنها ستقدم لنا وجبة من الخضار العضوية والتوفو، ولكن لحسن الحظ، تجاوز ذوقها ذوق محبّي الكرنب والجزر. لقد حضّرت لزيارتنا لحماً مدخناً، وأفخاذ دجاج مقطعة، وعدة أنواع من الجبن، وثلاثة أرغفة من الخبز المنزلي صنعَتها بنفسها، وسلطة بطاطا، وسلطة فاصولياء، وعدة منكهات. سألتنا إن أردنا أن تقدم لنا بيرة مثلجة كانت قد وضعتها في درج البراد على درجة ست وثلاثين، ووافقناها جميعاً.

أوحت طبيعة البوفيه أنه العشاء الأخير للذين كان موتهم حتمياً، إن كانت بانثيا قد استشرفت حالات الموت الكثيرة التي ستتبع تلك المأدبة، فلا بد أنها لائقة لأنها أبقت ما تعرفه طي الكتمان.

كانت غرفة طعامها ذات طراز صناعي أنيق، وكان فيها طاولتان دائريتان تحيط بكل واحدة منهما ثمانية كراسٍ لتتسع لجميع أفراد عائلتها. جلسنا إلى الطاولة، وبين كل فرد منا كرسي فارغ، ولكن الجوّ ظل حميمياً، كانت الغرفة منارة بست عشرة شرارة تقريباً تتلألأ على فتائل في كؤوس حمراء، وبضربات البرق التي تسللت من النوافذ الصغيرة، شكّلت ظلالاً تشبه أرواحاً غاضبة.

كان الجو يشبه جلسة لاستحضار الأرواح، ولكن مع مرطبات.

جلس وينستون النبيل على ما يشبه كرسي قبطان فارغة بيني وبين بريجيت، وتناول من يدها قطعاً من اللحم - ورفض أن يتناولها مني - ولكنه لم يطلب المزيد، وتصرّف بلباقة رئيس وزراء.

قالت بانثيا: "إن الذين تطلقون عليهم اسم الصارخين، كانوا مخلوقات جميلة ولم يكونوا وحوشاً قميئة، ولكنهم أصبحوا وحوشاً في عقولهم وقلوبهم. لقد حلمت بهم لمدة خمس عشرة سنة، إن أحلامي ليست مجرد أحلام، بل هي دروس عن حقائق العوالم. أنا أدرس في أحلامي، وينتسب الصارخون إلى العالم الأول الذي يسبق عالمنا، إن الحاسدين منهم لوّثوا نوعهم برمته، وغذّوا الشك والكراهية اللذين تحوّلا لبغضٍ أطلقوا عليه لقب الفضيلة، ودمروا من خلاله الأرض. كان ذلك العالم المدمر هو الإرث الذي صنعوه لأنفسهم،

إن الشكل الخارجي للذين بقوا منهم عكس طبيعة أرواحهم. أصبحوا وحوشاً خالدة محتجزة في العالم الأول. أُطلِق عليهم الريشون أو الأوائل عندما كانوا جميلين ونضرين، ولكن عندما أصبحوا وحوشاً أُطلِق عليهم نيهيليم أو العدميّون".

ذكّرتني نعومة صوتها وسلاستها بفتاة عرفتها في الميتم واسمها آني بايبر. كانت آني تكبرني بثماني سنوات، واعتادت أن تقرأ لنا قصصاً عالمية وقصصاً من تأليفها عندما كنت دون العاشرة من عمري، كانت قصصاً عن أشياء لم تحدث ولن تحدث مطلقاً، ولكنها كانت تقصّها علينا بحيوية هادئة، وإقناع بالغ، لدرجة أننا صدّقناها، وأردنا متابعة تصديقها، حتى عندما سُرِق منا إحساسنا بالمعجزات.

شجّعتها الأخت مارغريت التي أُعجِبت بكتابتها، وإثر ذلك حظيت آني بمنحة، وتوقعنا منها أموراً جيدة، كأن تصبح كاتبة معروفة ذات يوم. ولكن بدلاً من هذا، تخلفت عن الجامعة، وأخذت منحى آخر فضّلته أكثر، ولم نسمع عنها شيئاً بعد ذلك.

هذا مؤسف حقاً، ولكنني أتفهمه. تبدو كتابة الروايات عملاً ممتعاً ومشوقاً، ولكنه في الحقيقة أقل متعة من الملاكمة الاحترافية، وأكثر تشويقاً من العمل المكتبي، ولكن بدرجة قليلة.

إذا وددت أن تكتب رواية، فعليك أن تحب الناس كي تكتب عن الحال البشرية، وفي الوقت ذاته، عليك أن تحبس نفسك في غرفة واحدة معظم الوقت حتى تنجز العمل، وهذا أشبه ما يكون بمصارع يتخلى عن الحلبة كي يقحم نفسه في تدافع، ويصدم نفسه

بالجدران كل يوم ولعدة ساعات.

تابعت بانثيا: "نحن الأوائل أو الريشون من العالم الثاني، ولكن نوعنا يفتقر إلى الملكات التي كانت متواجدة في بداية العالم الأول. فكّروا في الأمر على هذا النحو؛ عُدلت مورثاتنا لجعلنا أكثر تواضعاً كي نتجنب الغطرسة التي قلبت عالمهم رأساً على عقب، إن العدميّين الذين تطلقون عليهم اسم الصارخين، لا يمكنهم اجتياز عالمنا بإرادتهم، ولكن أسوأنا وأقلنا أخلاقاً يمكنه أن يفتح الباب لهم، ويدعوهم، وهذا ما حصل منذ زمن بعيد".

قال سباركي: "من هذا المغفل الذي يدعو تلك الديدان؟".

نبح وينستون، وكأنه يؤيد ما توصل إليه سباركي.

قالت بانثيا: "المغفل الذي يؤمن بكل الأساطير التي استندت إلى العدميّين، والذي يعرف العدميّين بعدة أسماء منحت لهم في الأساطير، وهي ليست أساطير في الحقيقة. ذلك المغفل يحترم أنانيتهم وقسوتهم ويريد منهم أن يمنحوه السلطة والقوة. هناك طقوس لفتح الباب، ولكن ليست الطقوس هي ما تجذب العدميّين، بل شغف مَن يدعوهم، الطقوس ليست أساسية، لأنه يمكن لشخص متعطش إلى السلطة والمستعد لارتكاب جناية أو جنحة أن يستضيف العدميّين كي يحظى بسيطرة على الآخرين، فيصبح ذلك الشخص باباً من دون أن يعلم".

قلت وأنا أتناول سلطة الفاصولياء: "لقد حُكِم علينا بالفشل"، ولكنني لم أقلها بيأس.

هناك أمل حتى لو وقعت زخرفة من حجارة كلسية تزن طناً وأنت تقف تحتها تماماً وتتساءل عن الظل الذي يرتسم على الرصيف. لو اعتقدتُ أنه ما من أمل ما كنت لأتناول سلطة الفاصولياء، بل لفافات القرفة. كررت جملتي: "لقد حُكم علينا بالفشل".

فهمت بريجيت قصدي، وقالت عندما كان فمي ممتلئاً: "في كل أصقاع العالم، يتزايد عدد الشعوب التي تقاد بالمتعطشين للسلطة، والذين يطالبون بالتذلل التام، ولا تقاد بالمسؤولين الذين يسعون وراء خدمة الشعوب، يبدو أن هؤلاء المتعطشين يبرِّئون قساوة قلوبهم، ويسمون بغضَهم عدالة ويدعونها فضيلة. كم من عدميٍّ أو صارخ جُلِب إلى عالمنا بقصد أو بغير قصد؟".

قالت بانثيا: "ربما هم حلفاء وربما لا، ولكن عندما يحظى الأوصياء علينا بالقوة المطلقة، فسينتهي المطاف دائماً بالجنون والمجازر، علينا أن نقاوم بشدة بغض النظر عن الجحافل التي تقف ضدنا، إذا خسرنا فسيموت العقلاء منا في مجازر ومحارق متتالية إلى جانب المجانين الذين يكرهوننا لأننا لا نشاركهم أوهامهم".

لعله حان وقت لفافات القرفة.

لبرهة، تناولنا طعامنا بصمت، وحرّكت النسمات لهب الشموع، وانعكس الضوء على الجدران، وتسلل إلى طاولة الطعام. تعالى دويّ الرعد، وانهمر المطر الذي تجرّه الرياح بقوة على السقف والجدران المعدنية. يطلقون في الأفلام على هذا اسم "الجو المحيط". كانت الطبيعة الأم تؤدي دور هيتشكوك في حين كنا نريدها أن تقتدي

بأفلام شركة هولمارك. لقد زاد جوعي مع كل لقمة تناولتها وحتى البيرة لم تؤثر على وعيي، وكأنني سجين يعيش لحظاته الأخيرة، ويتناول المشروبات والطعام اللذيذ وهو يجلس على الكرسي الكهربائي.

فكّر سباركي في كل ما قالته بانثيا ثم قال: "أنت تقولين إنهم خالدون، ولكننا قتلنا اثنين منهم في استراحة شاحنات يوم أمس".

"إنهم خالدون في العالم الأول، لقد لعنوا بالخلود في ذلك العالم، ولكنهم ليسوا خالدين في المكان الذي لا ينتمون إليه، وعندما يأتون إلى هنا فهم يرتدون قناع الريشون".

إن حديثنا سيبدو كمحادثة أثناء شرب الشاي في ضيافة صانع القبعات في بلاد العجائب لأي شخص لا يعلم ما اختبرناه.

أصرّ سباركي وقال: "لماذا سيتخلون عن الخلود، ويخاطرون بأنفسهم في القدوم إلى هنا؟".

كان لبانثيا شهية تفوق حجمها، كما كان حضورها قوياً على الرغم من صوتها الناعم، ومع ذلك، بدت بانثيا نحيفة وشفافة في الغرفة الظليلة المنارة باللهب الذي ينبثق من الكؤوس الحمراء.

"لماذا يخاطرون بأنفسهم؟ لأنهم يعيشون في ذلك العالم بين الخراب الذي سبّبوه بأنفسهم، وليست لديهم القدرة على خلق أي شيء جديد. إنهم يتواجدون ليدمروا وحسب، الدمار هو متعتهم الوحيدة، تلك هي التهلكة التي رموا بأنفسهم إليها عندما وصلوا إلى أعلى درجات الفساد العدمي، لم يبقَ في عالمهم شيء ليدمروه، إنهم

محاطون بالأنقاض والرماد، ويعيشون في انزعاج وغضب لا يخمدان أبداً. ما فائدة تحويل الأنقاض إلى رماد، والرماد إلى غبار دقيق؟ لا متعة في هذا، وبما أنهم لا يستطيعون قتل بعضهم أو الانتحار لأنهم خالدون، فهم يتوقون إلى العالم الثاني حيث يوجد كثير من الأشياء التي يمكن سحقها، والكثير من الناس الذين ينتظرون التعذيب والإفساد والقتل، وهناك أناس يسلكون طريق العدميّين بالفعل. وبما أن العدميّين كانوا آلهة محلية، فإنهم على ثقة بوجود خلق جديد، كما أنهم يتوقون إلى الانضمام إلينا حتى ولو كلفهم هذا خلودهم".

عندها شعرت بالغثيان، ولم أسكب شيئاً في صحني. اعتقدتُ أن منغِّصَي الهضم - ألا وهما التوتر والأسى - قد أفسدا شهيتي؛ كان الأسى بسبب ما عرفته، أما التوتر فكان بسبب ما أجهله. كنت مرعوباً مما أعرفه، ومذعوراً مما هو قادم، وهذا كفيل بأن يثبط شهية رجل جائع. ولكن أياً يكن الأمر، لاحظت أن سبب توقفي عن تناول الطعام لم يكن الخوف، لقد نجم الغثيان عن الشعور بالفقد، ومعالجة الأحداث ابتداء مما حدث في مطعم بِن أول من أمس حين باغتني عميلا جهاز الأمن الداخلي على طاولة الطعام وما تلا تلك الحادثة. عندها لاحظت أنني حرمت من نعمة حضارة تفضل المنطق على اللامنطق، واللباقة على الفظاظة كما كانت الحال سابقاً. وددت أن أعود ذلك الشاب الذي يبلغ من العمر تسع عشرة سنة الذي يكتب مقالات لمجلة أريزونا! ويحلم في أن يصبح روائياً ذات يوم، ولكن ليس هناك مجال لأعود إلى تلك الحياة.

احتجت إلى مضادٍّ للحموضة، وكنت أفضل عباءة الإخفاء أو عربة

بابا الفاتيكان المضادة للطلقات.

قالت بريجيت: "أطلقنا النار على صارخَين في استراحة الشاحنات، ومنعنا حدوث مجزرة، وبحسب معلوماتنا لم تتحدث نشرات الأخبار عن الحادثة".

أخذت بانثيا قطعة بطيخ، وقطّعتها إلى قطع صغيرة: "إن الإعلام يعرض ما تريده السلطات، وبخصوص أية قضية تتضمن العدميّين، تفضّل السلطات أن تدفن القصة قدر الإمكان، لأنها لن تتمكن من تفسير ماهية الموتى".

"أتقصدين... التقارير الشرعية؟".

"لا، عندما يموت العدميّون هنا، فإنهم يموتون بهيئة أوائل أو ريشون مثلنا. نحن وحسب – أي الألوف شيل هالاخاه – نستطيع رؤية مظهرهم الحقيقي، ولن تعرض التقارير الشرعية وحوشاً، فإن حقيقتهم تظل مخفية".

قال سباركي: "وبما أن العدميّين لا ينتمون إلى هنا، فليس لديهم تاريخ أو ماضٍ أو هوية".

أكدت بانثيا كلام سباركي وقالت: "بالضبط، إن بصمات أصابعهم غير مسجلة، وليس لديهم عمل ولا عائلات. إنهم يسرقون المبلغ الذي يحتاجون إليه ويقتلون كيفما أرادوا، ويعيشون بأسماء مستعارة وهويات مصطنعة، وتعد السلطات كل رجل أو امرأة يموتون هكذا من دون أثر لغزاً مستعصياً، وهو لغز قد أزعج السلطات لمدة قرون".

توقفت بانثيا عن تناول البطيخ.

لاحظ وينستون أن الوجبة انتهت، فأخذ وضعية النوم، ثم استغرق فيه.

خيّم الظلام، وتسلل من وراء النافذة، لا يزال البرق والرعد يقلقان راحة الليل، كما أن المطر استمرّ في الهطول، فلن يكون هناك عرض للخفافيش والحشرات.

تابعت بانثيا: "لم يكن هناك رخص قيادة وبطاقات تأمينات اجتماعية، وتأمين طبي في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. لذا، إذا تم إيجاد شخص ميت، ولم يستطع أحد التعرف إليه كانوا يعتبرونه متسوّلاً أو متشرّداً، ولم يعطِ أحد الموضوع أهمية. أما الآن، فتتعقب الحكومة كل شخص منذ ولادته، كما أن غوغل يعرف عنك أكثر مما تعرفه أنت عن نفسك، لذا هم يضطربون عندما يُعثر على جثة لا يمكن لأحد التعرف إليها. وعلى الأخص، إذا كان العنف هو سبب الموت بشكل أو بآخر، أو عندما يكون أصحاب الجثث غير المعروفة قد ارتكبوا أفعال شغبٍ وعنفٍ قبل أن يُقتَلوا. ويا لسخرية القدر! إن الحكومة، واستناداً إلى هوس عزيزنا هاكيم، تعتبر أن العدميّين عبارة عن فضائيّين".

في الواقع، إنهم يأتون من مكان أبعد من مجرد مجرة أخرى، إنهم يأتون من عالم آخر أي من أرض قد تعرضت للدمار قبل أن تتشكل الأرض الجديدة في هذا العالم ضمن الفراغ. لم يكن دماغي مرناً بما فيه الكفاية لاستيعاب كل تلك الأفكار، فأنا مجرد شاب يحب شطائر

اللحم مع ثلاثة أنواع جبنة، ودونات مغطسة بالشوكولاتة، ويحب أن يعيد مشاهدة أفلام والمبيد كما أنني لم أمارس الجنس مع أحد، وتوقعت أن أظل على تلك الحال إلى أن أبلغ الثمانين من عمري حتى قابلت إلهتي الرّائعة التي أخبرتني أنني سأتزوجها. اعذروني، فإذا اعتقدتم أنني سأمتصّ وأتأقلم مع كل تلك المجريات بينما أتناول العشاء، فإن هذا الاعتقاد شبيه بأن بارت سيمبسون يمكن أن يقدم ترجمة منقحة ودقيقة لكتاب بروست ذكرى الأشياء السابقة.

قالت بريجيت: "كم مخلوقاً أو عدمياً تستطيع تلك الفِرق التي تشبهنا قتله؟".

"لا أدري، فمن الصعب قتلهم، كنتم محظوظين في استراحة الشاحنات، إن كثيراً من جنسنا يموتون على أيديهم، وليس العكس". تفحّصتني بانثيا بصمت مهيب ثم قالت: "إن لم نزوّدك بسلاح فستكون أول المتوفين".

سألتها عن أمر يهمني: "أهذا رأيك أو شيء قد تنبأت به؟".

"إذا لم تتزود بمسدس، فسيثبتك العدميّون، ويأتي الوحش الثالث كي يبتر لسانك، ويقلع عينيك، ويشق صدرك، ثم يأكل قلبك".

قلت لها: "إن هذه تفاصيل دقيقة، أنا آسف لأنني طلبت منك أن توضحي لي شيئاً؛ لن أفعل هذا مجدداً".

"إن أكل القلوب كلام رمزي مع أنهم يستمتعون بنهش لحم البشر بقدر استمتاعهم بامتصاص أرواحهم. إنهم يتغذون على ألمك بشكل أساسي كما يتغذى مصاص الدماء على الدم".

اعتبروني حساساً، ولكنني اعتبرت أكل القلوب أكثر من مجرد كلام رمزي، يمكن للعدميّين أن يشتروا قالب حلوى على شكل قلب، ويكتبوا اسمي عليه، ثم يتناولوه، وبهذا سأكون قد تلقيت الرسالة المنشودة. قلت: "لعلني لا أمتلك القدرات التي تؤهلني على الانضمام إلى فريق مثل هذا".

مرّرت بريجيت يدها فوق الكلب النائم بيننا، وربتت على كتفي قائلةً: "ستكون بخير يا عزيزي".

صدر صوت غريب من العاصفة، وكان يشبه زمجرة بإيقاع منخفض - واااااه.... واااااه... واااااه... وااااااه - وكأننا في مستوطنة مخفية في قاع المحيط، وكان هناك سفينة ضخمة تتجه نحونا، وتنادي السفن الأخرى من نوعها إلى هدف غامض. دوّى جهير الصوت وهي تعبر فوقنا واهتزت جدران الهنغار.

التزمنا الصمت، ونظرنا إلى السقف، وانتظرنا أن يقتحم شيء ما ملجأنا الوحيد. تلاشى الصوت المدوّي، ومرّ الشيء الذي كان فوقنا ثم قالت بانثيا: "إنها طائرة بلا طيار تابعة لجهاز الأمن الداخلي وهي كبيرة، ويبلغ حجمها حجم فان من نوع فولكسفاغن. يسمح لها محركها الحديث بالطيران لمدة سنة من دون الحاجة إلى الهبوط أو إعادة التزود بالوقود. تجعلها التكنولوجيا السرية خفية عن العين المجردة، ولكنهم لم يحلوا مشكلة صوت اندفاعها؛ إنها معلومات سرية للغاية".

حدّقنا إليها وسألها سباركي: "كيف تعرفين كل هذا؟".

ردّت بانثيا برفع حاجبها وحني رأسها، وكانت هاتان الحركتان بمثابة تعبير يحلّ محلّ سؤالها سباركي إن كان يعرف معنى المستبصر.

سألت بريجيت: "أهي تبحث عنا؟".

"ربما، ولكن إذا صحّت تحليلاتي، فهذه الطائرة هي سلاح أكثر من كونها محرك بحث. لعل جهاز الأمن الداخلي خاف من مورثاتكما الفضائية، ومن قدرتكما على الهرب من كل فخّ نصبه لكما، فقرّر أن الخيار الآمن هو قتلكما بدلاً من احتجازكما".

قلت لها، وكأنني في العاشرة من عمري: "هذا ليس عدلاً"، ثم تابعت: "حسناً، حسناً، إن أفراد جهاز الأمن الداخلي لا يأبهون للعدالة بل للتحكم، ولا يوجد وسيلة أضمن من القتل لفرض سيطرتهم".

تناولت لفافة قرفة مع صلصة لأنهيَ طعامي؛ كان طعمها رائعاً. كانت لذيذة جداً، لدرجة أنني كنت سأنسى أمر الطائرة الخفية. قلت لبانثيا: "أنا أحتاج إلى هذه الوصفة".

قالت بانثيا: "إذا عشت لتتمكن من الطبخ، فسأعطيك الوصفة"، وكانت محقة.

قال سباركي منوّهاً إلى أمور طارئة أكثر من الطائرة الخفية في السماء: "لم يسبق لكوين أن استعمل مسدساً، إنه يحتاج إلى تدريب".

قالت بانثيا: "إنه لا يحتاج إلى تدريب، لقد ولد من أجل هذه

الغاية، لقد قرأت بالطبع عن المعجزات، وعن ذلك الولد الذي يبلغ من العمر خمس سنوات، الذي حضر حفلاً موسيقياً لموزارت، وجلس إلى البيانو للمرة الأولى، ثم عزف في ذلك الحفل بشكل مثالي. هذه ستكون حال كوين عندما تضع سلاحاً في يده".

قالت بريجيت: "احتجت تدريباً على سلاحي".

قالت بانثيا: "أنت تظنين ذلك، لأن جدك قال لك إنك تحتاجين إلى تدريب"، ابتسمت لسباركي وقالت: "لا بد أنك تفاجأت بسرعة تعلُّم بريجيت تلك المهارة".

بدا أن سباركي يعالج الأمر، ولكن ليس بالدرجة التي كنت أعالج بها المعطيات التي قدّمتها بانثيا.

تمنيت أن يعتقد الجميع أنني في المكان الخاطئ فقلت: "هل كان يفترض بي أن أحقق معجزات مع البيانو وأتيت إلى هنا خطأ؟".

قالت مضيفتنا التي تشبه الأقزام عندما نهضت عن كرسيها: "لديّ مجموعة قليلة من الأسلحة، دعني أجلب لك مسدساً، علينا أن ننطلق قريباً، يجب أن نتواجد في مكان محدّد غداً".

استيقظ وينستون، وتثاءب عندما نهضنا عن كراسينا. سألها سباركي: "أين؟ أين علينا أن نتواجد؟".

قالت بانثيا: "لا أدري بعد، لا أستطيع رؤية كل شيء، إن قدرتي محدودة، يمكن أن أتفاجأ وأن أخطئ، وهذا هو الأمر المنطقي، وإلّا سأكون دمية في مسرحية ما، أنا لست دمية، وأنتم لستم دمى، ولكن

المكان الذي يجب أن نكون فيه سيعثر علينا".

| 24 |

أعطتني بانثيا سلاحاً من نوع غلوك 19 مزوداً بواصل عيار3.5، كما أن طراز الزناد هو نيويورك الذي يؤمّن قدرة لسحب الزناد تصل إلى 5.5، ويزيل خطر أن يتدهور نابض الزناد.

لم أفهم شيئاً من تلك الخصائص، وأياً يكن الأمر، لم أشعر بالغرابة عندما سلّمتني المسدس، وكأنني ولدت معه. وضعته في قراب مصنوع إما من جلد القرش أو من جلد الحصان كانت قد زوّدتني به أيضاً. تدرّبت على سحب سلاحي عدة مرات، لأنها ألحّت عليّ كثيراً، فعلت تلك الحركة بكل سلاسة لدرجة أنني أثرت إعجاب سباركي، وأخفت نفسي.

جلست بانثيا في المقعد الخلفي إلى جانب سباركي، وجلس وينستون بينهما، عندما أنهينا تحميل السيارة بأمتعة وحقائب الذخائر، جلست بريجيت خلف المقود، وجلست إلى جانبها. قالت إلهة القمر: "أعتقد أن علينا العودة عبر الطريق الفيدراليّ إلى الطريق الفيدراليّ الآخر ثم نمرّ شرقاً بالطريق آي-10". وافقتها بانثيا الرأي وقالت لها: "افعلي هذا".

حذّرها سباركي قائلاً: "انتبهي واحذري من الذعر، لعل جهاز الأمن الداخلي لا يدري أننا جئنا إلى بيبتو بل راوده حدس وحسب. إنه أمر غير معقول حتى بالنسبة إلى أولئك الأوغاد أن يحرقوا كل سيارة تسير في الشارع".

إن حقيقة اعترافه أن جهاز الأمن الداخلي سيأخذ احتياطاته،

ويقدر المحيط، كانت دليلاً وافياً على أنه لا يصدق هذا.

سرنا لعدة أميال من دون أن يتكلم أحد، لقد أثقلت غرابة وضعنا كاهلنا، وأجبرتنا على التزام الصمت، كنت أقنع نفسي أننا عائلة لا تجمعها صلات الرحم بل أوضاعنا الغامضة والاحترام، والعاطفة، والحاجة المتبادلة. ولكن بدا أننا سنصبح قوات مُطاردة قبل أن نكون عائلة، وكأننا أربعة أتباع روحيّين لفان هيلسينغ نلاحق العدميّين كما لاحق البروفيسور فان هيلسينغ دراكولا. إن قوات المطاردة ليس بأمر سيئ، إذا كانت أهدافها نبيلة وخصومها شريرين.

يمكن للخطر والتوتر والإحساس بالمغزى أن تحفّز أفراد الجماعة، ربما تنشأ أواصر العائلة جراء ذلك أيضاً. إن قوات مطاردة القتلة كانت بحد ذاتها مجموعة من الأهداف كما أن الموتى لا يستطيعون الاحتفال بعيد الشكر مع أقربائهم.

كان طريق الحصى موحلاً قليلاً، ولكنه سالك. فاض الطريق السريع القديم بالماء، وسمحت لنا تجمعات المياه الضحلة أن نجتاز الطريق بسلاسة، وتصاعدت قطرات مياه من إطارات سيارة الإكسبلورر، وبدت المناظر الطبيعية الوحيدة في البرق كساحة كبيرة من الهباب والرماد. كما أنّ ماسحتَي الزجاج الأماميّ عملتا بإيقاع كسر حاجز الصمت.

لعل العاصفة والصمت كانا مجحفَين بحق بريجيت. لم تستطع التحكم بالعاصفة، ولكنها تحكمت بالصمت عندما قالت: "أظن أن أصول كوين غير المعروفة وخلفيّتي الغامضة أمر مخطط له، ولكنك

يا بانثيا تمتلكين عائلة".

"أجل وكلا، فأنا متبناة من عائلة تشينغ. قيل لأهلي إن والدتي التي وُلِدت وترعرعت في تاكسون كانت في سن الخامسة عشرة عندما أنجبتني، ورفضت أن تكشف هوية الشاب الذي يفترض به أن يكون أبي؛ لعله لم يكن هناك شاب في بادئ الأمر".

"هل تعتقدين أن أصول جميع الفرق التي تشبهنا لها الظروف نفسها؟ أي خلقنا عمداً في هذا العالم بأقل صلات رحم ممكنة؟".

"أجل، حاولت أن أعثر على أمي في عمر الواحد والعشرين كي أشكرها على منحي الحياة، كانت الوكالة في فينيكس التي دبّرت أمر التبني خارج العمل، وقد احترقت معظم ملفاتها في حريق شبّ فيها. حاولت المرأة التي تتولى اختيار الأماكن الجديدة المساعدة، وعثرت على اسم أمي في الملفات المتبقية؛ هيذير إنغ وين هان؛ لكن لم نعثر على أحد بهذا الاسم أو أي بيان عن تواجد شخص بهذا الاسم في أريزونا".

لم يغادر الأسى بريجيت الذي لامس أرواحنا جميعاً فقالت: "ولكن لماذا حرمانُنا من الجذور التي تُعزِّز انتماءنا إلى مكان أو زمان أو شعب؟".

قالت بانثيا: "لقد طرحت على نفسي هذا السؤال، وتوصلت إلى إجابتين على الرغم من أنني لم أعرف إذا كانت إحداهما -أو كلتاهما- صحيحة. أولاً، إن العمل الذي يجب أن نؤديه يتطلب أن نرتاح لفكرة عدم تجذرنا، إذ سنتحول إلى رحّالة يذهبون إلى أي مكان لمواجهة

العدميّين".

لقد راقت لي فكرة القبول بالمهمة الخارقة السارية، لأن المكافأة التي ستأتي مع المخاطر ليست بريجيت رينكينغ وحسب، بل عاطفتها أيضاً. أياً يكن الأمر، لقد صحوت وإن على مضض، على فكرة أنه علينا أن نبتعد إلى حدّ ما عن الإنسانية إذا أردنا أن نخدمها. أنا أحب البشر، ولطالما عددت نفسي نبيلاً كأفضل البشر ومغفلاً كمعظم البشر.

لم أرد أن أكون... منفصلاً وغريباً.

تفاقم القلق، عندما علّقت بريجيت على ثاني سبب من أسباب بانثيا، وسألتها عن سبب غموض أصولنا.

قالت المستبصرة: "يمكن ألّا تكون هيذر أينغ وين هان، وكورين رينكينغ، والمرأة اليافعة التي تركت كوين في المهد أمهاتنا فعلاً، ويمكن أن تكون تلك الأمهات مجرد وسيطات أو أمهات بديلات لا نتشارك معهن بأي معلومات وراثية. أنا أشك في أن سبب افتقادنا للآباء والأمهات يعود لحسٍّ بيولوجيٍّ أساسيٍّ على أننا خلقنا - أو صُممنا - من قبل مصمم غامض، وأن سلاسل حمضنا النووي التي نبّهت السلطات إلينا لم تعد لعرق غير بشري بل للريشون أو الأوائل الذين سكنوا العالم الأول. ربما كان لدينا معلومات وراثية تؤمن لنا نسخة أقل تطوراً من ملكات أفراد ذلك العرق قبل أن يغتروا ويدمروا عالمهم، وربما لم يكن لدينا جذور بيولوجية في هذا العالم كي لا تفوح منا رائحة الضحية إذا جاز التعبير. لا يتم التعرف إلينا

من قبل العدميّين كأهداف متاحة لأنهم غير منجذبين إلينا سواء أكان لقتلنا أو لتعذيبنا. إنهم لا يكترثون لنا، لذا يسهل علينا تعقبهم".

قال سباركي: "إن هذه نظرية مزعزعة".

طمأنته بريجيت قائلة: "لم أقصد أن تكون هكذا، لقد طرحت هذه الفكرة كي نحصل على فهم أشمل لحقيقتنا".

قالت بريجيت: "كل ما في الأمر أنني أريد أماً"، لم تقل بريجيت تلك الكلمات بنبرة حزينة، بل بجدية بيّنت أن هذا الأمر يعني لها الكثير، "صحيح أنني لم أقابل كورين، وربما سأقابلها ولن تعجبني، وهذا ممكن جداً، ولكن في كل الأحوال، أريد أن أؤمن بفكرة أنها ستعود يوماً ما أو أنها موجودة كي ألمسها أو أعانقها، ربما سأسألها عن سبب مغادرتها مع أنني أشك في أنها تعرف السبب".

تعاطفت معها بانثيا وقالت: "كنت محظوظة لأنني حظيت بعائلة تبنتني وأحبتني جداً، فمن الأسهل عليّ أن أتأقلم مع فكرة أننا على الأرجح... غريبون بشكل أساسي.

لقد تخيلت والديّ طوال حياتي، وأحياناً لم أتخيلهما بمنطق. على سبيل المثال، كنت أتخيل أمي عارضة أزياء متقاعدة لأن وجهها قد تضرر في حادث. كانت مشوّهة، ولم تستطع أن تظهر وجهها أمام العامة من دون أن تجعل الأمهات الحوامل يُنجِبْنَ قبل أوانهن حيث يضطر الأولاد على العيش في الحواضن والمستشفيات طوال حياتهم، لذا ضحت وفعلت شيئاً غيرياً؛ لقد تركتني على الطريق ليُعثَر عليّ، وانسحبت من الحضارة كي تعيش في كهف. في بعض

الأحيان تخيلت أبي ممثلاً أو رجل عصابات أو مليونيراً فقد ذاكرته، وسيبحث عني حالما يتذكر وجودي، ربما كان أبي ذلك الشخص الذي اكتشف أفضل وسادة، وربح الملايين منها عبر دعايات قناة التلفاز الأرضية.

إن كان صحيحاً ما تقترحه بانثيا، فسأحزن لأنني لن أفكر في تلك التخيلات بعد الآن، ولكن خطر في بالي مصدر أسى آخر.

"هل هذا يعني أننا لسنا بشراً؟"

قالت بانثيا: "كلا، حتى ولو كان ما أراه كمستبصرة حقيقياً، فمن المؤكد أننا بشر، يكمن الاختلاف في أننا صممنا في مختبر أو شيء يفوق قدرتنا على الاستيعاب، ثم تمّ إنجابنا في هذا العالم عن طريق أمهات بديلات، وهن بدورهن لم يعرفن الدور الموكل إليهنّ".

قلت لها: "لا يبدو لي أننا بشر تماماً حسب كلامك".

قالت بانثيا: "لطالما كانت هناك أمهات بديلات، لقد ساعدن العديد من الأزواج الذين لا تستطيع أجساد زوجاتهنّ حمل الأجنّة. إن بعضاً من حمضنا النووي وقدراتنا الخارقة قادمة من سكان العالم الأول، ولكنهم كانوا بشراً أيضاً".

قالت بريجيت: "إلى أن انحطوا وتحولوا إلى عدميّين".

"هذا لا يعني أنني وأنتِ وكوين سنتعرض لهذا الاختلال الأخلاقي والانحطاط الجسدي، إن العديد من سكان هذا العالم يسلكون ذلك الطريق، لقد زُرِعنا في هذا العالم كي ندرأ انزلاقهم على هذه الطريق

الكارثية وعلى الأقل كي ندرأ انزلاق أولئك الذين يدعمهم العدميّون ويشجعونهم".

قلت لها: "لا أريد أن أكون أحد أفراد إكس-مان(7). هناك أسى كبير في ثنايا كونك فرداً منهم. لن ينجح هذا الأمر إلا إذا كان الشخص بوسامة هيو جاكمان، ولن ينجح بشكل تام أيضاً. أياً يكن الأمر، لقد نُحّيَت أفلام إكس-مان من البوكس أوفيس في هذه الأيام".

لعل سباركي ضاق ذرعاً بنا، وربما ضاق ذرعاً بي فقط، ولكنه كان غاضباً عندما قال: "مهما تكن الطريقة التي جئت بها إلى هنا، فأنت بشري يا كوين، وأنتِ أيضاً يا بريجيت. إن قواكما الخارقة تأتي مع التزام جدّي، ومن واجبكما أن توظفا تلك القوى في الهدف الذي خُلِقَت من أجله، أي واجبكما تجاه وطنكما، والعالم، والبشرية. إن الواجب لا يستهان به. تجاوزا نفسيكما وتسلّحا جيداً".

وددت أن أعتقد أنني تجاوزت نفسي، وتسلّحت أسرع من ذلك، ولكن الأحداث الغريبة بدأت تتفاقم بسرعة، ولم يكن لديّ خيار سوى أن أتقبل إرثي غير البشري والواجب الذي جاء مع ذلك الإرث.

سألت بريجيت: "ما هذا؟"، قالتها بصوت شخصية فضولية تعاين بيضة على شكل حقيبة وفيها مخالب تنتظر أن تلتهم رأسها في أحد أفلام الفضائيّين.

كنا نسير على الطريق الفيدراليّ السريع، ونقترب من تقاطعه مع الطريق السريع بين الولايات.

استمر المطر بالهطول طوال الليل، وخطّطت شلالات المطر الليل بلون فضّي، وشكّلت خطوط تقاطعها أحجية مكتملة لا تتوازى خطوط قطعها مع بعضها تماماً. خفّفت بريجيت من سرعة السيارة، وانحنت قليلاً كي تنظر من خلال النافذة التي غمرها المطر، ثم قالت: "أترون ازدحام الأنوار غرب الطريق السريع بين الولايات؟ لعله حادث ما قد طرأ أو تم قطع الطريق".

قالت بانثيا وهي تنحني في مقعدها: "لقد تم قطع الطريق. إن جهاز الأمن الداخلي يبحث عنا، وإن كان هذا حاجزاً على الغرب فلا بد أن هناك حاجزاً على الشرق لا يمكننا رؤيته من هنا".

ركنت بريجيت على جانب الطريق، وأطفأت الأنوار الأمامية.

قال سباركي: "لا يمكننا العودة إلى بيبتو، إنهم يعلمون أننا كنا هناك، ولذلك وضعوا هذه الحواجز كي يمسكوا بنا ونحن نحاول الهروب، ولكنهم ليسوا واثقين من أننا هناك لذلك حاصرونا ووضعوا قواتهم أمامنا وخلفنا.

قالت بريجيت: "لنسلك الطريق البرّيّ خلف الحاجز قبل أن نعود إلى الطريق السريع بين الولايات".

قلت لها قلقاً: "حتى ولو استخدمنا الأضواء المنخفضة فسيروننا في الظلام، إنهم لا يبعدون سوى نصف ميل من هنا، لعلهم لاحظوا أنك ركنت سيارتك على طرف الطريق".

"لا نحتاج إلى أضواء أمامية، فلدينا المغناطيسية الروحانية".

أخافتني الفكرة فقلت: "سنقود كالعميان بلا قمر أو نجوم؟ حتى البرق قد تنحّى إلى الشرق".

"إن المغناطيسية تجذبنا إلى ما نحتاج إليه ونبحث عنه، نحن نحتاج الآن إلى ملجأ، فلن ترشدنا المغناطيسية إلى جرف".

"لقد أرشدتك إلى نمر وإلى مصنع قنابل".

قالت بريجيت: "كان ألفونس وديعاً كالقطة الصغيرة".

قال سباركي: "لم نتعرض لشيء في مصنع القنابل".

ذكّرته بكلماته حيث قلت: "لقد تعرضتما لمناوشات".

"أجل، ولكن لم ينتهِ بنا المطاف خاسرَين".

قالت بانثيا وهي تساند بريجيت وسباركي: "ليست هناك جروف في هذه المنطقة. هناك بعض مجاري المياه الجافة والعميقة التي تصبح أنهاراً في هذا الطقس، بالإضافة إلى بعض التضاريس العسيرة وبعض الأراضي المتصدعة ولكن لا يوجد جروف".

راودني شعور غامر أن أشرح وجهة نظري بإلحاح وبصبر في الوقت ذاته، وأؤكد على فكرة أن مخاطر القيادة من دون ضوء لا تنحصر على الجروف، بل على مجرى المياه العميق الذي قد يتحول إلى نهر غاضب. قلت لها: "يمكن أن نُحتَجَز في سيارة فورد إكسبلورر غارقة وتقذفنا المياه، ونعاني كي نلتقط أنفاسنا من سقف السيارة الغارقة. كما أن النَّفَس الذي نأخذه سيكون ممزوجاً بماء قذر مليء بعناكب ميتة، وهذا ما يجعل الموت سقوطاً من الجرف أرحم".

قالت بريجيت حينها: "حسناً، لقد اتفقنا على فكرتي"، وقبل أن تتسنى لي فرصة الاعتراض على تجاهلها لملاحظتي، قادت السيارة على أرض منخفضة عند بداية الصحراء.

قالت بانثيا: "إذا أبقيت الأنوار مطفأة، وقدت بموازاة الطريق السريع بين الولايات وعلى بعد ميل، فلن يلاحظونا خصوصاً في خضم هذا الهطول وغياب القمر".

لم يوفّر الضوء الصادر من لوحة التعليمات أية إرشادات، ولكنه حرص على ألا تعود أعيننا إلى الظلام الدامس مما جعل الوسط المحيط أكثر غموضاً. تشبثت بريجيت بالمقود، وقادت بسرعة خمسة أميال في الساعة، وبدت تلك السرعة تهوراً في مثل تلك الظروف. كانت التربة مزيجاً من مسحوق المستحاثات والحلزون الذي صدر عنه لمعة خفيفة. أياً يكن الأمر، بالرغم من الصخور والحصى وتقدمنا على الأرض الوعرة، كان منظر تجاوزنا لتلك الصحراء أشبه بمرورنا ضمن غيمة أو بحيرة جوفية يغطيها ضباب سطحي في كهف كانت جدرانه وسقفه مظلمة وأشبه ما يكون بمعدة الحوت.

لمعت من الطريق المرتفع أضواء سيارات جهاز الأمن الداخلي وسيارات السائقين الذين يقفون على الحاجز ليفتشوا. كانت تلك الأضواء مشعة، وكسرت ظلمة المطر المنهمر كنار يشعلها أفراد عقيدة ما، كي يحرقوا فيها القرابين بناء على طلب الإله.

لم تُنِر الأضواء البعيدة طريقنا. إن الصمت الذي أطبق على سيارة

الإكسبلورر تنافى مع الإيمان بالمغناطيسية الروحانية الذي استند إليها الجميع باستثنائي.

على ذكر الموضوع، لم أشعر بأي شيء، ولم أنجذب إلى أي اتجاه سواء أكان يميناً أو يساراً أو أماماً. تمتمت بريجيت لنفسها: "ربما، ربما، حسناً، دعونا نتجه إلى اليمين قليلاً"؛ تذكرت حينها ما قالته عن الثقة، وكيف أنها سبب في تعزيز قدرة وكفاءة المغناطيسية الروحانية. كانت مركزة تماماً بينما كنت مشتتاً. لم يسبق لها أن تحدثت مع نفسها وهي خلف المقود وهي تحاول العثور على شيء ما، ولكنني عزوت تلك التصرفات إلى الظروف المستعصية التي كانت فيها.

صرخت فجأة، وأدارت المقود بسرعة إلى اليسار، ونبح وينستون بصوت عالٍ لدرجة أنني قُذِفت من مقعدي وأنا أضع حزام الأمان. مرت أمامنا سيارة من دون أضواء بسرعة متهورة. كانت قريبة جداً، فلم يفصلها عنا أكثر من ست أقدام، لدرجة أنني استطعت تمييز بعض تفاصيلها: كان حجمها نصف حجم سيارتنا تقريباً، وكانت عجلاتها كبيرة مثل عجلات جرافة. تصلح هذه السيارة لأنواع التضاريس كافة وعلى سقفها أضواء تشبه العواكس. راودني انطباع أنها سيارة عسكرية تابعة لجهاز الأمن الداخلي، تنتظرنا في حال قررنا أن نعبر طريقاً برّيّاً لنتجاوز الحاجز.

توقعت أن تُنار أضواء السقف وتتجه نحونا، ولكن ذلك لم يحصل.

صححت بريجيت مسارها ليوازي الطريق السريع بين الولايات،

وداست على دواسة الوقود.

لم أستطع رؤية شيء من النافذة سوى ملامح خافتة لطريق معقوف كقرش متربص في المياه، وقد فوّت فريسته، وقرر أن يأخذ لقمة بشرية.

تراكمت نباتات الميرمية على إطارات الإكسبلورر، ونحن نجوب الأرض الوعرة، وكانت الأشواك تعبث بمطّاط تلك الإطارات.

قالت بريجيت: "إنه يتبعنا"، وكانت ملاحظتها ناتجة عن حدس لا عن شيء يمكنها رؤيته.

تساءلت وأنا أحضّر نفسي للاصطدام بحجر أو ما شابه على التضاريس الوعرة: "لِمَ لا يحدد مكاننا بواسطة تلك الأضواء؟".

أتاني الرد من المقعد الخلفي من سباركي وبانثيا بكلمات ثلاث متطابقة، وقد استند سباركي على خبرته العسكرية بينما بانثيا اعتمدت على قدرتها الاستبصارية: "نظارات الرؤية الليلية"، وأيدهما وينستون برعشة تدل على التوتر.

يجدر بكم أن تلاحظوا أنه ليس لديّ إحساس بالإدراك الروحي حيث إنه عندما أصل إلى إدراك شيء غامض يتوجب عليّ أن أدرس النمل والسمك بالاستعانة بأستاذ صبور كي يشرح لي عن النمل ما كان يجب أن أدركه بمفردي. كان عليّ أن أعالج الموضوع بعد دراسة الأسماك حتى. أياً يكن الأمر، وفي رحلتنا داخل الصحراء، شعرت بالإلهام: كان أفراد جهاز الأمن الداخليّ يعلمون عن مغناطيسيتنا الروحانية، ولا بد أنهم أمسكوا وحجزوا أناساً يشبهوننا

واستجوبوهم. في هذه اللحظة، فضلوا أن يحاصرونا في الظلمة بدلاً من أن يلفتوا أنظار العامة إلينا. كانوا على ثقة أن نظارات الرؤية الليلية ستفي بالغرض أكثر من حمضنا النووي الآتي من سكان العالم الأول.

تعثرت الإكسبلورر بصخرة كبيرة، ثم بمجموعة من الحصى ضربت بأسفل السيارة. كان سهم عداد السرعة يشير إلى الرقم ثلاثين، وفكرت في قصة أخبار قديمة حول أشخاص في حوامة قرروا الطيران خلال الضباب فاصطدموا بقمة جبل.

قالت بريجيت: "تشبثوا"، وكأنه كان لدينا خيارٌ آخرُ.

في الأيام الخوالي

الفتى، والأب، والسمكة

مات ليتون أورموند عندما كان في الثانية عشرة من عمره، مات أبوه أخيراً بعد أن قتل أشخاصاً كثراً.

لقد نمت في سن الحادية عشرة نوماً يشبه نوم الموتى، إنه نوم المكتئبين ولم أستطع النهوض من سريري بإرادتي.

قسّم النمل نفسه إلى طبقات، وأدى مهامه وفقاً لذلك كل يوم على الدوام.

بنت مجموعة كلّ نوع من الطيور أعشاشها بشكل مطابق للمجموعات الآخرى من النوع نفسه، كما تغذت على الطعام نفسه، وربت صغارها بالطريقة نفسها.

بعد ذلك، أصرت الأخت تيريزا على أن ندرس السمك.

كانت بعض الأسماك تتغذى وهي في الأعماق العميقة، بما ينمو على صخور البحيرات أو الأحواض، كانت تلك الأسماك راضية بحميتها تلك، ولم تفكر في أي طعام سوى هذا.

وتغذّت بعض الأسماك على الحشرات التي كانت تطير فوق سطح الماء، وكانت تباغتها عندما تصعد من البحر لتأكلها، لم تبحث تلك الأسماك عن مصدر غذاء آخر، ولم يعنِ هذا أنها كانت تحتاج إلى البحث عن مصدر آخر. لم يكن هناك نقص في الحشرات ضمن الطبيعة فهي كانت تفقس لتعمل وتموت.

كانت الأسماك تسبح متحدة في المحيط على وجه الخصوص. كما كانت تدور وتحوم في الوقت نفسه مثل أسراب العصافير.

في اليوم الثالث من دراستنا للأسماك، قلت للأخت تيريزا: "لقد اكتفيت من الأسماك. لو كنت سمكة فسأموت من الضجر".

قالت: "هذا غير صحيح. إن الأسماك لا تضجر. أتعرف لماذا؟".

"لأنها غبية".

"لعلها غبية بالمقارنة مع غيرها من الأنواع، ولكن هذا ليس سبب عدم ضجرها. إن فكرة الملل يا كوين تأتي من تخيلك أن تعمل شيئاً آخر، ولكن السمكة لا تستطيع أن تتخيل سوى أن تكون سمكة، لذا أعلى درجة من المنافسة هي أن تصبح أفضل سمكة موجودة".

تنهدت بشدة وقلت: "أتمنى لو أستطيع السباحة مثل الأسماك، يا ليتني أستطيع البقاء لساعات تحت الماء، إن استطعت ذلك، فسأختبئ في أعماق البحار حتى لا تعثري عليّ وتعلميني المزيد عن الأسماك".

"ولكنك تستطيع البقاء تحت الماء لساعات، وهذا ما يطلق عليه الغوص، كما في وسعك أن تتعلم قيادة الطائرة والتحليق مع الطيور كي لا أشدك من أذنك وأرغمك على القدوم إلى مكتبي".

"ولكن لا يسمح للأطفال بقيادة الطائرات".

قالت: "لن تبقى طفلاً على الدوام، ولكن السمكة ستظل سمكة والعصفور عصفوراً والنملة نملة".

وبما أنني أنظر إلى الماضي وبعد مرور كل تلك السنوات، لم أعلم كيف فعلتها الأخت تيريزا، ولكن تلك المحادثة أوصلتني إلى مرحلة الإدراك الروحي التي كانت نادرة بالنسبة إليّ.

حلمت بالنمل، والطيور، والأسماك، وأدركت وأنا أنظف أسناني في صباح اليوم التالي أنني فهمت كيف يمكن لكوربيت أورموند أن يقتل عائلة زوجته برمتها إضافة لابنه من دون أن يغيّر الكون من تصميمه.

القسم الرابع

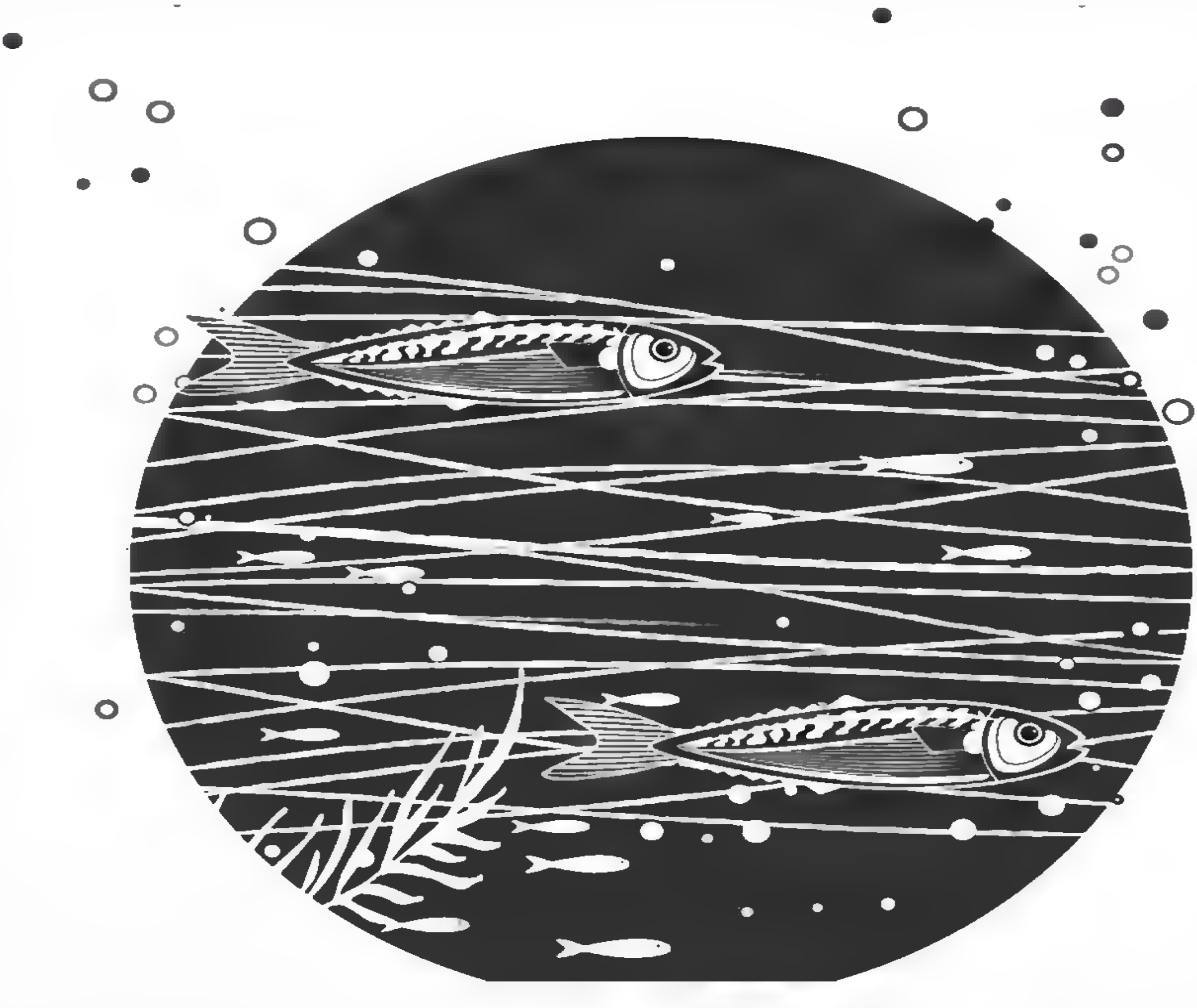

380 ميلاً إلى موردور

| 25 |

كانت بريجيت مندمجة في التحدي الذي قدمته القيادة بسرعة في الظلام تحت تأثير المغناطيسية الروحانية وكأنها في حالة هذيان.

كل شيء ظهر أمام الزجاج الأمامي كان مجرد مناظر طبيعية وهمية ومريبة: كالتربة الكلسية غير الواضحة وكانت تشبه ضباباً منخفضاً، كما ظهرت بحيرات من الظلام في المسافات البعيدة، وكان هناك تجمعات من الغطاء النباتي الغريب والمليء بالحشرات الذي بدا أنه يتحرك عوضاً عن سيارة الإكسبلورر، وكان هناك أشكال طولية شاحبة ومشوّشة نتيجة انهمار المطر، تشبه أرواحاً تتّشح بالسيتوبلازما أكثر من كونها تشكيلات صخرية. في الليل، كانت قطرات المطر تشبه الحبر الأسود، ولكنها تصبح فضية عندما ترتطم بالزجاج الأمامي.

لحقت بنا السيارة العسكرية، وكان يقودها شخص يضع نظارة رؤية ليلية تجعله يرى طريقه بشكل واضح، فهناك دائماً لون من طيف الأشعة تحت الحمراء لا يمكن رؤيته من دون مساعدة.

لاحظت في المرآة الجانبية أن قضبان السيارة العسكرية كانت تشبه شبحاً شريراً في كابوس.

كانت المركبة قريبة جداً منا لدرجة أنها ستصطدم بنا وينفجر خزان وقودنا إذا أوقفت بريجيت السيارة فجأة. إذا انقلبت سيارتنا، والتهمتنا النيران، فسيخيب أمل من أعطانا منصب ألوف شيل

هالاخاه.

صرخت بريجيت: "يا إلهي!"، لقد توقعت الخطر قبل حدوثه، وأدارت المقود دورة كاملة لتتجاوز سيارة خاصة ثانية قدمت عن يميننا، وكأن السائق يسعى إلى الاصطدام بالإكسبلورر. لو كانت تلك السيارة مدرعة كما بدت، فبوسعها أن تصطدمنا من دون أن تتأثر هي أو ركابها بأي شيء.

اتضحت لي أربعة أمور: الأول هو أن جهاز الأمن الداخلي كان مصمماً على القبض علينا، كما أراد وايل إي كويوتي أن يمسك برود رانر في أفلام الكرتون، وثانياً، كانت ميزانية جهاز الأمن الداخلي ضخمة كما أن معداته تفوق أي فخ أو سلاح يمكن أن يشتريه كويوتي من متجر آكمي، أما الأمر الثالث، فهو أن سياراتهم تتسع لسبعة أشخاص بمن فيهم السائق وهذا يعني أننا نواجه أربعة عشر عميلاً غاضبين مما آلت إليه الأمور في مطعم بِن ومع العميلَين اللّذين قُتِلا في المزرعة، وفي النهاية، إن الأمر الرابع هو أنني لم آخذ شعور بريجيت الاستشرافيّ على محمل الجد بأن أحداً منا لن ينجوَ في المستقبل القريب.

قادت إلى الغرب بسرعة بالغة لدرجة أنني شعرت أننا في جولة في مدينة ملاهٍ، ومع أنني لم أكن في كامل تركيزي مثل بريجيت، ولكن راودني شعور لا يقاوم بالمغناطيسية الروحانية، أخبرني أن ملاذنا الوحيد هو أن نتابع تقدمنا بأسرع ما يمكننا. زادت السرعة من خمسة وثلاثين إلى أربعين وهي تجتاز صخراً منخفضاً ارتطم بأسفل السيارة.

حلّقنا قليلاً على علو عدة أقدام ضمن مستنقع قاحل، وصعدنا منه، وكررنا العملية مرة أخرى، وعانت الإطارات من وعورة الأرض. بعدها سارت الإكسبلورر في أرض رطبة أمسكت بالإطارات، وأبطأت السيارة، ولكن لحسن الحظ أنّ أحد الإطارات تشبث بالطريق، وأنقذنا من ذلك المستنقع. بعدها عاودنا الصعود مجدداً.

جارتنا السيارة الثانية، وكانت تبتعد عن يميننا اثنتي عشرة قدماً تقريباً وتسير بمحاذاتنا. تلألأت السيارة في ظل المطر المنهمر وكأنها سراب، وبما أن النوافذ كانت داكنة اللون، فلم أستطع رؤية من يقودها أو من معه من ركاب.

عندما نظرت عبر المرآة الجانبية، لاحظت أن السيارة الأولى قد تراجعت كثيراً عنا، ولم يُبدِ الليل والعاصفة إلا طيفاً لها.

توقعت أن قائدَي السيارتَين قد اتّفقا على أن تتولى السيارة الجديدة ملاحقتنا.

قلت لها: "بما أنه مجنون، وحاول أن يصدمنا من الخلف، فما الذي يمنعه من أن يحاول الارتطام بنا من الجانب؟". كانت السيارة العسكرية أثقل من سيارة الإكسبلورر كما أن استشعارها للجاذبية أدنى. إن سيارتنا مخصصة لمقاومة الظروف القاهرة، وأعتقد أن ارتطام سيارة تزن خمسة أطنان بنا بشكل مستمر تجسيد للظروف القاهرة.

"بالطبع، سيحاول الارتطام بنا من الجانب".

شحب وجه بريجيت، وارتسمت على وجهها أنوار لوحة التحكم الخضراء، وتقلّصت وجنتاها، وزمجرت قليلاً كما تراكمت قطرات العرق على وجهها، وسقطت إحداها من جبهتها إلى أنفها؛ كانت جميلة جداً.

بدأت السيارة بالاقتراب منا، وأصبحت على بعد عشر أقدام، ثم اقتربت من عشر أقدام إلى ثماني أقدام. لم يبدُ أن سائق السيارة كان يكترث للآلة الثمينة التي في عهدته، فهو لن يتحمل تكاليف إصلاحها. لو كان شخصاً مسؤولاً، ويهتم بالضرائب، وبالتأمين الاجتماعي، ما كنا لنتعايش مع هذا الوضع الخطير الذي يفرض علينا أن نتصرف بشكل متهور ومتطرف، لكنني أعتقد أن البلد لن يقدّر الموظفين المرموقين والكفوئين الذين خدموها طوال فترة حياتي التي من الممكن أن تنتهي بعد ثلاث دقائق.

في ظروف أخرى، كانت بريجيت ستحيد عن طريقها، ولكنها تابعت تقدمها، لأنها لم تملك خياراً آخر. لقد تفهمت هذا الوضع، لأن مغناطيسيتي الروحانية جذبتني بشدة كنشّاب ينطلق من القوس.

قدنا باتجاه الغرب بسرعة تبلغ خمسة وأربعين ميلاً في الساعة، ثم زدنا السرعة إلى خمسين ميلاً ثم إلى خمسة وخمسين ميلاً على أرض وعرة ألحقت الضرر بالإطارات. اهتز بدن الإكسبلورر في كل اصطدام للواقي الأمامي، ثم زادت بريجيت السرعة إلى ستين ميلاً ثم إلى خمسة وستين ميلاً.

اقتربت منا السيارة، وأصبحت على بعد ست أقدام، وهذا ما

محا شعور اللامادية السابق. صرخث وبريجيت في الوقت ذاته -"أوووووووه"- وكأننا ندرّب صوتينا قبل أن نغني نشيداً نبيلاً ومتناغماً. بعد ذلك، قذفنا في الهواء فوق حافة لم نستطع رؤيتها، ومع اختفاء البرق، لم يظهر لنا الليل الذي خيّم على الزجاج الأمامي شيئاً من مصيرنا المجهول. ألقيت نظرة خاطفة على مرآة الرؤية الجانبية التي كشفت لنا مادة أقل ظلمة، اعتقدت أنها كانت في حالة اضطراب. عندما وصلت الإكسبلورر إلى قمة منحدر منخفض، لاحظت أن المادة التي كانت تحتنا هي عبارة عن نهر مؤقت تمت تغذيته بطوفان مفاجئ، كما كان يسري ضمن مجرى مياه سينتهي على الأرجح بفوهة تغذي المياه الجوفية. عندما نظرت إلى اليسار رأيت السيارة التي قذفت عن المنحدر أيضاً وكانت تبعد عنا قرابة قدمين فقط. لا بد أن السائق الفاسق راوده شعور احترام للملكية العامة، فخفف سرعته بشكل درامي في اللحظة الأخيرة عندما لاحظ ما ينتظره أو لعل الوزن الثقيل لسيارته أدى دوراً على خلاف أحد أفضل سيارات فورد، أو لعلنا قابلنا مجرى المياه في نقطة أضيق من ذلك السائق. ومهما يكن التفسير، فإن السيارة هبطت أسرع من سيارتنا وعلى مسافة أقرب. أكملت وبريجيت نشيدنا المتناغم عندما لاحظنا اختفاء السيارة ضمن مجرى المياه وقلنا: "أوووووووه! اللعنة!"، بينما لاقى إطارا الإكسبلورر الأماميان ضفة النهر وهبط جسمها بقوة.

أفلتت بريجيت المقود من بين يديها، ولكنها أحكمت قبضتها عليه بعد ثوانٍ. تابعنا طريقنا ضمن الظلمة السابقة، وصدر صوتان من

المقعد الخلفي ينمان عن شعور ارتياح وعدم تصديق.

| 26 |

تسنى لسائق السيارة الأولى وقت لتفادي هذا المنحدر، لأنه ترك دور تعذيبنا لشريكه. كانت التضاريس الوعرة حاجزاً مثالياً يحجبنا عنه. وأياً يكن الأمر، لم يمتد هذا النهر لأميال، لأنه ليس نهراً شق ممره بشكل طبيعي في جبل ليصب في مستنقع أو بحيرة. سينتهي ذلك النهر بعد ميل أو ميلين وربما على بعد ستة أميال على الأكثر بفتحة صغيرة ضمن صخرة. كانت هناك دوامة من المياه تدور في البنية التحتية الصحراوية، وستستمر إلى نهر تحت الأرض لتنتهي في بئر تحت الأرض تؤمن الماء الجوفية للذين يحفرون في الأرض.

سيلحق السائق الآخر بالنهر جنوباً ليصل إلى نهايته كي ينعطف عنده ويتجه شمالاً بحثاً عنا. كما أنه من الغباء أن نعتقد أن عملية البحث كانت تقتصر على فريقين فقط. إذا أخذنا بعين الاعتبار ميزانية جهاز الأمن الداخلي التي تصل إلى مئتي مليار في السنة تقريباً، فإنهم يستطيعون أن يخصصوا لنا العديد من السيارات إذا أرادوا، أو سيارات رولز رويس سيدان صحراوية ما لم يؤدِّ التضخم الاقتصادي لتصبح تلك الميزانية لا تكفي سوى لشراء وجبة هابي ميل من ماكدونالدز.

كان علينا أن نقلق بشأن الطائرة الخفية من دون طيار. اعتقدت بانثيا أنها سلاح هجومي وليست محرك بحث حيث على نقاط المراقبة الأرضية أن تحدد لها المكان بحذافيره قبل أن تشنّ هجومها. لذا، كان يفترض بنا أن نبتعد عن تلك المنطقة من دون أن

تتم مشاهدتنا.

كان الليل طويلاً، والصحراء واسعة، والعاصفة هوجاء، وكنا في سيارة لا يمكن تعقبها من قبل أنظمة تحديد المواقع العالمية.

وأياً يكن الأمر، لا بد من أن سائق السيارة الأخرى قد أعلم العملاء المسؤولون عن الحواجز عن مواصفات الإكسبلورر ولوحتها العائدة إلى سيارة بورش في فينيكس. لا بد أن جهاز الأمن الداخلي قد نشر رسالة إلكترونية، أخفى فيها غرابة حمضنا النووي، وذكر فيها أننا مشتبه بنا في جريمة قتل عميلَين في مزرعة. وإن تجرأنا بعد هذا على اجتياز الطريق السريع بين الولايات أو أي طريق سريع مهم يمكن أن تتمركز عليه قوات فيدرالية أو من الولاية أو محلية فسيُقبض علينا بغتة.

إذا قُبِض علينا، فلن تتسنى لنا فرصة أن نقدم عذرَ الدفاع عن النفس في حادثة المزرعة، ولن يتم تجريمنا حينها بأية جريمة، بل سنمضي حياتنا على الأرجح في عهدة جهاز الأمن الداخلي ضمن مختبر أبحاث ليجري علينا علماء من المجالات كافة اختبارات للتوصل إلى نتيجة حيال المجرة التي قدِمْنا منها. إن أردنا التخلي عن واجبنا وانتهاك السرية التي فُرِضَت على نوعنا وإخبار المنظمة بأسرار العالم الأول والعدميّين وألوف شيل هالاخاه فسيعتبرون هذه المعلومات تضليلاً للحقيقة. كما سيعرّضوننا إلى وابل من الأدوية - ناهيك عن التعذيب - كي يمتصوا الأجوبة منا إلى أن تصبح أدمغتنا غير قادرة على الاستيعاب كالحلوى.

لم يكن لدينا خيار سوى أن نجتاز طريق البرّ إلى أن نشتري إطارات صالحة. لقد دفعنا لباتش هامر خمسة وسبعين ألف دولار لقاء سيارة الفورد المجهولة وغير القابلة للتعقب. ونحن نعتقد الآن أنها تستحق سبعة وثمانين ألف دولارً لأن سرعتها فاقت سرعة المرسيديس في أول يوم من استخدامها.

ركنت بريجيت الإكسبلورر، وتنفّست بعمق، ثم مسحت العرق الجذاب عن وجهها وقالت: "ماذا ترين يا بانثيا؟".

قالت السيدة تشينغ من المقعد الخلفي: "رأيت شريط حياتي يُعرَض أمامي".

"كان عليّ أن أقول ماذا تستشرفين".

"لا شيء في هذه اللحظة. عليّ القول إنني إذا استشرفت بشيء حالياً فلن يكون جيداً".

كان يمكنني أن أخبر بريجيت بهذا مع أنني لست مستبصراً.

قال سباركي: "ما حصل هناك كان سهلاً للغاية، ولم يكن جُلَلاً. خضت أموراً أصعب من هذه بكثير، وأوشكت أن أفقد مفصلاً أو عيناً في عدة حوادث، ولكنني لا أزال كاملاً. ما دامت الدماء لم تغطّنا، ولم نحاول إعادة أحشائنا إلى أجسادنا عبر جروح عميقة، فنحن على ما يرام".

قلت له: "كلامك محفّز جداً".

قال سباركي: "لأنه الحقيقة. دائماً ما تكون الحقيقة المباشرة ملهمة

ومحفّزة. عليك يا عزيزتي بريجيت أن تركّزي أفكارك على اقتناء سيارة جديدة وتدعي قدرتك تجذبنا إليها".

طمأنته قائلةً: "أنا أعمل على الأمر يا جدي"، ثم جابت الليل والمطر بالإكسبلورر من دون أن تتجرأ على إنارة المصابيح الأمامية.

قالت بانثيا: "أتساءل إن كان لديهم المزيد من الطائرات من دون طيار؛ أقصد النوع الصغير منها القادر على تحديد المواقع في مثل هذه الأحوال الجوية".

قال سباركي: "كلا، ولكنهم سيؤمنون مثلها في السنوات القادمة". تأملت أن يكون كلامه ناجماً عن استيعاب تام لتلك التقنية. أكمل سباركي: "ولكن إن توقف المطر، فسيجدر بنا القلق حيال العديد من الأمور".

تابعت بريجيت تقدمها، وانتقل سهم السرعة من خمسة إلى ما بعدها تماماً. كان الانتقال إلى تلك السرعة المتوسطة انتحاراً بحد ذاته إذا أخذنا بعين الاعتبار المنحدرات المفاجئة التي تنتهي بنهر غاضب بالإضافة إلى التي لا تنتهي بنهر أيضاً.

كان دماغي مجبولاً بطريقة الراهبات الهادئات اللواتي لا يبلغن مرحلة هيستيرية حتى إذا انبثق غودزيلا من رصيف شارع الميتم والتهم ركاب حافلة كاملة. لسوء الحظ، فقد جُبِل دماغي أيضاً على ثقافة الدمار والهوس بالقتل التي سادت في القرون الماضية. كان يفترض بعشرات الملايين أن يموتوا في العصر الجليدي في ثمانينات القرن العشرين كما تم التوقع في العام 1969 كما قيل إنه

سيموت الكثير إثر أمطار حمضية أو نتيجة الإشعاع الشمسي عندما تتبخر طبقة الأوزون. ألم يمت مئات الملايين عندما أتت الألفية - عام الألفين - حين تعطلت كل الحواسيب، وأُطلقت كل الصواريخ النووية في العالم من دون أن نذكر حتى حادثة زيت الكانولا الذي استخدم في أكياس الذرة ضمن السينما؟ إن العيش في تلك الأوقات كان صعباً. سيصعب عليك أن تحظى بقسط كافٍ من الراحة، عندما تتأكد من أن مليارات الأشخاص كانوا على حافة الموت الحتميّ، كما سيصعب عليك الاكتفاء بصنف واحد أو اثنين من الشراب في كل يوم عندما ينبهك مستوى توترك قائلاً: عليك أن تثمل.

بالاستناد إلى ثقافتي، لقد مرت عليّ خمسون دقيقة من الذعر، وأنا أضع يدي على عينيّ بانتظار حدوث مصيبة مع أنني كنت أؤمن بمغناطيسية بريجيت الروحانية. بالطبع، لقد فكّرت في الباب في وضح النهار الذي رآه كل من هاكيم وبيلي وسيزار، وتساءلت ماذا سيحدث إذا فُتِح باب في الليل، ولم نره، وعبرنا من خلاله على طريق حصويّ كان يؤدي إلى النجوم. هل ستدهور رئاتنا في فراغ الفضاء العميق؟

لقد ذكرتني هذه الفكرة بالسيارة التي هبطت في مجرى المياه والتي ربما قُذفت بعيداً أو غُمِرت وغرقت. صليت قليلاً للرجال الذين كانوا ضمنها، لعل بعضهم ليسوا أشراراً، لعل بعضهم اعتقدوا أنه من الحق أو من النبل أن يقيدوا رجالاً مسنين ويلقوا بهم في صندوق السيارة أو يحاصروا مراهقين أبرياء أثناء تناول الطعام، ويحاولوا القبض عليهم كي يستجوبوهم ويطبقوا عليهم تجارب مدمرة

في المختبرات، وكل هذا لغاية نبيلة ألا وهي حماية المؤسسة من احتمال تقلص قواها.

غزت كل تلك الأفكار عقلي المشوّش ونحن نجوب الليل الدامس. كنت متوتراً كتوتر شمشون الذي كان أعمى في غزة، ويحاول تحسس الأعمدة التي تحمل السقف، كي يودي بها، ويطيح السقف على رؤوس الفلسطينيين الذين أعموه وسجنوه، ستكون الأسطورة مصدر إلهام ما لم يمت شمشون مع معذبيه.

بدأ المطر بالانحسار وتوقف الرعد. سرنا تحت رذاذ المطر، وغطاء خفيف من الغيوم شع ضوء القمر من خلاله، وانتقلنا حينها من التضاريس الوعرة إلى شارع ذي مسربين من الإسفلت يعود لخمسينات القرن العشرين وكان في خضم عملية ترميم.

لم نرَ الطريق السريع بين الولايات على الرغم من أننا كنا نسير على طريق المقاطعة، إلّا أنه لم يكن هناك بصيص ضوء لنتبين فيه وجهتنا.

توجهت بريجيت إلى الجنوب، ثم التفّت بشكل حرف **U**، واتجهت شمالاً.

كنت مشتتاً جداً.

سألت بريجيت: "أترين شيئاً يا بانثيا؟".

"أجل. أنا في خضم رؤية قصيرة، ولكنني لا أدري معناها. رأيت رجلاً مسنّاً يجلس على كرسي يشبه العرش ومزخرف برؤوس كلاب

خشبية. كانت الكلاب من نوع شيبرد الألماني، وتزين قائمتي الكرسي اللتين تحملان اللوح الخلفي. كان يأكل شيئاً يشبه البراونيز ويشرب البيرة".

أجبرتنا الأفلام والروايات على أن نؤمن أنه عندما يكون المستبصرون في خضم رؤيا ما، فهي تكون مصحوبة دائماً بلحظة درامية بالغة؛ كانهيار جسر أو قاتل مأجور يصوّب مسدسه على رأس رئيس الدولة. تساءلت ما إن كانت بانثيا تستبصر جون كينيدي تشينغ مالك محطة تشينغ وهو ينظم رفوف الحلوى في اليوم الذي يلي يوم غد، أو موظفاً في البريد وهو يوزع العدد الجديد من مجلة أريزونا! في يوم الثلاثاء التالي.

سحرتني فكرة أن المستبصرين يستشرفون بأحداث عادية، ولكن سيكون من المؤسف أن رؤيتها للرجل المسنّ مع البراونيز والبيرة ألهتها عن استشراف صورة لرأسي وهو يقطع بمنشار.

قالت بانثيا في محاولة لإعطاء رؤيتها معنى، وكأنها كانت محرجة من عدم أهميتها: "كان رجلاً غريباً. كان يرتدي قميصاً أبيض مع ربطة عنق ضيقة، وبنطالاً قصيراً فاتحاً وجورباً يصل إلى الركبة، وينتعل حذاء مغلقاً بالإضافة إلى قبعة تيرولية".

سألتها على الرغم من غرابة أن يكون هذا التفصيل مهماً: "ما هي القبعة التيرولية؟".

"كانت مدببة أكثر من كونها دائرية، إن لونها أخضر داكن، ويعلّق على الشريط المثبت على مقدمتها ريش صغير باللونين الأحمر

والأخضر".

سألتها: "أتعتقدين أنه شرير؟ ألا يبدو لئيماً".

"لا أدري، لم يصلني شعور قوي منه. لعلني سأرى التكملة قريباً. علينا ألا ننتظر ملفاً يشبه الويكيبيديا لهذا الشخص. إن قدراتنا تساعدنا، ولكنها لا تتحكم بنا، نحن نميز أنفسنا بالجهد الذي نبذله، أي بالمبادرة رغم المخاطر".

رددت لها ما سبق لها أن أدلت به أثناء العشاء ضمن الهنغار: "نحن لسنا دمى متحركة".

قالت بانثيا: "بالطبع لسنا كذلك، ولن نكون كذلك، حتى ولو كان نصرنا محتماً. إن نجاحنا أو فشلنا محكوم بقرارنا وحدنا، فلن يكون لدينا كرامة إن لم تكن لدينا حرية الاختيار".

قلت لها: "يبدو أنك أوليت هذه الفكرة اهتماماً بالغاً".

"سيكون لديك الكثير من الوقت بين يديك إن عشت في صحراء نائية تبعد أميالاً عن بيبتو حتى أبعد من سالفور فلاتس، وعندما تعمل من منزلك في الرسم لتجني لقمة عيشك. ليس لديك سوى خيارين ألا وهما أن تفكر بعمق في كل شيء أو تستسلم إلى الجنون، وعلى حدّ علمي، لم أصب بالجنون بعد. أنا أدين بهذا لأبويّ بالتبني، هناك تصرّف خاص بعائلة تشينغ يرعى الوعي".

توقفت الأمطار عن الهطول ونحن نجتاز ميلنا التالي، فأوقفت بريجيت عَمَل ماسحتَي الزجاج الأمامي.

بدأ الظلام يتحلل عندما أخذت الغيوم تتفرق وتبتعد عن القمر ثم تغطيه مجدداً.

كانت هناك لافتة على يسارنا. كانت بارتفاع ست أقدام، وأطول شيء على الطريق، وكانت اللافتة الأولى التي نراها على هذا الطريق الموحش. ركنت بريجيت بجانبها، وأنزلت زجاج نافذتها كي تتوضح الكلمات السوداء المطبوعة على اللافتة البيضاء.

كان السطر الأول مكتوباً بخط كبير: ***منطقة والاس يوجين بيبز المستقلة*** .

أما السطران الثاني والثالث فكُتِبا بخط أصغر، وشرحا معنى المنطقة المستقلة: **إن قانون الولايات المتحدة الأمريكية لا يطبق هنا.**

كانت السطور التالية لغاية السطر السادس مبهمة أكثر من التي سبقتها: ***يمكن لعشاق الحرية المتعطشين للمتعة المتفردة أن يستفسروا عن المتاح.***

وُضعت اللافتة قرب زقاق صغير موحل يقطع حقلاً، وبدا أنه ينحدر باتجاه الصحراء.

إذا كان هناك مكان للإقامة في آخر الطريق فلن نستطيع رؤيته من هنا.

بما أننا لم نرَ أية منشأة أو لأية سيارة أخرى على هذا الطريق النائي الذي يمكن أن يصل بين منطقة الغرب وترانسلفينيا، تساءلت كم

مرّ من الوقت على آخر عاشق للحرية بحث عن النعمة المتفردة في منطقة والاس يوجين بيبز.

قالت بريجيت: "يبدو أن هذا هو المكان المنشود".

سألتها: "أي مكان؟".

"المكان الذي يمكننا أن نستغني فيه عن سيارة الإكسبلورر ونحصل على سيارة جديدة".

"أتعتقدين أن هناك مكاناً لتبديل السيارات في الأسفل؟".

"كل ما نحتاجه من بيبز هو مركبة يمكننا أن نعقد صفقة معه عليها، ما رأيك يا بانثيا؟".

"لا يصلني أي شعور سواء أكان جيداً أو سيئاً، ولكنني لا أفضل فكرة المناطق المستقلة".

قالت بريجيت: "إذا كنا في أي منطقة أخرى فسنستنتج عندها أن هناك بعض المختلين العنيفين. ولكن حدسي يقول لي... وبحكم هذه المنطقة النائية، إن السيد بيبز هو مجرد غريب أطوار مسالم في صحراء سونورا مثل هاكيم كاسبار. ماذا تعتقد يا كوين؟".

لم أفضل فكرة المناطق المستقلة ذات الحكم الذاتي أيضاً، ولكن عندما فكّرت في حاجتنا إلى سيارة أخرى لا يستطيع جهاز الأمن الداخلي تعقبها شعرت أن المغناطيسية الروحانية تجذبني نحو ذلك الوادي المعزول.

سألتها: "ما أسوأ شيء يمكن أن يحدث؟"، وأجبت: "أن يكون

السيد بيبز آكل لحوم بشر، وأن يكون هناك فخ على عتبة بابه يلقي بنا إلى زنزانة فيها وعاء للطبخ وعظام تعود لخمسين عاشقاً للحرية استفسروا عن المتاح في المتعة المتفردة. أنا مستعد لهذا التحدي".

قرصت بريجيت وجنتي وقالت: "أنت نوعي المفضل من الرجال".

قالت بانثيا: "من الممكن أن يكون هناك شيء أسوأ من آكل لحوم البشر. لم تراودني رؤيا، ولكنني أنوّه بالأمر وحسب".

سأل سباركي: "ما هو المبلغ الذي نحتاج إليه يا عزيزتي؟".

فكرت بريجيت في الأمر ثم قالت: "دعونا نحاول أن نحصل على صفقة بأقل من خمسين ألفاً".

كان الكيس الذي يتضمن المئة والتسعين ألفاً المتبقية من مال العصابة على الأرض بجانب قدم سباركي. قام سباركي ضمن النزل في تاكسون بعدّ المال المتبقي، وفرزه في كدسات ضمت كل واحدة منها خمسة آلاف دولار، بينما كنت وبريجيت نحتسي القهوة ونتناول الحلوى.

قال وهو يتناول عشر كدسات من المال: "حسناً. هيا بنا".

قالت بريجيت: "لن أقود إلى هناك، فلا أعتقد أنه من الحكمة أن نفعل ذلك. علينا أن نترجل ونتعرف إليه لنرى ما مدى استقلالية تلك المنطقة المستقلة ذات الحكم الذاتي، كما علينا أن نتبين كم مواطناً يقطن في أمريكا الخاصة ببيبز".

قال سباركي: "هذا منطقيّ".

قالت بريجيت: "عليك أن تبقى هنا لتعتني ببانثيا".

أصرت المستبصرة: "كلا، كلا، يمكنني أن أعتني بنفسي".

أشاحت بريجيت بوجهها وقالت: "سيستهجننا السيد بيبز إذا ذهبنا إليه ثلاثتنا في هذا الوقت من الليل".

قال جدها: "أولاً، الوقت ليس متأخراً لهذه الدرجة، إن الساعة لم تبلغ العاشرة حتى، وثانياً، على الأرجح سينتهي بكما المطاف في وعاء للطبخ إذا ذهبتما بمفردكما".

لم تقتنع بريجيت بالأمر وقالت: "من الأفضل أن تبقى هنا وراء المقود، وتبقي المحرك قيد العمل في حال اضطررنا أن نخرج بسرعة، لا يمكننا تحمل أن نخسر هذه السيارة قبل أن نحصل على أخرى".

لم يجبها سباركي فوراً، بل انتظر قليلاً، وأخيراً قال: "ما الخطب؟ لِمَ لا تريدينني أن أرافقك إلى هناك؟".

لم يعرف سباركي أن شعوراً استشرافياً قد راود بريجيت دلّها إلى أن أحداً منا لن ينجوَ من هذه المعمعة، وأنها كانت خائفة عليه هو لأنه سيبدّيها على نفسه.

"حسناً يا جدّي، اسمعني. أنت تبدو قوياً وجاهزاً للنيل من خصومنا، كما تبدو أنك كنت تبحث عن العدالة في كل مكان، أي كنت شرطياً نبيلاً وجندياً نبيلاً وذلك الشيء الذي لا نتكلم عنه مطلقاً. تبدو عليك كل تلك الصفات وأحياناً أنت تبث الذعر في الأشخاص الهشيّن كهاكيم كاسبار عندما تكون غايتنا عكس ذلك تماماً".

سأل سباركي مصعوقاً: "لقد أخفت هاكيم؟".

لم يخف سباركي هاكيم عملياً، ولكن حفيدته أصابت وتراً مكّنها من إقناع سباركي، فأصرت على موقفها.

"لقد أخفته للغاية يا جدي. أليس كذلك يا كوين؟".

وافقتها قائلاً: "للغاية".

"لذلك إذا ذهبنا معاً يا جدي إلى السيد بيبز فستخيفه لأنني أظن أنه سيكون غريب الأطوار مثيراً للشفقة كهاكيم استناداً إلى اللافتة التي صممها. سيتأكد أنك عميل مكتب التحقيقات الفيدرالي، أو أنك ستحاول القبض عليه، ولن نتوصل حينها إلى صفقة. لكن الأمر سيكون مختلفاً إذا ذهبت أنا وكوين بمفردنا. إن عزيزي كوين قادر على أن يعتني بنفسه - أنت تعلم هذا - مع أنه يبدو أبله ووديعاً مثل ماري بوبينز وهذا النوع من الدعم الذي أحتاج إليه الآن".

توقعت أن يساندني سباركي، ويقول إنني أشبه بتينكر بيل، ولكنه قال: "حسناً، لقد فهمت فكرتك".

مرّر لنا كدسات المال التي تبلغ مئة ألف دولار، فوضعت خمسين ألفاً في جيوبي، ووضعت بريجيت الخمسين الأخرى في جيوبها أيضاً.

ترجلت وإلهة القمر الخاصة بي من السيارة، والتقيت بها عند لافتة والاس يوجين بيبز.

عندما نزل سباركي ليجلس خلف المقود، أنزلت بانثيا زجاج نافذتها

وقالت: "أنا واثقة من أنكما لن تموتا اليوم".

مع أنني علمت أنها تستطيع تحويلي إلى كعك بشري، ولكنها بدت صغيرة في ذلك المقعد الخلفي، وهشة كباقي البشر. سبقتها عندما قلت: "احترسا وكونا حذرين".

شرحت لي بانثيا قائلةً: "أنا لا أقول إن أحدكم سيصاب إصابة وخيمة أو بجرح خطير، ولكنني لا أرجح أنكما ستموتان الليلة".

قلت لها: "شكراً على التوضيح".

صعد سباركي إلى الإكسبلورر، وأغلق الباب، ورفعت بانثيا زجاج النافذة.

أدرت وبريجيت ظهرنا، وابتعدنا عن الشارع، وسلكنا طريق المنطقة المستقلة التي لا تُطبَّق فيها قوانين الولايات المتحدة الأمريكية.

| 27 |

بقيث وبريجيت بعيدين عن الطريق الوعرة، وسرنا مسافة خمسة عشر ياردة تقريباً موازية له، في حالة وجود أجهزة استشعار أو حارس لتنبيه والاس بيبز بأننا نقترب. ساعدتنا طبيعة المنطقة على الاختباء قليلاً؛ لكننا كنا نرتدي ملابس داكنة، وكان القمر متوارياً خلف الغيوم.

همست: "ماري بوبينز؟".

قالت بريجيت: "يمكنك أن تكون معلمي في أي يوم، وسأفعل بالضبط ما تقوله لي. شكراً لدعمك لي بشأن إخافة جدي لهاكيم".

كنت أتوقع أن تكون الأرض موحلة بعد هطول الأمطار الغزيرة، ولكنها لم تكن كذلك بمعظمها. افترضت أن هذه المنطقة كانت في الأساس مليئة بالرمال، وسرعان ما صُرفت المياه عبرها.

الآن، وبعد أن انقضت الليلة، تساءلت عما إذا كانت أسراب من حشرات الربيع ستنتشر في الهواء، كما يحدث في الإعلانات، وتليها مجموعة من الخفافيش التي تتغذى عليها أثناء الطيران. بعد أن تأخرت بسبب سوء الأحوال الجوية، ربما ستتركها اليوم وتأتي غداً.

أدى الطريق كما كان متوقعاً، إلى منحدر طويل ووادٍ يقع في الأسفل على بعد مئة قدم تقريباً. لم تكن أرضية الوادي عبارة عن مملكة من الشجيرات العطرية، والحصى، والمسكيت كما توقعت، ولكنها كانت كالواحة تقريباً، فيها الكثير من أشجار النخيل والأشجار

الأخرى، وهذا يعني أن طبقة المياه الجوفية وفرت كمية كبيرة من المياه لنمو هذه الأشجار.

أظهرت مصابيح الشرفة والضوء الخافت المتسرب من النوافذ منزلاً خشبياً جاهزاً يبدو مثل منازل الأسكيمو.

لم تكن مقصورة لقضاء عطلة نهاية الأسبوع، لكنها كانت مسكناً كبيراً، ربما تصل مساحته إلى ثلاثة آلاف قدم مربعة. من الواضح أن والاس بيبز أنتج الكهرباء، مثل هاكيم كاسبار، باستخدام مولد يعمل بالبروبان مكتوم الصوت.

انعكس ضوء القمر على هيكل آخر على بعد حوالى خمسين ياردة من الأول، على الرغم من أن هذا المبنى لا يبدو أنه منزل. كان بحجم المسكن، وخطوطه أبسط، ومن دون أضواء حالياً، ربما كان حظيرة أو مبنى تخزين، وكان أيضاً مظلّلاً بالأشجار.

نزلنا من المنحدر بعيداً، ثم وقفنا نراقب ونستمع. يبدو أنه لا توجد شرطة لهذه المنطقة ذاتية الحكم، ولا أماكن للمدافع الرشاشة محمية بأسلاك شائكة، ولا مجموعة من كلاب الهجوم، ولا حتى نقطة تفتيش حدودية مع بيروقراطي مسؤول يريد رؤية جواز سفرنا. أصبحت ملابسنا بعد العاصفة رثة، وأصبح لسناء القمر تأثير أكبر على الوديان، حيث بدا أن هذا الكوخ غير المحمي - المنزل الخشبي الجذاب، والضوء الكهرماني الدافئ من النوافذ، ونعمة الأشجار في أرض صلبة - لا شيء أكثر من مجرد مكانٍ لشخص غريب الأطوار سعى إلى ملاذ من صخب ومطالب مجتمعنا الاستبداديّ المتزايد،

رجل يفضل العزلة والخصوصية، ربما للتأمل أو ممارسة بعض المواهب. قد يكون رساماً، أو نحاتاً، أو شاعراً حساساً، وقد يكون فيلسوفاً يبحث عن معنى في هدوء الطبيعة. أياً يكن الأمر، سواء أكان شريراً، أو شاعراً اجتماعياً في صحراء سونوران، فقد أوضحت اللافتة الموجودة عند مدخل ممتلكاته أنه كان لديه مشاكل مع السلطة، مما يشير إلى أنه قد يكون سعيداً بتقاضي أجر زائد مقابل سيارة ثم الفشل في الإبلاغ عن سرقتها لمدة أسبوع أو أسبوعين.

سألَتْ بريجيت: "ألديكَ رأيٌ آخر؟".

أجبتُها: "كلا، كلما أسرعنا في الحصول على سيارة جديدة، كلما كان أفضل. وسيلة النقل الأخرى لا تزال موجودة في مكانٍ ما، والطقس يجعل الطائرات من دون طيار أكثر احتمالاً".

مشينا على طول المنحدر وعبر الوادي. بدت مصابيح الشرفة مُرحّبة. كُتِب على اللافتة المعلقة فوق الدرجة العلوية: **تذكر "اللطف" من البشر**، ولافتة أخرى فوق الباب الأمامي كُتِبَ عليها: ***الحب كلمة من أربعة أحرف***، وكتب قول مأثور على ممسحة الأرجل الرديئة: **تخيل الجميع يعيشون في سلام.**

فركتُ قدميّ على ممسحة الأرجل. كان جرس الباب متوهجاً، ويسهل العثور عليه حتى لو لم تعمل المصابيح، ضغطت عليه، وسمعت صوت الأجراس في المنزل.

على الرغم من عيشه في هذا المكان المُنعزل، وفي وقت لم يكن فيه أي مكان يبدو آمناً تماماً، جاء والاس بيبز مُسرعاً للرد على

الجرس، وفتح الباب من دون أن يلقي نظرة من إحدى النوافذ المجاورة.

كان والاس بيبز طويل القامة، قوي البنية، ولكن ليس بشكل مفرط، يبلغ من العمر خمسين عاماً، وكان ذا شعر أبيض طويل وعينين زرقاوين، ووجنتين ورديتين وذراع أشبه بذراع باباي، بدا وكأنه تجسيد لحسن الضيافة عندما فتح ذراعيه على نطاق واسع وابتسم، ثم قال: "مرحباً بكما في جمهورية بيبز".

كان يعتمر قبعة تيرولية، ويرتدي قميصاً أبيض قصير الكمين مع ربطة عنق، وبنطالاً قصيراً كاكيَّ اللون، وجوربين طويلين يبلغان ركبتيه، وحذاء سرج.

سألت بريجيت: "السيد بيبز؟".

أجابها: "الأول والوحيد، الرئيس، نائب الرئيس، رئيس مجلس النواب، زعيم الأغلبية في مجلس الشيوخ، وزير الخزانة، مدبر المنزل، والطباخ. من أنتما؟ تبدوان رائعي المظهر".

قبل أن أتمكن من الادعاء بأننا هومر ومارج سيمبسون، قالت بريجيت: "سيادة الرئيس، أنا ماري تورغينوالد، وهذا زوجي بيل. نأمل ألا يكون الوقت قد فات على اثنين من رؤساء الدول للتشاور معك بشأن مسألة بالغة الأهمية".

بدا وكأنه رجل مستعدّ دائماً لقليلٍ من المرح، وقال: "وأي دولة ذات سيادة قد تمثلانها؟".

قالت بريجيت: "منطقة الحكم الذاتي المعروفة باسم تورغنوالدستان. حسناً، إنها ليست دولة ذات سيادة كبيرة ولا تضاهي جمهورية بيبز. في الواقع، أراضيها محدودة بنصف قطر يبلغ ست أقدام حول كل واحد منا. ومع ذلك، نحن نحب بلدنا الصغير وسندافع عنه بأي ثمن".

سواء أكان والاس بيبز مبتسماً أو أن ضحكته أصبحت مبتهجة أكثر، فإن ذلك سيكون موضوع نقاش لمجموعة من اللغويين الذين كان تخصصهم هو تفسير المعنى الدقيق لمثل هذه المفردات، لكن يمكنني القول بلا شك إن بريجيت سحرته تماماً. نظر إلي وقال: "بيل، أتمنى أن تكون مُدركاً كم أنك رجل محظوظ".

أجبته: "سيدي، إذا لم أدرك ذلك، فسأكون أكبر أحمق في العالم، لكنني رأيت ما يكفي من الإنسانية لأعرف أنني ربما لست حتى من بين العشرة الأوائل".

ردّ عليّ بمجرد ضحكة مكتومة، ثم تراجع قائلاً: "تفضلا، تفضلا. انضما إليّ في المكتبة، ودعانا نناقش المتعة الفريدة التي تبحثان عنها".

كانت المكتبة على الأرجح أكبر غرفة في المنزل، حوالي (40*30) قدماً، مغطاة بالكامل بالكتب ذات الأغلفة الكرتونية. ويوجد فيها أريكة كبيرة تتسع لرجل بحجم والاس بيبز وهو مُستلقٍ، وأربعة مقاعد بأذرع ضخمة، كل منها مزود بدعامات جانبية متوجة برؤوس كلاب من الخشب المنحوت بشكل رائع.

وجه بيبز بريجيت إلى كرسي منحوت من الأعلى على شكل زوج من الكلاب الدنماركية الضخمة، وأمرني بالجلوس تحت الابتسامات الرائعة لكلاب الغولدن ريتريفر، بينما استقر على كرسي يعلوه اثنان من كلاب الشيبرد، وظل المقعد الرابع المنحوت على شكل كلاب وولف هاوند الأيرلندية خالياً.

لاحظت أن أرجل الأريكة منحوتة لتشبه قوائم الكلب، ويبدو أن الأريكة مهيأة للعمل في حال قيام أي شخص بإلقاء كرة تنس.

قالت بريجيت: "أرى أنك تحب الكلاب".

أجاب: "أنا أعشقها، لكن لا يمكنني الحصول عليها بعد الآن. لم أمتلك واحداً منذ سنوات".

سألت: "الحساسية؟".

أجاب: "ليس أنا، بل العم إرسكين. يُصاب بالحكة في كل مكان، وتتورم عيناه، وفي غضون دقيقة تقريباً قد يُصاب بصدمة. بقدر ما أحب الكلاب، فأنا مدين للعم إرسكين أكثر من كل الكلاب التي كانت برفقتي، لذا فأنا الآن أعيش حياة من دون كلاب. كانت فكرة إرسكين هي التراجع عن الجشع والنرجسية اللذين يميزان عصرنا". فتح ذراعه بزاوية 180 درجة ليشير إلى عالم ما وراء جمهورية بيبز، وأكمل: "عمي وأنا نُحدِث فرقاً لكوننا غير مباليِين. ننخرط بشكل كامل من خلال التراجع. نحن ندافع عن الحقيقة بأن نعيش كذبة"، قبض يده اليمنى ورفعها عالياً وتابع: "نحن ندعم العدالة الاجتماعية من خلال كوننا معاديِين للمجتمع"، ثم انحنى إلى الأمام في مقعده،

وأخفض صوته كما لو كان ينقل سراً، وقال: "نحن نحتجّ على الفقر من خلال العيش بشكل جيد، وندافع عن الحرية من خلال تزويد الأشخاص مثلك بكل ما تعتقد أنه يجعلك حراً".

ابتسمت وبريجيت وأومأنا برأسينا، نظراً لأن والاس بيبز أنهى الخطاب بابتسامة عريضة، كما لو أن ما قاله لا يختلف عن دروس المواطنة الصالحة التي تعلمناها أثناء نشأتنا من الدمى المتحركة في شارع سمسم ومن السيد روجرز في حيه.

في بعض الأحيان، يكون من الصعب التفريق بين الانحراف والجنون. عندما حاولت تحديد في أي جانب يعيش هذا الرجل، تمعنت في كتب هذه المكتبة الرائعة وقلت له: "تبدو فيلسوفاً. أعتقد أن هذا يأتي من القراءة الجيدة".

قال: "نصف هذه الكتب باللغة الألمانية، حيث كنت ضمن طاقم السفير في السفارة الأمريكية في برلين لمدة تسع سنوات، والنصف الآخر باللغة الأيسلندية، حيث خدمت ثلاثة سفراء آخرين على مدى أحد عشر عاماً".

قالت بريجيت: "لا بد أنك الشخص الوحيد في ولاية أريزونا الذي يمكنه قراءة الأيسلندية".

قال بيبز وهو ينهار على كرسيه مقهقهاً: "أوه، لا، لا يا سيدتي العزيزة. لا أستطيع قراءة كلمة من الأيسلندية أو الألمانية. أنا لا أشتري الكتب لقراءتها، فأنا مشغول جداً".

كنت على وشك أن أسأل لماذا يشتري أي شخص الكتب إذا لم يرد

قرأتها، عندما دخل رجل آخر المكتبة. بدا في الستينيات من عمره، وسيماً مثل نجم سينمائي من الأيام التي كانت فيها أيقونات الشاشة الفضية تمتلك مظهراً خارقاً للطبيعة. كان رأسه مليئاً بالشيب، وعيناه زرقاوين صافيتين مثل طفل حديث الولادة. صعد إلينا، وكأنه وصل إلى خشبة المسرح ليقدم أداءً لأحد أعمال شكسبير، بوجهٍ مليء بالكمال والنبل على حدٍّ سواء، وبوقفة ورشاقة راقص مُتمرّس. كانت ابتسامته أقل إسرافاً، لكنها كانت أكثر دفئاً من ابتسامة السيد بيبز، في الواقع كان يتمتع بكاريزما كبيرة.

قال والاس بيبز: "عمي إرسكين، هذان هما بيل وماري تورغنوالد".

كان حضوره طاغياً لدرجة أنني وجدت نفسي أنهض عن مقعدي لإظهار الاحترام له، لكنه قال: "لا، من فضلك، لا تنهض"، وجلس بسرعة على المقعد الشاغر، تحت الرؤوس المنحوتة لكلاب وولف هاوند الإيرلندية.

لم يشارك ابن أخيه ميله تجاه الأزياء، لكنه كان ينتعل حذاء لوفر أسود مصنوعاً من جلد الثعبان، ويرتدي بنطالاً رمادياً ناعماً، وقميصاً حريرياً أسود.

تقدم والاس بيبز إلى الأمام في مقعده، حتى بدت ركبتاه العاريتان كما لو كانتا تبتسمان لنا. لقد احترم عمّه كاحترام جروٍ لسيده المحبوب.

قال والاس بيبز: "جاء بيل وماري استجابة للافتة التي تعلن استقلالنا. لا أعرف ما الذي يسعيان إليه. حتى الآن، أجرينا فقط

محادثة قصيرة لطيفة".

قال العم: "على الرغم من أنني لم أسمع صوت سيارة، إلا أنكما لم تغرقا في العاصفة الأخيرة. لذا، إذا خرجتما من تلك الأرض القاحلة وعبرتما خلال العاصفة من دون أن تتبلّلا، آمل أن تكونا كائنين غامضين في مهمة مليئة بالغموض. مؤخراً، أصبحت الأمور هنا مملة بعض الشيء، نحن بحاجة إلى بعض الغموض".

قالت بريجيت: "أنا آسفة على تخييب أملك يا سيدي، لكن...".

قاطعها قائلاً: "إذا كان بإمكاني مناداتكِ ماري، فمن فضلك ناديني إرسكين".

قالت: "بالطبع، إرسكين".

قال والاس بيبز: "يمكنكِ مناداتي والي".

قالت بريجيت: "إرسكين، ووالي، يؤسفني أن أخبركما، أننا لسنا أكثر غموضاً من حبّتي بطاطا. ركنا سيارتنا بعيداً على الطريق، وسرنا بعد توقف المطر"، تردّدَت، ثم تابَعت: "نحن ننتهز الفرصة، ونخاطر كثيراً، بافتراض أن لافتة المنطقة المستقلة الخاصة بك تعني حقاً ما كُتب عليها".

قال إرسكين: "إنها تعني ذلك وأكثر بكثير، ولكي أطمئنكِ وأحذركِ، يجب أن أخبرك أننا "مُرخصون" من قِبل سلطات مقاطعة معينة تتفهم الطبيعة الرمزية لاحتجاجنا وضرورة مهمتنا".

لقد أخذت كلامه على أنه اعتراف رائع بأنه دفع للمسؤولين

المناسبين.

تابع إرسكين: "يبدو أنكما مخلصان، وأصغر من أن تكونا عميلين فيدراليين. كما أنني لا أعتقد أنكما تريدان خداعنا في أي صفقة. أستميحك عذراً بشأن كلامي هذا"، ابتسم بحرارة أكثر من أي وقتٍ مضى وقال: "ومع ذلك، إذا كنت تعتقدين للحظة أنك تتعاملين مع رجلَين مسنَّين ضعيفين، فأنتِ مخطئة جداً. إذا حاولت إيذاءنا بأي شكل من الأشكال، فسوف تموتين إما حيث تجلسين، أو قبل أن تتمكني من مغادرة منزلنا السعيد. للأسف، لقي آخرون ذات المصير. هل نفهم بعضنا؟".

قالت بريجيت: "رائع".

كان المقعد ذو الذراعين الذهبيين مريحاً للغاية إلى أن أدركت أن بيبز وجّهني إليه على وجه التحديد، وتساءلت كيف جُهِّز للقتل.

قال إرسكين: "أتمنى أن تسامحيني، إذا بدا أنني هدّدتك، فهذه لم تكن نيّتي".

ابتسمت له بريجيت، وقالت: "لماذا تقول ذلك يا إرسكين؟ نحن نتفهم الفرق بين التهديد وتفسير الأمور".

قال: "رائع. الآن إلى العمل"، وبدا أنه ألقى البركة علينا بفِعل شيء مثل علامة الصليب في اتجاهنا.

قالت بريجيت: "نحن بحاجة إلى سيارة، وسندفع أكثر بكثير مما تستحق. عليكَ أن تنتظر أسبوعين وبعدها ستبلّغ عن سرقتها".

سأل إرسكين: "هل تلاحقكما الشرطة؟".

أجابت: "نحن هاربان من نظام فاسد وقمعيّ"، اعتقد أنها قالت الكلام المناسب، يعلم الله ما كنت سأقوله لو فتحت فمي.

سأل إرسكين: "ماذا فعلتما؟".

أجابت بريجيت: "ليس عليك أن تعرف، إذا بعتنا سيارة، فستحتاج إلى قيادة سيارة فورد إكسبلورر الخاصة بنا لأميال من هنا، والتخلي عنها".

سأل إرسكين: "هل تحتاجان إلى أسلحة؟".

أجابت بريجيت: "لا، لدينا صديق ينتظرنا في السيارة، ومعه أسلحة".

سأل إرسكين: "هل تحتاجان إلى مخدرات؟".

أجابته بريجيت: "كلا، شكراً لك".

قال والاس بيبز: "من الآمن تماماً التعامل معنا لأي شيء، أي شيء على الإطلاق. ماذا عن هويات جديدة؟".

قالت بريجيت: "ليس لدينا وقت لذلك. كل ما نحن بحاجة إليه هو سيارة".

كان والاس ينظر إلى عمه بإثارة مثل صبيّ يأمل أن يخوض مغامرة، أما العم فنظر إلينا بحدة تحليلية.

بعد صمت قال إرسكين: "نعتقد أنه يتم تعريف الأشياء القليلة التي

نحبها، بكل ما نكرهه ومقدار كرهنا له. ما رأيكِ؟".

قالت بريجيت: "الكراهية تجعل العالم يدور"، وكان من الواضح أن المشاعر لقيت استحساناً في جمهورية بيبز.

كان لديّ الكثير لأتعلمه من هذه المرأة الرائعة.

كان صوت إرسكين لطيفاً مثل صوت مستشار مهتمّ حقاً، وكان تعبيره لطيفاً كعرّابة خرافية في كارتون ديزني. قال: "والاس وأنا نعتقد أنه إذا كنت تريد بناء شيءٍ أفضل، فعليك أولاً حرق كل ما هو موجود".

ابتسمت خطيبتي بخبث رقيق وقالت: "فقط أعطِني أعواد الثقاب".

قال إرسكين: "التاريخ هو عدو المستقبل".

وافقته بريجيت قائلةً: "الماضي سرطان يلتهم كل أحلام التقدم".

قال لها: "القوة هي الجمال، والجمال قوة".

رفعت ذقنها، ودفعت صدرها إلى الأمام، كما لو أنها كانت فخورة بجمالها، وقالت: "كيتس كانت غبية، تخلط بين الحقيقة والسلطة".

كنا جميعاً صامتين في الوقت الذي ابتسم فيه والاس إلى عمه، وإلى بريجيت، وإليّ، ثم إلى كل واحد منا مرة أخرى، في انتظار قرار إرسكين بوضوح.

ما من شك أننا كنا قد تجاوزنا حدّ الانحراف في المملكة المجنونة

للملكة الحمراء عندما قال إرسكين أخيراً: "لقد ساعَدْنا بين الحين والآخر آخرين من أمثالكم، الذين احتاجوا إلى سيارة تقلهم بأمان إلى المكسيك أو كندا. يمكنني أن أقدم لكما سيارة ميركوري ماونتينير يعود تاريخ صنعها لستة عشر عاماً خلت، من دون نظام تحديد المواقع العالمي، تمتلك لوحتين قانونيتين. إذا أرسلتما لي صوراً لكما ولشريككم في السيارة عبر البريد الإلكتروني، يمكنني في غضون ثلاثة أيام إرسال جوازات سفر مزورة إلى أي بريد ترغبان به".

قلت: "ليس ضرورياً، فلن نغادر البلد"، ثم نظرت إلى بريجيت وسألتها: "لن نغادر البلد، أليس كذلك؟".

وافقتني بريجيت: "لن نغادر".

قال إرسكين: "يوجد في سيارة الماونتينير مكان سري لنقل الأسلحة والذخيرة. إذا كنت تريدين ترسانة احتياطية، يمكنني أن أصنع لكِ صفقة شاملة: ماونتينير، وأسلحة".

أكّد لنا والاس قائلاً: "لدينا الكثير من الأسلحة الرائعة".

جمعت بريجيت يديها معاً كما تفعل أثناء الصلاة، وأومأت برأسها إلى إرسكين وقالت: "شكراً جزيلاً لك أيها العرّاب. نحتاج فقط سيارة الماونتينير".

قال: "حسناً، ثمنها خمسة وثلاثون ألفاً".

قلتُ بسرعة: "اتفقنا".

قال: "أربعون ألفاً".

قلتُ: "انتظر لحظة. اتفقنا على خمسة وثلاثين ألفاً".

ابتسم إرسكين في وجهي بحزن، ثم ابتسم لبريجيت وقال: "سيدة تورغينوالد، أوصيك بمنع زوجك من لعب البوكر".

قالت بريجيت: "حسناً، أوافق على أربعين ألفاً، أعطه عشرين يا حبيبي، وسأعطيه العشرين الأخرى".

قال إرسكين: "من فضلك ادفع لوالاس. يَسعد ابن أخي كثيراً بعدّ المال".

وقفت وبريجيت، وسلمنا معاً ثماني كدسات من أوراق نقدية من فئة المئة دولار إلى والاس بيبز.

بقي إرسكين في مقعده، ومرر أصابع يده عبر خصلات شعره المليء بالشيب، وللحظة توقّفت عن كونها يداً وبدت مثل ملحق غريبٍ تماماً مكوّن من ستة مخالب حادة شريرة.

| 28 |

عندما نهضنا عن مقاعدنا في المكتبة، لم تنفجر المتفجّرات تحتنا، كما لم تخترقنا المسامير ذات الرؤوس السّامة التي يبلغ طولها أربعة إنشات المدفوعة بهواء مضغوط من الأرداف إلى الدماغ، كما لم تُفتح أبواب مصيدة في الأرض لتوقعنا في حفرة مليئة بالتماسيح الجائعة.

لم أكن أعرف ما إذا كانت بريجيت قد لاحظت ما رأيته؛ فقد بدت يد إرسكين لفترة وجيزة أنها مكوّنة من المخالب بدلاً من الأصابع، حيث نشر مخالبه كما لو كان يودّ أن يمسكنا. كنت على استعداد للنظر إليها نظرة ثاقبة، نظرة قد تُفسّرها على الفور على أنها تعني أنّ إرسكين من النيهيليم، وحش دوديّ الرأس، صارخ، أنا لا أمزح، أعني هذا حقاً. مما أصابني بالإحباط الشديد، أن خطيبتي لم تنظر إليّ عندما غادرنا أربعتنا المكتبة، ولا عندما تنحنحتْ عن قصد، ولا حتى عندما تظاهرتْ بالتعثر على العتبة بين المكتبة وقاعة الطابق السفلي.

في وقت سابق من اليوم، عندما وصلنا إلى بيبتو، كانت بريجيت قلقة من أن قدرتها على الرؤيا من خلال تنكّرات الصارخين لم تكن فعالة؛ لقد قالت لي حينها: "لديّ شعور مزعج أن البعض منهم محميّون ومتنكّرون بشكل جيد، وأنا غير مدركة لوجودهم".

الآن، عندما انطلقنا إلى المبنى الآخر الوحيد في جمهورية بيبز، سارت بريجيت بجانب إرسكين إلى الشرفة ونزلت الدرج، وانخرطا

في محادثة هادئة لم أستطع أن أسمعها، لأنني كنت بصحبة والاس الثرثار. أكثر من مرة، وضعت يدها على كتف النيهيليم، وكأن المودة قد نمت بينهما.

أعطاني والاس علبة صغيرة مضغوطة بغطاء يتيح الرش، وقال: "ستساعد حلقك، فهواء الصحراء مضرّ. تحتوي هذه المادة على الزنك بالإضافة إلى مواد مُطرّية تعمل على تهدئة الالتهاب". أكدتُ له أنني بخير، لكنه لم يقبل العلبة الصغيرة عندما حاولت إعادتها إليه، وقال لي: "تعتقد أن حلقك سليم، ولكنّ هواء الصحراء يسبّب الالتهاب، لذا لا بد لي من شراء تلك الأشياء".

كان الليل هادئاً على مستوى سطح الأرض، لكن الرياح في الأعالي جرّدت السماء من الغيوم تماماً؛ كانت ليلة مُقمرة.

في الوقت الذي تبعثُ فيه والاس وإرسكين وبريجيت نحو مبنى التخزين الكبير المكوّن من طابق واحد، قال إرسكين: "أشتري كتباً لا أستطيع قراءتها لعدة أسباب: أولها، كلّ نسخة أضيفها إلى مجموعتي هي نسخة لا يمكن لأي شخص آخر قراءتها، فكلما قلّ عدد الأشخاص الذين يقرأون الكتب، كلما أصبح العالم أفضل".

قلت: "أفهم وجهة نظرك".

تابع: "وثانيها، أنا أحب مظهر المكتبة في المنزل، لكنني لا أريد أبداً المخاطرة بتلويث عقلي بأفكار الكُتّاب الذين يختلفون مع مُعتقداتي، ولا يمكنك معرفة ما يحتويه الكتاب من أفكار خاطئة حتى تبدأ بقراءته".

قلت: "كلّ كتاب يُحتَمَل أن يكون ثعباناً بين يديك".

صرخ قائلاً: "تشبيه رائع"، وصفعني على ظهري.

كان إرسكين من النيهيليم، وربما كان اسمه الحقيقي شيئاً مثل كثولهو أو يوغ سوثوث، لكن تخميني أن والاس لم يكن أكثر مما يبدو عليه: كان مريضاً نفسيّاً جاهلاً، كارهاً للبشر، ومضطرباً نفسياً يمكن أن يستخدمه النيهيليم للإمعان في تدمير الحضارة. كان أحمق مفيداً، بطريقة ما وقع تحت التأثير الخبيث للوحش، سمح لنفسه بالاقتناع بأنه مرتبط به. إنه بمنزله القيصر نيكولاس الثاني لراسبوتين، على الرغم من أنه في مكان أقل أناقة من قصر سانت بطرسبرغ.

قال بيبز: "بالإضافة إلى أنني سأحتاج الكتب أيضاً عندما يحلّ يوم الدم والتغيير، يمكنني الاحتفال بحرقها".

قلث: "ألن يكون ذلك يوماً رائعاً؟ يوم يحارب الكلّ بعضهم".

وافقني بيبز الرأي قائلاً: "لا يمكنني الانتظار".

قلت: "حسناً، أخشى أننا سنضطر إلى الانتظار لبعض الوقت. لا يزال هناك كثير من الناس الذين لا يفهمون لماذا لا يمكن أن تنمو المدينة الفاضلة إلا من خلال محيط من الدم".

قال بحزن: "هذا صحيح، كثيرون هم الذين يجهلون ذلك. أنت تقول الحقيقة يا بيل تورغينوالد. إنك شاب حكيم".

كان يقول كلاماً مبتذلاً عن الحكمة، لذلك شاركته قائلاً: "علينا كسر

بعض البيض لصنع عجة".

وافقني قائلاً: "علينا كسر الملايين من البيض، الملايين والملايين منها".

كان لمبنى التخزين إطار فولاذي وجدران مموّجة. طلب منا إرسكين أن ننتظر بالخارج مع ابن أخيه، في الوقت الذي دخل فيه لجلب أشيائنا. خرج عبر مدخل يتّسع لرجلٍ واحدٍ بجوار باب مرآب كبير.

بدلاً من الالتفات إليّ، مدّت بريجيت ذراعيها عالياً، وأمسكت رأسها وحركته.

عندما تنحنحت مرة أخرى، لم تتفاعل معي، لكن والاس بيبز قال: "الرذاذ سيصلح ذلك في لمحِ البصر. فقط صوِّب ثلاث رشات في مؤخر حلقك. أعطني العلبة يا بيل، وسأبخّ لك. ماذا ستخسر إذا جرّبته؟ يا إلهي، لا تقل إنك من أنصار العلاج الطبيعي، وتعتقد أنه يمكن معالجة كل شيء بالشاي الأخضر. أعطني العلبة".

حتى لو لم يكن بيبز وحشاً، بل مختلاً دموياً، لم أرغب أن يعالجني، يمكنكم وصفي بشديد الحساسية.

لمنع أن يتصاعد الشك عند والاس، فتحت فمي، ورششت ثلاث رشات في حلقي. كان طعمه قذراً كمياه حمّام الشيطان. غصصت عند الرشة الثانية، ومرة أخرى عند الثالثة، وذلك ما أعطاني فكرة أن أغصّ عدة مرات لجذب انتباه بريجيت.

عندها توقفت بريجيت عن تحريك رأسها للتركيز في الظهور الوشيك لسيارة ميركوري ماونتينير.

بدا والاس بيبز على وشك بدء مناورة هيمليخ، كرد فعل على اختناقي، فتوقفت وقلتُ له: "آسف يا رجل، لكن طعم هذا الشيء قذر مثل..."، غيّرت تشبيهي الأصلي لتجنب التسبب في الإساءة، فقد يكون مُعجباً بالشياطين. وتابعت: "قذر مثل بول البوسوم. لا أعني أنني أعرف مذاق بول البوسوم، لكنني أفترض فقط أنه يجب أن يكون قذراً".

قال بيبز في حيرة من ردّ فعلي: "لطالما اعتقدت أن طعم هذا الرذاذ أشبه بالفراولة الحامضة والنعناع"، عندما وصلت سيارة ميركوري ماونتينير، وجدت مخرجاً للتوقف عن الحديث.

تمّ الاتفاق على ترك المفتاح في سيارة الفورد إكسبلورر. لاحقاً، سيترك والاس وإرسكين السيارة في مكان آخر من المقاطعة بعيداً عن منطقتهما ذاتية الحكم.

خرجت بريجيت من جمهورية بيبز، وجلست في مقعد الراكب الأمامي، حيث قلت لها: "هل لاحظتِ ذلك؟ هل أدركتِ أن إرسكين من النيهيليم؟".

قالت: "كان تنكّره جيداً. لم أره حتى قال ذلك الهراء حول أن الأشياء التي نحبها تُعرف بما نكرهه ومدى كرهنا له".

قلتُ: "أوه، لم أرَ ما كان عليه حتى عقدنا الصفقة وقدمنا المال لوالاس. بعد ذلك لم أحصل إلا على لمحة موجزة عنه... من مجسّات

يده. لم أعرف إن رأيتِ حقيقة الأمر. كنت أحاول جذب انتباهك وتحذيرك".

قالت: "نعم يا عزيزي. علمت أنك لم تكن فقط تقلّد رجلاً يختنق بحسكة سمكة".

سألتُها: "ظللتِ تلمسين إرسكين. كيف أمكنك لمسه بعد أن علمتِ حقيقته؟".

أجابتني: "في البداية كنت أرغب في صرف انتباهه عن تصرفاتك، لكن كل لمسة جلبت لي رؤيا".

سألتها: "هل تقصدين حدساً داخلياً؟".

أجابت: "كلا، رُؤى صغيرة ووجيزة، ولكنها حيّة بشكلٍ مخيف".

سألتها: "رؤى عمّاذا؟".

أجابت: "سأخبرك بعد أن ننطلق".

استدارت بريجيت يميناً على الطريق الإسفلتية، فنظر إلينا وينستون الذي كان بعهدة بانثيا من نافذة المقعد الخلفي بينما كنا نوقف السيارة، وقد بدا متفاجئاً بأننا نجونا. للحظة، بينما كنا نحدق إلى بعضنا، رأيت نفسي من خلال عينيه - رأيت سيارة ميركوري ماونتنير، ووجهي الشاحب - وشعرت بما كان يشعر به؛ بالبهجة القوية وبحبّ الكلاب البريء. استمر تواصلنا لثانيتين تقريباً، لكن تأثيره تركني لاهثاً لمدة نصف دقيقة.

ثم ركنت بمحاذاة سيارة الفورد، وعندما تمكّنت من التنفس قلت

لها: "حدث شيءٌ ما للتو؛ لقد طوّرت التخاطر النفسي الحيواني؛ أياً كان ما يسمونه، رأيت نفسي في عيني وينستون. شعرت بما كان يشعر به".

قالت: "لم يسبق لي أن رأيت من خلال عينَي حيوان. أنت متقدم عليّ في هذا الجزء يا كوين".

تساءلت: "ماذا بعد؟".

قالت: "حقاً، ماذا بعد؟".

نقلنا نحن الأربعة أمتعتنا بسرعة من سيارة الفورد إلى الميركوري تحت سناء القمر الغربي.

إن تخيلت عندما كنت طفلاً أنني سأصبح وصياً لشيءٍ ما وموهوباً بشكل خارق، ما كنت لأفكر مطلقاً أن قوتي ستكون واهنة كما تبيّن، وما كنت لأتخيل أنني سأقضي جزءاً كبيراً من وقتي في مقايضة السيارات المستعملة. إذا كانت الفكرة هي إبقائي متواضعاً كي لا أصبح متعجرفاً مثل ريشون العام الأول، فقد نجح ذلك.

عندما أصبحنا جميعاً في سيارتنا الجديدة، بريجيت في مقعد السائق، وسباركي في الخلف مع بانثيا والكلب، قلت: "هل سننصب فخاً لهما؟ هل سنقضي على إرسكين (نيهيليم)؟ ماذا عن والاس؟ إنه ليس من النيهيليم. إنه أحمق، وضعيف مثير للشفقة، لكنه أيضاً رجل سيّئ".

قالت بريجيت: "لن نتعرض لأيٍّ منهما، فهما سيكونان حذرَين

للغاية. أياً يكن الأمر، لا يمكننا إبادة كل النيهيليم في العالم. نحن فريق واحد فقط من بين العديد من الفرق. أليس هذا صحيحاً يا بانثيا؟".

قالت بانثيا تشينغ: "هذا ما أعتقده".

قالت بريجيت: "علاوةً على ذلك، عندما لمست إرسكين، رأيت إلى أين يجب أن نذهب، وعلينا الذهاب إلى هناك قريباً. الأمور على وشك أن تصبح جامحة ويائسة".

قبل أن أسألها عن وجهتنا قال سباركي: "ماذا حدث في تلك المنطقة الغبية ذاتية الحكم؟".

بحلول الوقت الذي أوضحنا فيه ما حصل، كنا قد قدنا عدة أميال على الطريق الإسفلتي، ثم اتجهنا إلى طريق مرصوف بالحصى، وكان ذلك عندما سألت بريجيت أخيراً عن وجهتنا، وما الذي شاهدته في سلسلة الرؤى السريعة التي راودتها عندما لمست النيهيليم.

قالت بريجيت: "الليلة سنذهب إلى الأرض، وغداً..."، صمتت قليلاً، وعندها رأيت فيها للمرة الأولى خوفاً لا تشوبه شائبة. المحارِبة السعيدة التي وجدت دوماً مكاناً للدعابة في كل خطر وكل رعب عشناه، لم تجد شيئاً يجعلها تبتسم لما كان ينتظرنا غداً، ويبدو أنها تخشى التحدث عنه.

قالت بانثيا تشينغ من المقعد الخلفي: "إنه مكان غريب على بعد ستة أميال تقريباً خارج مدينة آجو".

نظرت بريجيت عبر المرآة، وقالت: "هل رأيت ذلك أيضاً؟".

قالت بانثيا: "في اللحظة التي لمستِ فيها النيهيليم، تلقيت رؤيا للمكان الذي يجب أن نكون فيه غداً. يُسمَّى الواحة، وهو يقول إنه يحوي على المياه المظلمة المقدسة التي تمنح الخلود".

سألتها: "من هو؟".

أجابتني: "إنه يخفي اسمه الحقيقي، يُطلق على نفسه اسم النور، وعلى أتباعه اسم أطفال الروح، لكنهم ليسوا أتباعه ولا أطفاله. استسلم البعض لدعايته، وغُسلت أدمغتهم بفكرة السعادة المزعومة، بينما يعيش الآخرون في بؤس مدقع. في الحقيقة هم عبيده.

لقد زوده إرسكين ووالاس بانتظام بالمخدرات؛ مخدرات ترفيهية، بالإضافة إلى عقاقير يستخدمها للسيطرة على أطفال الروح".

قال سباركي: "أي شخص يطلق على نفسه اسم النور يحتاج إلى أحدهم ليطفئه".

قالت بانثيا: "وتلك الواحة ليست ملجأً ولا ملاذاً. كل يوم في ذلك المكان هو ليل. ظلامه أكثر من الظلام العادي، مثل شراب أسود مُرّ يحمل على اليأس. من بين كل الأشياء التي تستحق أن نموت من أجلها، ليس هناك ما هو أفضل من الموت لوضع حدّ للنور وواحته، لكن...".

سألتها: "لكن ماذا؟".

قالت بانثيا: "لكنني لا أريد أن أموت".

بعد أن ساد الصمت لدقيقة تقريباً، قلتُ: "حسناً، كما تعلمون، ربما يمكننا وضع حدٍّ له وللواحة من دون أن نموت. ربما لم نُحضر إلى هذا العالم، ولم نلتقِ كي نموت في مهمتنا الأولى".

قالت بانثيا: "نعم، أليس من الجميل التفكير في ذلك؟".

لم تقل بريجيت شيئاً، ولم تنظر إليّ، بل نظرت إلى الأمام، واتّبعت الممر المليء بالحصى إلى طريقٍ ترابي، ثم إلى طريق مرصوف، بحثاً عن المكان الذي سنبقى فيه طوال الليل. كان القمر عالياً، ومع ذلك ظلت الكآبة تلفّ الصحراء. في تلك الأرض القاحلة، بدا أننا نعود بالزمن إلى الخلف بحثاً عن جنّة عدن المفقودة، والتي لن يقودنا إليها أي طريق سواء أكان ممهداً أو لم يكن.

| 29 |

في الوقت الذي خيّم فيه صمت مهيب ومرهق، مررنا أسفل الطريق السريع بالقرب من نهر سان بيدرو الذي يفيض بمياه العواصف متجهين إلى المكسيك. لقد أصبحنا على بعد مسافة من بيبتو، وتركنا لجهاز الأمن الداخلي مهمة البحث في مقاطعتَي غراهام وغيلا، واتبعنا طريقاً سريعاً للولاية جنوباً باتجاه بلدة تومبستون في مقاطعة كوتشيس، ولكننا بعد ذلك سلكنا طريقاً سريعاً آخر غرباً باتجاه نوغاليس، وسرعان ما اتجهنا جنوباً إلى سييرا فيستا، وهي مدينة صغيرة على المنحدرات الشرقية لجبال هواتشوكا. جذبتنا المغناطيسية الروحانية إلى فندقٍ كانت تتوفر فيه أربع غرف، وكان يقبل الدفع نقداً، وكان رقم لوحة ترخيص ماونتينير هو الإثبات الوحيد المطلوب. قبل منتصف الليل بقليل، كنا محبوسين في غرفنا بعد أن اتفقنا على الانطلاق إلى الواحة بعد الفطور.

هذه المرة، اختار وينستون أن يجلس معي، وكأنه يؤكد لي أنه على علم بالعلاقة الجديدة والغريبة التي نشأت بيننا. نمت وهو يرقد بجانبي، ورأسه على صدري.

حاصرني ثلاثة من النيهيليم في غرفة - في كابوسي - وسعوا إلى التهامي حياً من دون الحاجة إلى توابل أو مشروبات. عندما استيقظت، لم يكن رأس وينستون على صدري، لكنه بقي إلى جانبي، يبكي بخوف في حلمه الخاص، والذي ربما كان هو نفسه الذي استيقظت منه. مسّدتُ جسده حتى هدأ تدريجياً، وأوضح تنفسه أن

قلقه قد خمد.

تذكرت رافائيل كلب الغولدن ريتريفر الذي كان مصدر فخر لماتر ميسيركورديا. كانت آني بايبر، التي أسرَتنا بالحكايات التي كتبتها والقصص التي قرأتها، هي الراعية الأساسية له، تحت إشراف الأخت مارغريت. ساعدت فتاة تدعى كيكو إيشيغورو في رعايته، وتولت المهمة عندما ذهبت آني إلى الكلية. كانت كيكو لطيفة وخجولة، فتاة ذات عينين كبيرتين سوداوين وجميلتين. عندما كنت في الثالثة عشرة من عمري، وكانت كيكو في السابعة عشرة، كان يجب أن يتم إنهاء حياة رافائيل لأن سرطاناً سريع الوتيرة اجتاح جسده. بكت كيكو لعدة أيام، ووفقاً لرفيقتها في السكن، كانت تبكي حتى أثناء نومها.

لقد أثّرت وفاة رافائيل عليّ أيضاً بقدر ما أثرت على كيكو، لأنه عندما كنت في الحادية عشرة من عمري وفي اكتئاب عميق بسبب مقتل ليتون أورموند، غالباً ما كان رافائيل يأتي إلى غرفتي ليلاً وينام إلى جانبي، على الرغم من أنه لم يفعل ذلك أبداً من قبل. إذ إن وجوده لم يهدئ كربي، إلا أنني أعتقد أنه خفف قلقي تدريجياً من أنني سأواجه موتًا مبكراً بلا معنى مثل ليتون.

قالت الأخت تيريزا، طبيبة النفس والمعلمة، إنه يُرجح أن الكلاب هي الكائنات الوحيدة على هذا الكوكب، بخلاف البشر، التي تحزن على فقدان أحد أفراد أسرتها، ومن المعروف أن الكلاب تحزن لأشهر وحتى لسنوات، وربما أبعد من ذلك، فقد تذهب برحلة بمفردها إلى مقبرة بعيدة للاستلقاء بالقرب من قبر سيدها. إذاً، يمكن للمرء أن

يفهم أن الكلب قد يشعر بالحزن على صبيّ فقد أعز أصدقائه.

غادرت كيكو ماتر ميسيركورديا لمدة أربع سنوات بحلول الوقت الذي بدأت فيه العمل في أريزونا! لقد انتقلت إلى أوستن في تكساس، لأنها اكتشفت أن ابن عمها، إيشيرو سوغيمورا، يقيم هناك؛ وكان قريبها الوحيد الذي لا يزال على قيد الحياة. بعد ستة أشهر، بعثت إلى الأخوات الطيبات رسالة تعلن فيها أنها أوشكت أن تتزوج من رجل نبيل اسمه مالك ميمون. اعتقدت أنه يجب أن أنقل لها قصة رافائيل، كلب ماتر ميسيركورديا، لذلك حاولت الاتصال بها لكنني فشلت في العثور عليها. لم يكن اسم إيشيرو وميمون شائعَين، لذا لم أتوقع أن يكون البحث عنها صعباً، إلا أنني لم أتمكن من تحديد موقع إيشيرو سوغيمورا.

بالنظر إلى مدى قربنا نحن الأيتام من بعضنا، حيث وحّدتنا الخسارة وعدم اليقين بشأن مستقبلنا، بدا أننا يجب أن نبقى جزءاً من حياة بعضنا طوال أيامنا على الأرض، بغض النظر عن المسافة التي فصلتنا عن ماتر ميسيركورديا. لكن الوقت والرغبة - الشوق إلى ما لا نملكه والبحث عن مستقبلنا - أبعدا كل شخص منا عن أولئك الذين أحببهم يوماً ما. العائلة وحدها تمتلك القدرة على إبقاء الناس متعلّقين بالمكان، والتراث، والمعنى الاجتماعي للأجيال المترابطة، على الرغم من أن العديد من العائلات أقل تماسكاً مما هو مطلوب للقيام بهذا الدور.

في خضم فشلي في العثور على كيكو، كان عليّ أن أتصالح مع حقيقة أن الأيتام الذين تم جمعهم معاً بحكم الضرورة، لم يكونوا

عائلتي التي لطالما كنت أرغب لفترة طويلة في تصديق أنهم كذلك.

كنت أستحم وأرتدي ملابسي في الوقت الذي كان فيه الظلام مخيماً على سييرا فيستا، ومع انبلاج الفجر أخذت وينستون في نزهة، وجدنا حديقة ووقفنا لبعض الوقت تحت شجرة بلوط، شاهدنا أشعة الشمس تغمر وادي نهر سان بيدرو، والظلال تتقلص ببطء باتجاه الشرق مع اقتراب الضوء من الغرب.

عندما عدت ووينستون إلى الفندق، وجدنا رفاقنا جاهزين؛ التقينا في مطعم على الجانب الآخر من الطريق السريع، وسُمح للكلاب بالبقاء في الفناء. شربنا الميموزا مع طعامنا، وأخذنا وقتنا في تناول الفطور. لم أرغب في الذهاب إلى الواحة بعد ما قالته بريجيت وبانثيا عن الشر الذي سيواجهنا هناك، لم أرد أن يكون هذا ما وُلدنا من أجله. أردنا التمرد على سرّ وجودنا، ورفض العمل حتى يُشرح لنا كل شيء. ومع ذلك، فإن سيد هذا اللغز، بعد أن عانى من متمردين سابقين ذوي طبيعة تاريخية، كرِه شرح نواياه بخلاف الرسل العاقلين والرُسل المجانين، ولم يكن من المحتمل أن يأخذ تمردنا الصغير على محمل الجد بما يكفي. في الواقع، لم يحدث ذلك، وانطلقنا في الطريق.

كانت بلدة آجو الصغيرة - التي تُلفظ (آه جو)، ولكنها غالباً ما تُلفظ بشكلٍ خاطئ - موطناً لمنجم كورنيليا الجديد الغني بالنحاس. يبلغ قطر المنجم ميلين وعمقه أكثر من ألف قدم، وهو معلَم سياحي يضمّ مركزاً للزوار ومنطقة مراقبة. يستحق أولئك الذين طوروه امتناننا، لأننا من دون النحاس نفتقر إلى العديد من وسائل الراحة

الحضارية، أولها القدرة على نقل الكهرباء لإنارة منازلنا، واستمرارية صناعاتنا. أولئك المسافرون الذين يستمتعون بالمناظر الهندسية المعمارية الفريدة للجنوب الغربي، يشعرون أنه يجب عليهم انتقاد شيءٍ ما كي يحصلوا على إجازة متكاملة، فإن الاحتجاج على صناعة التعدين السطحي تُعَدّ فرصة للتباهي بالأخلاق، على الرغم من أنها لا تحظى بجهور كافٍ.

كي تفهموا غرابة تلك الواحة، حيث جلس الرجل الذي أطلق على نفسه النور فوق أولئك الذين كانوا يعشقونه، وكان بمثابة حارس على أولئك الذين سجنهم، عليكم معرفة موقع مدينة آجو. إلى شمال المدينة تقع منطقة محظورة، ميدان باري أم غولدووتر للقوات الجوية، وإلى الشرق، تقع محمية توهونو أودهام الهندية، وإلى الجنوب يقع النصب التذكاري الوطني لأورجان بايب كاكتوس، والذي لا ينتج الموسيقى في الواقع، وإلى الغرب، محمية الحياة البرية التي تبلغ مساحتها 860 ألف فدان، هي ملاجئ للأغنام الصحراوية الكبيرة، وظباء القرون الشوكية، والقواع، والقوارض الغوفرية، وفئران الكنغر، والعديد من السحالي، والخفافيش النادرة ذوات الأنوف الطويل جُزئياً، والتي تمتلك أنوفاً أصغر إلى حدّ ما من الخفافيش طويلة الأنوف المنتشرة في مناطق أخرى.

كانت محاطة بمنشأة عسكرية، ومحمية قبلية، ونصب تذكاري وطني، وملجأ للحياة البرية، والمساحة الناتجة عن كل هذا تبلغ حوالى عشرين ميلاً من الشمال إلى الجنوب وخمسة عشر ميلاً من الشرق إلى الغرب. تقع آجو في وسط الربع الشمالي الغربي من

مقاطعة بيما، لذا يُفترض من الناحية النظرية ألا تكون واحة النور أبعد من ثمانية أميال على الأرجح من آجو، لكنها أثبتت بشكل غامضٍ أنها أبعد من ذلك بكثير.

لم تسرع بريجيت في طريقنا إلى الواحة، ولم يحثّها أيٌّ منا على الإسراع، ولأننا توقفنا عند متجر صغير في ضواحي توكسون لشراء قطع الحلوى والكولا، ولأننا توقفنا مرة أخرى في بلدة سيلز للتزوّد بالوقود والشطائر ودخول الحمام، كانت الساعة 2:53 من بعد الظهر عندما وصلنا إلى مفترق الطرق حيث التقى طريق الولاية 86 بالطريق 85 عند الحافلة الصغيرة التي تحمل اسم مدينة واي، على بعد عشرة أميال جنوب آجو.

اتجهنا شمالًا على طريق الولاية 85. تباطأت بريجيت قبل أربعة أميال من آجو، ونظرت إلى الأرض التي حرقتها الشمس إلى اليمين وتوقفت عند الرصيف، ثم تقدمت بفعل المغناطيسية الروحانية. قادنا الطريق - أو بدا أنه يقودنا - إلى الشمال الشرقي، لكن تشابه المناظر الطبيعية ووهج الشمس المنعكس عن كل سطح تآمر لإرباكنا. كالكوبرا التي تتلوى على موسيقى الفلوت، ارتفعت ثعابين الحرارة من الحجر المشمس، بحيث بدا ما كان أمامنا وكأنه خلف ستارة شفافة تموّجت أثناء سحبها جانباً، على الرغم من أنها لم تنفتح بالكامل.

كان سباركي أول من اشتبه في أننا بطريقة ما نعاود عبور الأميال نفسها مراراً وتكراراً، كما لو كنا قد دخلنا في حلقة زمنية، على غرار فيلم يوم غراوندهوغ.

قال سباركي: "نحن نتحرك في المكان ذاته، هذا التكوين الصخري، وتلك المجموعة من الصبار، وتلك الكومة من الأنقاض التي ربما كانت في السابق كنيسة مهمة. اللعنة، لقد سبق لي أن رأيت كل هذا أكثر من مرة".

بدا أن كلامه أيقظنا، في الوقت الحالي لاحظنا وتأكدنا أن ما لاحظه كان صحيحاً.

قالت بريجيت: "وفقاً لعداد المسافات، لقد سرنا ثمانية عشر ميلاً من الطريق السريع". تفحصت ساعتها، وأكملت: "كيف يحدث هذا؟".

قال سباركي مشيراً عبر الزجاج الأمامي: "هناك، لقد سبق لي أن رأيت هذا الصقر البرّيّ مرتين على الأقل، وهو يحاول الانقضاض على فريسته".

عندما ارتفع الصقر بعد أن التهم فريسته، تذكرت أيضاً أنه سبق لي أن رأيت هذا المشهد. تعاظم الخوف من المجهول بداخلي، تماماً كالخوف الذي شعر به البشر الأوائل عندما أظلم النهار فجأة بسبب الكسوف الشمسي.

عندها أدركت أن الشمس تبدو وكأنها تتحرك حولنا بطرق فضولية لا يمكن تفسيرها من خلال المنعطفات في مسار صخري. قلث: "لو ذهبنا شرقاً أو شمالاً... فيجب أن نكون الآن إما على أرض محمية توهونو أودهامفي، أو في نطاق منطقة القصف، ولكن لم تكن هناك أي علامات تحذير".

أوقفت بريجيت السيارة تماماً.

لم يقصفنا أحد، ولم يظهر فندق الكازينو بأضواء ساطعة. إذا كنا في أي مكان، فنحن لا نزال في المنطقة التي عاش فيها الأشخاص الجيدون من آجو، وعدّنوا فيها النحاس.

قالت بانثيا من المقعد الخلفي بصوتها الناعم الذي يتميز بالثقة الهادئة: "الحلقة التي ندور فيها هي خدعة نيهيليم البسيطة، وهي السحر الوحيد الذي يمكنهم القيام به عندما يكونون في حالة السقوط. إنه خداع للعين والعقل تماماً كقدرتهم على التنكر كإنسان. إنهم يرغبون في حماية هذا المكان من أولئك الذين لم يدعوا إليه، حيث يعتقد الأشخاص الذين يأتون إلى هنا بهذه الطريقة، أنهم يقودون أبعد عن الواحة وليس أقرب إليها. ثم يخافون من أن يتوقفوا ضمن نطاق القصف، لذا فإنهم يعودون. أحبطنا الوهم لبعض الوقت، لكن بعد أن فهمنا كل ما يحصل، يمكننا الهروب من الحلقة. لقد ذهبنا على بعد ميل واحد فقط من الطريق السريع، وليس ثمانية عشر ميلاً، لذا، فإن الواحة تقع على بعد ميل من هنا، ميل على الأكثر".

قلت: "أتساءل... إن كانوا يعرفون أننا قادمون؟".

أجابتني بانثيا: "لا أظن ذلك".

قلث: "ألا تظنين ذلك؟ هل هذا أفضل ما لديك يا بانثيا؟".

قالت: "إن تعويذة الحلقة التي وضعت على هذا الطريق هي خدعة تلقائية لا تحتاج إلى صيانة أو أن يولوها اهتمامهم، ربما نحن أول

من نجح في كشفها".

قلث: "ربما، ربما. ولكن إذا نجح أي شخص قبلنا، فلن يثقوا بهذه الخدعة، وسيكونون حذرين"، وضعت يدي على صدري وتابعت: "ما كان يجدر بي تناول تلك الشطيرة، أصابتني حرقة فظيعة".

على الرغم من أن خوف بريجيت كان واضحاً، إلا أنها مدّت يدها، وقرصت خدي وقالت: "سيكون الأمر سهلاً للغاية يا عزيزي".

قلت: "في كل فيلم، في لحظة مثل هذه، عندما يقول شخص ما إن الأمر سيكون سهلاً للغاية، يحصل العكس، وعندها دائماً يبدأ الموت".

قالت: "هذا ليس فيلماً"، لكن كان هناك قليل من الذعر في صوتها لم تستطع إخفاءه.

قادت بريجيت إلى الأمام نحو واحة النور.

ازدادت التضاريس غير المرحبة تدريجياً حتى وصلنا إلى قمة، ووجدنا أمامنا صحناً في الأرض ربما يكون قطره ميلاً واحداً، كحفرة نزل فيها نيزك كبير أو كويكب صغير في وقت ما، على الرغم من أنه ربما كان تكويناً جيولوجياً طبيعياً. لا أعرف شيئاً عن الجيولوجيا باستثناء ما تعلمته عندما كان عمري ثلاثة عشر عاماً عن كيبتون، موطن سوبرمان. كانت واحة النور مليئة بأشجار النخيل، والشجيرات، والزهور المورقة لدرجة أن وادي جمهورية بيبز لا يرقى للمقارنة بها. من الواضح أن خزاناً جوفياً رئيسياً كان يقع تحت هذا المكان، وقد استغلوه من دون أن يقلقوا بشأن القوانين التي تحكم

استخدام المياه في هذه الحالة الجافة.

كان للواحة ميزات أخرى غير موجودة في جمهورية بيبز، بما في ذلك رجل الأغصان الذي يبلغ طوله أربعين قدماً، وتي ريكس الذي يبلغ حجمه ضعف حجم الديناصور، ومذبح الأزتك.

على الرغم من أن المستوطنة أدناه كانت مهجورة، إلا أن بريجيت تراجعت عند حافة الحفرة - إن كانت حفرة بالفعل - حتى كنا بعيدين عن أي شخص أدناه، وأوقفت عمل المحرك.

قالت: "باستثناء الغطاء النباتي، يبدو وكأنه نسخة من مهرجان الرجل المحترق في ولاية نيفادا؛ تلك الإنشاءات الغريبة، والأعمال الفنية إذا كنت تريد أن تسميها بذلك".

قالت بانثيا تشينغ: "إنه مكان للشر العظيم، مكانٌ للجنون، والقمع، والشراسة، والعبودية، والقتل، والاغتصاب الذي يُطلَق عليه اسم التحرر".

سألت: "إذا كان الأمر على هذا النحو، فلماذا يتوجب علينا أن نتعامل معه؟ لماذا لا تدرك السلطات ما يجري هنا؟ لماذا لم تُغلِق هذا المكان؟".

أجابتني: "فساد، ولا مبالاة. الأشخاص رفيعو المستوى في الحكومة، والصناعة، والإعلام، يأتون إلى هنا بين الحين والآخر للاستمتاع بكل الأشياء الممنوعة في أي مكان آخر".

ترجّلت بانثيا من السيارة، وأغلقت بابها بهدوء.

انضممنا كلنا إضافة إلى وينستون، إلى المستبصرة التي وقفت في ظل حرارة بلغت 90 درجة فهرنهايت، ونظرنا إلى حافة الحفرة، نحو الواحة التي بقيت بعيدة عن الأنظار، وكأن الهواء كان مليئاً بالوحي الذي اصطادته كصياد يجرف السمك في شبكته.

لقد بدت وكأنها من عالم آخر، هشة كمنحوتة خزفية رائعة، وشرسة كبطلة في عمل أنيمي عنيف. داعب النسيم الدافئ شعرها الأشعث كما لو أن آلهة سونوران نظرت إليها بعاطفة، وقد بدت مُحصنة ضد الحرارة. لم يبدُ أن وجهها يتعرق ويلمع على الرغم من أن وجوهنا جميعاً كانت تتلألأ من العرق، وتعرّق وينستون على طريقته الخاصة والفريدة، من خلال أنفه ولسانه المتدلي.

قالت بانثيا: "إنه غني جداً ومعروف. إنه يعرف كيف يستخدم القوة، ومن يمكن أن يُحنى، ومن يمكن أن يُكسر، ومن سيقاوم، وكيف سيتغلب على مقاومته".

سأل سباركي: "من هو؟ لا تقولي لي إنه النور. من هو حقاً؟".

أجابته: "أظن... أنه... بودي إمريش".

قلت: "لقد سبق لي أن سمعت بهذا الاسم. لقد كان شخصاً مشهوراً تقريباً، على ما أعتقد".

قالت بانثيا: "أنا أكبر منك بما يكفي لأتذكر. في الأيام الأولى لوسائل التواصل الاجتماعي، أنشأ إمريش أحد أول مواقع المواعدة هارت فور هارت".

قالت بريجيت: "أعتقد أنه لا يزال الأكبر".

قالت بانثيا: "لقد كان من أوائل مَن أدركوا قوة البيع بالتجزئة عبر الإنترنت، حيث أسس شركة تلو الأخرى، وطرحها للاكتتاب العام وجنى الثروة تلو الأخرى، حتى بلغت ثروته المليارات".

قال سباركي: "وتصفونه بالمشهور تقريباً؟ رجل من هذا القبيل، يُعد مشهوراً كنجوم الراب في يومنا هذا".

قالت بانثيا: "لقد أدرك أن من أسماهم بـ "أسياد وسائل التواصل الاجتماعي والأوليغارشيين في مجال التكنولوجيا" سيصبحون يوماً ما معروفين كنجوم السينما، ولم يرد ذلك. أراد الخصوصية وعدم الكشف عن هويته. كان حذراً جداً في وقت مبكر جداً... أعتقد أن صوره قليلة جداً".

نظرت بريجيت إلى حافة الحفرة، وسألت بانثيا: "ماذا يفعل هنا؟ ما هذا المكان؟".

أجابت بانثيا: "لقد بدأ الهرب منذ فترة طويلة، من عالمٍ كان يشعر فيه بالبرد، ومن الجماهير التي اعتقد أنها في الغالب غير عقلانية وحسودة. لقد أراد أن يصنع عالماً صغيراً خاصاً به، واحة للعقل في أرض خيالية مليئة بالإعجاب، لقد تخيل أنه يستطيع العيش مع مجموعة مختارة من النخب، ويدعمها بثروته".

قال سباركي: "يا إلهي، أنقذني من مكان كهذا".

حلّق صقر برّيّ شرقاً في دوامة، كان من المستحيل معرفة إن كان

الذي سبق لنا أن رأيناه. تحولت نظرة بانثيا من قمة المنحدر إلى الطائر. كانت عيناها الداكنتان مغطاتين تماماً بانعكاس السماء الزرقاء الشاحبة للغاية. إذا رأت الصقر المفترس، فلا بد أنها رأت أيضاً أبعد من ذلك، رأت في الماضي وفي قلب بودي إمريش، وأدركت ما كان وما يمكن أن يكون.

أخفضت صوتها حدّ الهمس وقالت: "لقد كان دائماً كارهاً للبشر نوعاً ما، مع أنه لم يدرك ذلك. أحبطه معظم الناس وصدوه. وبشكلٍ ما، فقد صدّ نفسه أيضاً. كان ينوي القيام بمشروعٍ نبيل، وإنشاء ملاذ وينبوع من التحفيز الفكري والملذات الدنيوية في الوقت نفسه. مع ذلك، فإن أولئك الذين جلبهم إلى دائرته المقربة كانوا في الغالب كالطفيليات والعلقات جذبتهم ثروته، واعتقد مُخطئاً أنهم أصدقاء حقيقيون، لأنه هو نفسه كان غير قادر على تكوين صداقة حقيقية. لم يعرف نفسه على الإطلاق، ولا حتى رغباته العميقة والصادقة، ويعتقد أنه فكرياً وأخلاقياً قد تقدم على كل التأثيرات السلبية التي شكّلت ماضي البشرية المضطرب، كما يعتقد أنه فوق الخطأ والعذر والخرافات، في حين أنه في الواقع يمثل تجسيداً لأشد الدوافع البشرية قتامة".

فتنني همسها المسرحي، لدرجة أنني ذُهِلت عندما توقفت عن الكلام. ابتعدت عنا، وذهبت إلى الجزء الخلفي من سيارة الميركوري ماونتينير.

عندما انضممنا إليها عند باب صندوق الأمتعة، فتحت علبة الذخيرة، وأخذت منها مخازن احتياطية لمسدسها ولمسدسي.

سألتها وأنا أضع الذخيرة في جيبي: "ما الذي سنفعله؟".

قال بانثيا: "لا شيء أكثر مما وُلِدنا لمواجهته". كانت تحمل مسدسها في حقيبتها المفتوحة، ونصحت بريجيت بفعل الشيء ذاته.

ثم قالت: "كوين، سباركي، أخفيا سلاحيكما تحت قميصيكما بأفضل ما يمكنكما. إذا قابلنا شخصاً ولم نظهر أننا مسلحون، فسيكون لدينا فرصة لخداعه، الخداع أفضل من الرصاص".

قلث لها مُذكّراً: "عندما تحدثتِ عن هذا المكان في الليلة الماضية، قلت إنك لا تريدين الموت هنا".

قالت لي: "أنا لا أريد ذلك، لكن الجميع يموتون في مكانٍ ما، وللأسف الخيارات المتاحة أمامنا لا تعدو عن كونها اثنين".

قلت: "يمكننا النزول إلى هناك الآن، أو الانتظار".

قالت بانثيا: "هذا ليس التعبير الصحيح، يمكننا النزول إلى هناك ووضع حدّ لما يحصل، وتحرير أولئك المُضطهدين قبل أن يتعرض شخص آخر للاغتصاب، أو القتل، أو يمكننا ألّا ننزل إلى هناك، ولا نذهب في الوقت المناسب مثل النيهيليم".

قال سباركي مُدافعاً عني: "هو يقصد أنه يجب تحليل الوضع، ووضع خطة واستراتيجية وتكتيكات".

قالت بانثيا بغير تأثر: "استراتيجيتنا هي العدالة، وتكتيكنا هو عمل مفاجئ لا هوادة فيه".

قال سباركي وهو لا يزال يشرح لها وجهة نظري: "لقد نضج الشاب كثيراً منذ أن قابَلَنا قبل يومين، لكنه مع ذلك لا يزال روحاً بريئة، إنه لا يدرك تماماً مدى اعتزازه بهذه البراءة، وإلى أي مدى يأمل في التمسك بها".

شعرت بالخوف لسماع سباركي يبرّر أقوالي لبانثيا، فنظرت إلى بريجيت، ورأيتها تنظر إليّ بتواضع وبحب على ما أعتقد، ولكنني أظن أنها كانت تقيّمني في الوقت نفسه.

تابع سباركي: "إنه ليس جباناً، لقد قتل عميلَي جهاز الأمن الداخليّ اللّذين كانا يريدان قتلي بالتأكيد، وأخذ بريجيت والله أعلم إلى أين، لكنه قتلهما بسيارة قبل أن يدرك تماماً ما كان يحدث، قتل أحدهما دفاعاً عن النفس والآخر عن طريق الصدفة. إذا كان الأمر يتعلق بالأسلحة النارية - وسأتحدث عن شيء من الخبرة - فسيتعين عليه الضغط على الزناد بدم بارد. ستكون هذه نهاية أي براءة كان يأمل ألا يفقدها، وهو يعرف ذلك".

تفاجأتُ بكلامه، لقد عبّر عما شعرتُ به تماماً من دون أن أدرك لماذا كنت أشعر به، لقد عبّر عن حزني الناجم عن ضرورة الاضطرار قريباً إلى الاعتراف بأنني كنت من هذا العالم الجميل المظلم - بغض النظر عن الوسائل الغريبة التي أحضرت بها إليه - عُرضة للفساد، وقابلاً على فعل الشر مثل أي شخص آخر. أنا كأي شخص آخر، سأبذل قصارى جهدي لأحافظ على خيط رفيع ومشرق من براءة الطفولة المتوهجة، وأدرك تماماً أنني قد لا أكون الشخص ذاته بعد وصولي

إلى هذه المرحلة، وفي الواقع قد أكون شخصاً لا أحبه. مات أفضل صديق لي، ليتون أورموند، في الوقت الذي كان فيه بريئاً، ولم يكن فيه إلا قليل من الفساد - هذا إن وجد - ولكن وإن استطعت الاستمرار في العيش لعقود في شقة الأستوديو الخاصة بي، وكتابة قصص ممتعة تهمّ الإنسان لمجلة إقليمية، وتناول الطعام في مطعم بِن، ومشاهدة أفلامي المفضلة مراراً وتكراراً في أيام إجازتي، وأخذ الغسيل إلى مصبغة هاري القذر - نظيف الآن - والتوق إلى قصة حب مع جامعة الطوابع شارونا شيمسكي حفيدة خوليوس، ما كنت لأستطيع التمسك بفضائل الطفولة والبقاء فتى نزيهاً إلى الأبد.

بالنظر إلى ما يجب أن أفعله في الواحة وفي أماكن مثلها غير معروفة حتى الآن، إذا واجهت ليتون أورموند في نهاية المطاف في حياة أخرى، فلن يتعرف إليّ أبداً من خلال روحي الطاهرة، حيث سأكون مُلطخاً بشدة، وربما سأكون قد تغيرت كثيراً لدرجة أنني أصبحت غريباً عنه؛ بدا لي ذلك أمراً فظيعاً.

لمست بانثيا صدري بإصبعها، كما لو أنها تعرف بأنني بحاجة إلى إعادة التركيز من خلال حثٍّ مستمرٍّ، وسألتني: "هل يعني فرودو لك شيئاً؟".

أجبتها: "سيد الخواتم، لقد أحببت تلك الكتب".

سألتني: "بالطبع. هل كان فرودو بطلاً؟".

أجبتها: "نعم، كان بطلاً رائعاً".

قالت: "بعد أن حمل الخاتم على طول الطريق من المقاطعة إلى

عالم موردور الشرير، إلى المكان الذي يمكن تدميره فيه، أغواه الخاتم، فوضعه في إصبعه".

قلت: "لم يفعل شيئاً شريراً".

قالت: "لأن غولوم عضّ إصبع فرودو للحصول على الخاتم، وإلا كان فرودو سيستسلم لإغواء السلطة".

قلت: "أود أن أظن عكس ذلك".

قالت: "بالطبع تريد أن تعتقد ذلك، لكن فرودو فقد براءته، ولم يكن في منزله في المقاطعة مرة أخرى عندما عاد إليها، ولم يكن في المنزل أبداً وسط الهوبيتس الأبرياء".

قلت: "لم أحب هذا الجزء أبداً، أتمنى لو كان في المنزل بينهم".

قالت: "بالطبع تتمنى ذلك، ومع ذلك كان بطلاً عظيماً. إن لم يكن كذلك، كان الهوبيتس ليهلكوا، بكل ما يحملون في قلوبهم من براءة، وكانت ميدل إيرث ستصبح مكاناً للرعب اللامتناهي. نحن أوصياء؛ ألوف شيل هالاخاه؛ مدافعون عن القانون الطبيعي.

نحن مدعوون لأن نكون نبلاء، نحن ننتمي إلى ذلك المكان المشرف والأساسي بين البراءة والفساد، مكان يُسمى الواجب. إما أن تنضم إلى البرنامج يا كوين، وإلا فستموت باكراً وسيكون موتك عديم الجدوى".

مسحت وجهي للتخلص من العرق الذي سببه كلامها أكثر من الحرارة، ومسحت يدي بقميصي، ثم قلت: "أنت لا تتوقفين عن

اللّكم، أليس كذلك؟".

ابتسمت وسألت: "ماذا سيكون الهدف؟".

قلت: "الأوصياء. قلت إنها قد تكون مهمة، لكنك الآن تطلقينها علينا، وكأنها ستظل معنا لبقية حياتنا".

قالت: "لقد أخبرتك أننا قد نكون جزءاً من السعي لتأمين شيءٍ ما، لكن في الوقت الحالي لا أعرف ما هو هدف المهمة. أنا أعلم على وجه اليقين أن سبب وجودنا هو أننا أوصياء، وهذا لن يتغير أبداً".

سألتها: "هل نحن ذاهبون إلى الواحة لإنقاذ شخص ما؟".

أجابتني: "أنت تعرف قدر ما أعرف. ربما ينتظر شخص ما خلاصه، وربما يكون المنتظرون كثراً؛ سنعرف عندما توصلنا المغناطيسية إلى المهمة".

سألتها: "أم أننا ذاهبون إلى الواحة لقتل شخص ما؟".

أجابتني: "إمريش لن يتنازل عن العرش بسلام، إذا كان لديه حرس إمبراطوري، ربما سيتوجب علينا قتل الكثيرين لإنقاذ البعض. سنعرف عندما نعرف".

أردت إحساساً أوضح بمهمتنا، ولكنني ولدت في هذا العالم كلغز، والوضوح الذي أردته ما كان يجدر بي أن أطلبه. أخيراً قلت: "حسناً، أنا مع البرنامج".

كم بدا غريباً أن الالتزام الفاني بالعقل والقلب والروح يجب أن يكون في الوقت نفسه مُرضياً ومرعباً للغاية.

الأفلام لم تُحضرني إلى هذا الانقسام. في الواقع، بدأت أشك في أن الأفلام لم تُحضرني إلى أي شيء.

اقتربت بريجيت مني، وطوّقت خصري بذراعها. كانت حكيمة بما يكفي لتعرف أن لمستها أفضل من الكلمات، أخذ سباركي المخازن الاحتياطية من حقيبته لسلاحه وسلاح بريجيت.

قالت بريجيت لبانثيا: "هناك منحدر طويل يقود إلى الأسفل، ولا يوجد غطاء نباتي حتى نصل إلى القاع".

قالت بانثيا: "لن يرانا. إنه ينام في النهار، ويصحو في الليل".

لم يعجبني ما فهمت، فدراكولا كان ينام نهاراً، ويصحو ليلاً، أنا لا أقول إنني أؤمن بمصاصي الدماء، ولا أقول العكس.

بعد أحداث الأيام القليلة الماضية، كنت على استعداد لتصديق وجود كل شيء، من المستذئبين إلى العرّابات الخياليات.

سأل سباركي: "لكن ماذا عن الآخرين في الواحة؟".

أجابت بانثيا: "لا أعلم. لكنهم جميعاً يعيشون وفقاً لإيقاعاته، فينامون عندما ينام. أعتقد... بطريقة ما، أنه ليس لديهم خيارٌ آخر".

سأل سباركي: "وماذا عن الحراس؟".

أجابت بانثيا: "حدسي يقول إنهم لا يجدون ضرورة لوجود حراس، فهم يعتقدون أنهم في أمان خلف أبوابهم الحديدية والأقفال الإلكترونية".

سألتها: "أليس ذلك صحيحاً؟".

قالت بانثيا: "لا"، وشرعت تتقدم صوب حافة الحفرة والواحة.

في الأيام الخوالي

الصبي البريء، الأب الشرير، النمل، الأسماك، الطيور.

في ذلك الصباح، هطل المطر بغزارة وثبات على فينكس. في جناح دار الأيتام المخصص للتعليم، في فصل دراسي حيث كان من المتوقع أن أتعلم قواعد اللغة الإنكليزية، عندما كانت المعلمة تشرح، شعرت أنني في عالم موازٍ وحيداً مع أفكاري، وشعرت أن صوتها قادم من عالم آخر. بدا المطر رمادياً وغير نقيٍّ مثل السماء التي هطل منها. خلف النوافذ، أصبحت ساحة اللعب عالماً بائساً حيث تحولت والأراجيح وغيرها من وسائل التسلية البسيطة إلى أشكال هندسية قاتمة وكأنها أجهزة مصمّمة للحجز والتعذيب.

لم يسبق لمزاجي أن كان كئيباً كما كان في الصباح الذي فاضت فيه الشوارع بالأمطار، ولا جيداً كالأيام التي سبقت مقتل ليتون أورموند. في الواقع، كنت أتناوب بين ملذات الترقب والقلق الذي نشأ عن فهم أفضل للعالم والتكيف معه. تحسن اكتئابي نوعاً ما إلى الحدّ الذي جعلني أنهض من السرير، وأتناول الفطور بشهية افتقدتها مؤخراً. لقد شققت طريقي إلى الفصل كصبيٍّ يبلغ من العمر أحد عشر عاماً بلا شعورٍ بالتراخي والكسل، بل بإحساسٍ جديدٍ بأن شيئاً ما يستحق التطلع إليه في اليوم التالي.

لم أذهب إلى الكافيتيريا عند الظهيرة، ولكنني ذهبت إلى مكتب الأخت تيريزا. كان بابها مفتوحاً، وكانت تجلس خلف مكتبها. مع أنها

لم تنظر نحوي، لكن من المؤكد أنها رأتني من زاويتي عينيها لأنها قالت: "تعالَ يا كوين".

بدا رداؤها أكثر بياضاً من المعتاد في هذا اليوم الرمادي، ودعتني للجلوس على الكرسي المخصّص للزوار المقابل لها قائلةً: "أتيت في الوقت المناسب لتناول طعام الغداء".

كان على مكتبها طبقان مع أدوات المائدة، ومنديلان، وكوبان من الحليب البارد. يتكون الغداء من ملعقة كبيرة من سلطة الدجاج على طبقة من الخس، وشرائح الطماطم، وبيضتين مسلوقتين.

قلتُ لها بينما كنت جالساً أمام طبقي على وسادة رفعتني إلى مستوى المكتب: "سيكون درسنا التالي عن السمك عند الساعة الثالثة. كيف عرفتِ أنني سآتي مبكراً؟".

قالت لي: "لقد نهضتَ من السرير من دون أن تشعر بالضيق والضغط. لقد أكلت فطوراً شهياً بشكل مطمئن. لم تذهب إلى الصف كالزومبي. كما تعلم لديّ جواسيس، وعلى الرغم من الشائعات التي تشير إلى عكس ذلك، يمكنني تحليل وفهم ما يحصل".

أكلنا بصمت لبضع دقائق، ثم قلت: "إذا كنت نملة أو طائراً أو سمكة في دار للأيتام، كنت أتوقع أن أبقى هناك إلى الأبد. لن أعرف أن الأشياء لا تبقى على حالها".

قالت: "إذا كانت هناك ملاجئ للنمل والطيور والأسماك، وإذا كنت منها، فإن ما قلتَه للتو سيكون صحيحاً؛ ستفتقر إلى الخيال لتَصوُّر ظروفٍ جديدة".

قلت: "نعم، ولكن الأمر أكبر من ذلك. لم أستطع تخيُّل مكان أو حياة مختلفة، ولم أستطع فعل أي شيء لتغيير ذلك".

قالت: "إنك تتحدث بفطرة سليمة يا كوين، خاصة بالنسبة إلى شخص وضعته معلمته في مواجهة النمل والطيور والأسماك. كيف وجدت سلطة الدجاج؟".

أجبتها: "جيدة جداً".

قالت: "هناك حلوى خاصة، لكنني لا أقصد المقاطعة. أظن أنك، كطالب عنيد تائب، لديك المزيد لتخبره لمعلمتك".

قلت: "إذا كنا كالنمل أو أي حشرة أو حيوان آخر، فسنكون نوعاً ما كالآلات، مبرمجين للقيام بما نفعله وليس أي شيء آخر".

سألتني: "وكيف سيكون ذلك في رأيك؟".

أجبتها: "بالتأكيد لن يكون الأمر ممتعاً".

سألتني: "لماذا؟".

توقفت لأكل بيضة مسلوقة؛ لم أضعها كاملةً في فمي كما كنت سأفعل لو كنت بمفردي أو مع أطفال آخرين، ولم أفكر أبداً للحظة في مضغها في فمي ثم صفع وجنتيّ المنتفختين، ونثر البيض في شتى أرجاء المكتب، والذي قد يكون مضحكاً بوجود الحشد المناسب. قطّعت البيضة إلى أربع قطع، واستخدمت شوكة لالتقاطها، وابتلعتها بهدوء، ثم قلت: "قد يكون الأمر ممتعاً إذا كانت لدينا عقول صغيرة كالطيور والأسماك. ربما تكون الإجراءات

الروتينية ممتعة بالنسبة إليها، لكن أدمغتنا أكبر من أن نفعل الشيء نفسه كل يوم، وبالطريقة نفسها، طوال الوقت، وإلا سنجنّ".

مسحت فمها بمنديل، ففعلث مثلها، ثم سألت: "ما الهدف من جعل البشر ذوي أدمغة كبيرة ثم جعلهم يفعلون الشيء نفسه مثل سائر الكائنات؟".

قلت: "نعم، لن يكون ذلك منطقياً. هذا ما أعنيه".

ابتسمت وقالت: "نحن بحاجة إلى أن تكون لدينا القدرة - والحق - لاتخاذ قراراتنا بأنفسنا، على الرغم من أننا نرتكب أخطاء. نتعلم من أخطائنا، أو ينبغي علينا ذلك. يتعلم العلماء من أخطائهم، وهكذا يتقدم العلم؛ المحاولة والخطأ؛ فمن دون خطأ، لن يكون هناك تقدم". أكلنا بصمت لبضع دقائق، ثم قالت: "الآن نصل إلى الجزء الصعب، هاه؟".

وافقتها قائلاً: "تماماً".

سألتني: "برأيك ما هو الجزء الصعب؟".

أجبتها بعد أن انهيت سلطة الدجاج: "إذا استطعنا اتخاذ القرارات، فسيمكننا اتخاذ إما قرارات جيدة، أو سيئة للغاية".

قالت: "هذا ما يُطلق عليه الإرادة الحرة. يمكننا أن نكون لطفاءَ مع بعضنا ونحب بعضنا، أو يمكننا أن نكون قُساة وأشراراً".

لم أرغب في البكاء، ولم أعتقد أنني سأفعل، لكن بعد ذلك فكرت في الشر الذي ارتكبه والد ليتون، فانهمرت الدموع من عينيّ. كان

بُكاءً هادئاً، لكنني لم أستطع التوقف.

ثم قلت: "حسناً هذه هي الصفقة، على ما أعتقد، أليس كذلك؟".

قالت: "إنها صفقة شاملة. الإرادة الحرة، والحرية نفسها، تتطلبان الشر. الأشخاص الذين نضجوا بحق، ليس فقط في العمر ولكن أيضاً في عقولهم وقلوبهم، يفهمون أن الحرية لا يمكن أن توجد من دون حرية الاختيار بين الصواب والخطأ، ولكي نكون أحراراً، علينا معرفة الشر ثم مقاومته".

لم تكن المقاومة كافية بالنسبة إليّ، فقلث لها: "ربما في يوم من الأيام سيظهر فضائيون من كوكب آخر متقدمين علينا بمئات السنين، وقد اكتشفوا كيفية القيام بكل شيء بشكل صحيح، وكيفية منع الناس من ارتكاب الأخطاء، ثم يمكنهم أن يعلمونا".

قالت: "من الأفضل ألا يحضروا يا كوين. تلك الطبقة الحاكمة الصغيرة، المتأكدة من تفوقها الأخلاقي، كانت لتقضي على الإرادة الحرة، وتسحق أولئك الذين يقاومون. لن يكون لديهم الصبر ليعلمونا، بل سيكتفون بتدميرنا"، ثم ابتسمت ابتسامة عريضة وقالت: "حَلوَى؟".

لقد اشترت الإكلير الايطالي من مخبز بيليني الواقع في الجهة المقابلة للدار.

أي شخص سبق له أن أكل واحدة منها، فسيعرف أن هذه المكافآت الرائعة يمكن أن تأتي من أي مكان آخر.

نظرت لبرهة إلى الطبق الذي وضعَته أمامي من دون أن أرفع الشوكة.

سألتني بعد أن عادت إلى كرسيها: "هل من خطب؟".

نظرت إلى عينيها وأجبتها: "حدث ذلك هناك".

قالت: "حيث أطلق والد ليتون النار عليه، وحيث أطلق مايكل بيليني النار على الأب".

قلت: "نعم، هناك".

التقطت الشوكة وقالت: "لقد عمل آل بيليني في هذا المجال لمدة واحد وستين عاماً يا كوين. لقد اسعدوا كثيراً من الناس، حيث عملت ثلاثة أجيال من الأسرة هناك. هل نهدم المكان بسبب ما حدث في يوم واحد من اثنين وعشرين ألف يوم؟ هل يجب على عائلة بيليني التوقف عن العمل في مجال تجارة المواد الغذائية والبدء من جديد في مجال عملٍ آخر؟".

قلت: "لا، ولكن...".

قطعَت قطعة من الإكلير، لكنها لم تضعها في فمها، وقالت: "أتعرف من كان الأكثر جرحاً وحزناً بشأن ما حدث في ذلك اليوم الرهيب؟ أنا لا أتحدث عنك يا عزيزي كوين، مع أنني أعرف مقدار الحب الذي تكنه لليتون. تعرضت عائلة بيليني للدمار، وخاصة مايكل الذي شاهد إطلاق النار على ليتون، والذي أُجبر على الضغط على الزناد لإنقاذ الأخت مارغريت من كوربيت أورموند. كان عليهم تنظيف

التداعيات، ولم يتمكنوا من الزحف إلى السرير والاستسلام للاكتئاب. كان عليهم العودة إلى العمل في اليوم التالي وكل يوم بعده. فهم لم يشعروا بنفس الشعور الحميم تجاه متجرهم لفترة طويلة، وربما لم يشعروا بالحميمية مجدداً تجاهه. هل تفهمني؟".

قلت: "ربما. أظن ذلك".

قالت: "رغب زبائن طائشون في التحدث إليهم حول هذا الأمر لأسابيع وشهور، كما لو أن هذا الحدث الفظيع هو كل ما يهمّ في واحد وستين عاماً من خدمة الزبائن. إن أفراد عائلة بيليني أناس طيبون، لذا لن ينسوا ما قد رأوه، ولأن ذلك لم يكن خطأهم، فلا يوجد شيء على الإطلاق يمكنهم القيام به للتعويض، كل ما يمكنهم فعله هو الاستمرار في إنتاج أفضل المخبوزات وبيعها، على أمل أن تختفي الصور الرهيبة والذكريات البشعة يوماً ما. لا يفترض بنا حملهم على إغلاق متجرهم، ولا يجب أن نهدمه، ولكن بدلاً من ذلك يجب أن نقدّم لهم كل الدعم، وأن نصلّي لهم صلاة صغيرة كل يوم".

أخيراً، وضعت أول قطعة من الطعام في فمها، ومضغتها بسرور.

ثم أخذت قطعة ثانية في الوقت الذي أكلت فيه القطعة الأولى، وسألتني إن كانت جيدة، فأجبتها إنها لذيذة. أدركت أن وجهينا كانا مبللين بالدموع، لكننا لم نتوقف عن الابتسام، وظللنا نأكل حتى لم يعد هناك أي قطعة، لأنها كانت جيدة، كانت جيدة جداً؛ كانت حياة.

القسم الخامس

الطريقة الصحيحة والطريقة الخاطئة

| 30 |

علم أولئك الذين نجوا من الواحة لاحقاً، أن بودي إمريش كُلِّف بإجراء مسوحات جيولوجية مكثفة، غالباً عبر الأقمار الصناعية، في ثلاث ولايات – نيفادا، وأريزونا، ونيو مكسيكو - بحثاً عن موقع بعيد توجد فيه طبقة مياه جوفية مناسبة لأهدافه.

تقع آجو على بعد مئة وأربعين ميلاً إلى الشرق من نهر كولورادو العظيم، وأربعين ميلاً أو نحو ذلك جنوباً من نهر جيلا الأقل إثارة للإعجاب، وعلى بعد أكثر من مئة ميل غرباً من نهر سانتا كروز، أي أنها بعيدةٌ عن أي مصادر مياه ظاهرة. تقع بلدة سيلز، على بعد ستين ميلاً من آجو، وهي تحوي على مياه وفيرة، وكذلك الحال بالنسبة إلى المدن الأصغر في الجنوب الغربي من مقاطعة بيما الغنية بمياه الأمطار والآبار العميقة. كانت الجيولوجيا الكامنة وراء انعزال إمريش فريدة وغريبة بالنسبة إلى المنطقة، كما لو أن القوى المعادية للبشرية قد عملت بجد داخل الأرض - قبل مئات الآلاف من السنين وحتى قبل وجودنا - لإعداد مثل هذا الموقع، كي يتمكن رجل بعد آلاف السنوات بموارده اللامتناهية، من بناء معبد متقن لنفسه وتنصيب نفسه إلهاً مثالياً للشر.

نزلنا من الحافة إلى الأرضية معتمدين على قناعة بانثيا تشينغ أنهم لن يستيقظوا قبل فترة بعد الظهر، وعبرنا حقلاً من الحجر المُحطم الذي تآكل مع الوقت وأصبح حصى أملس.

غطت الحدائق تقريباً مئتي فدان. كان هناك ممرات واسعة

مرصوفة بالحجر الجيري بين المئات من أشجار النخيل المختلفة، وأشجار الصفصاف الذهبي، وأشجار المناديل، والغلاديشية ثلاثية الأشواك، والميتروسيدروس وأشجار المظلة الأسترالية وغيرها من الأشجار التي لم أتمكن من تسميتها؛ ربما تمّ الاعتناء بها ذات يوم بجدّ، ولكنها الآن تبدو مُهملة ومتضررة، ناهيك عن الشجيرات المنتشرة من دون عناية، والأزهار الذابلة في بعض الأماكن.

كان رجل الأغصان العملاق وسط دائرة عشبية من عدة أفدنة لم يتم جزّها منذ فترة طويلة. لم يكن الشكل مصنوعاً من الأغصان وإنما من الخشب القوي كي يبدو وكأنه مثل غاليفر الشرير العازم على سحق أكبر عدد ممكن من مدن ليليبوت.

كان الديناصور ريكس، الذي يفوق حجمه الطبيعي بمرتين، مصنوعاً من الصفائح الفولاذية اللامعة، وهددنا بأسنان كبيرة كالسيوف التي عكست أشعة الشمس الشديدة على أعيننا. كان معبد الأزتك المُتدرج – الذي تكلمت عنه بالتفصيل وسائل الإعلام الإخبارية في النهاية - مصنوعاً من كتل حجرية ومحفوراً في وسط المكسيك ومزيناً برسوم ورموز بلغة الناواتل.

لم ندخل المعبد، ومع ذلك، وجد علماء الطب الشرعي الذين كلفوا في وقت لاحق بالقضية، أن صخور المذبح كانت مُشبعةً بدم البشر. لقد عرف من خلال يوميات بودي إمريش، أنه لم يبنِ المعبد لغاية دينية؛ لقد بناه لأنه رأى صورة لمثل هذا المكان واعتقد أنه يبدو رائعاً. بعد سنوات، وبعد ما يكفي من الأدوية المخدرة وسواها من المخدرات، وبعد أن رفعت عبادة الذات وعيه، وبدأ يطلق على نفسه

اسم النور، أدرك أنه حتى بين إخوته وأخواته المستنيرين روحياً الذين عاشوا معه، كان هناك بين الحين والآخر شخص يبيع روحه إلى الجانب المظلم من الطبيعة الأم، إلى النصف المُعذب من تلك الإلهة ثنائية القطب التي تكافح ضد مخلوقاتها. من الواضح أن هذه الناحية المظلمة من الطبيعة الأم، والتي أسماها ملكة الباطل، عاشت داخل الأشياء الميتة، وكذلك في الحجر وكل ما هو غير حيّ، وكان يتوجب عليه هزيمتها لكي ينجو الكوكب. كما قد تتخيل، عندما يُشتبَه في أن أتباع النور باعوا أرواحهم لملكة الباطل، يعتبرون تهديداً للعالم، فينقلون إلى مذبح الأزتك قبل أن يؤثروا بإيمانهم المظلم على المستنيرين. أشارت مذكرات إمريش إلى تسع حالات من التكفير الوجودي، كما لو أنه كان يفهم ما تعنيه هاتان الكلمتان.

كان يفترض بالواحة أن تكون ملعباً للبالغين، ومعرضاً في الهواء الطلق للفنانين الطليعيّين الذين يعملون في وسائط واستراتيجيات غير تقليدية، ومكاناً لإثارة الخيال في كل منعطف، وكما قال إمريش: "توسيع وإثراء عقولنا الضيقة بالفن الثوري الجديد". حتى عندما كنت شاباً في التاسعة عشرة من عمري، كنت أعرف أن الخلط بين الحداثة والفن وصفة مضمونة لإنتاج الفن السيئ، والذي كان بالفعل موجوداً في كل مكان في الواحة. أولئك الذين يبدعون احتجاجاً على تاريخ الفن لا يستندون إلى الخبرة وإنما إلى ذرائعهم الغادرة. لقد مال الفن في الواحة إلى أن يكون هائلاً، ليس لأن الموضوعات كانت تتطلب ذلك، بل لأن غرور الفنانين تطلّب أعمالاً ذات جسامة مادية. كانت هناك شفرة حلاقة جيليت بأبعاد 60*25 قدماً،

معروضة على كتلة من اللوسيت، لذلك بدا أنها تطفو في الهواء، وهناك منحوتة معدنية ربما يبلغ قطرها 50 قدماً وبالارتفاع نفسه تقريباً، لدرجة أنني لم أستطع تحديد ما إذا كان من المفترض أن يكون قولوناً مليئاً بالسرطان أو فروة رأس ميدوسا حيث كانت الثعابين تحاول في الوقت نفسه التزاوج مع بعضها والتهام بعضها. كان هناك مُقلة كبيرة متموضعة بين أسنان فمٍ راقد داخل أذن عملاقة؛ تم نقش الكلمات التالية على القاعدة الغرانيتية الداعمة لهذا العمل البشع: أسمع ما تقوله، وأرى أنه عديم المعنى.

تذمر وينستون بينما كنا نتقدم عبر أرض العجائب الخبيثة لإمريش بحثاً عن باب أمامي، ورفع قائمته ليتبول على قاعدة مُقلة الأذن. على الرغم من افتقاره إلى اللغة، إلا أنه كان ناقداً مدركاً قادراً على التعبير عن حكمه.

أما بالنسبة إلى بقيتنا، كانت مجموعة الأعمال الفنية الموجودة في هذا المعرض تزيد من ارتباكنا وانزعاجنا لسببين: في البداية، وجدنا أن الأعمال العبثية أكثر تضليلاً، وأن قدرتنا على التسلية تتلاشى كلما تقدمنا، كما بدا أن العديد من الفنانين احتفلوا بالفوضى والموت. ذكرني رجل الأغصان بفيلم قديم ضحّى فيه قرويون وثنيون في إنكلترا الحديثة بشابة عن طريق حبسها في تجويفٍ لمثل هذا المعبد العملاق ثم أشعلوا النار فيه. ما الغرض من شفرة الحلاقة اللامعة التي يبلغ طولها 60 قدماً إن لم تكن تكريماً لأداة شائعة للانتحار؟ بعد بستان من المتروسدرس، اكتشفنا منحوتة يبلغ ارتفاعها 30 قدماً لفأر كرتوني حادّ الوجه. بالتأكيد، لم يكن ميكي الشهير من

والت ديزني، على الرغم من أنه كان يرتدي الملابس ذاتها، وينتعل حذاء أصفر ويرتدي سروالاً أحمر قصيراً. كانت ابتسامة الفأر حاقدة وأسنانه المكشوفة حادة، وعيناه الكريستاليتان الحمراوان لامعتين، وكان يحمل في يده اليمنى رضيعاً بشرياً عارياً ومقطوع الرأس؛ كان من الواضح أنه يتغذى عليه.

وكان السبب الثاني الذي يثير الانزعاج هو التفكير في تكلفة بناء الواحة، وهو مبلغ من المؤكد أنه يفوق المليار دولار، وأنا قدرته بأكثر من مليارين، وربما ثلاثة، اعتماداً على ما سنكتشفه. قد يكون الرجل الذي ينفق بسخاء على ملاذ خياليّ عبقرياً في مجال الأعمال، ولكن حتى قبل أن يبتعد في هذا الملاذ بعيداً عن الحياة الطبيعية، لا بد أنه كان يغوص في أعماق الجنون الضحلة.

أخيراً، أرشدتنا المغناطيسية الروحانية إلى الباب الأمامي الذي كنا نبحث عنه. بحلول هذا الوقت، أدركنا أن معظم المساكن يجب أن تكون تحت الأرض، وهي مخبأ واسع معزول ضد حرارة سونوران. كان الباب يقع أعلى منحدرٍ عريضٍ يؤدي إلى صحن طائرٍ مصنوعٍ من الإسمنت ومغطى بألمنيوم رمادي فاتح، يستخدم كقاعة استقبال. يبلغ ارتفاعه ثلاثين قدماً، وقطره ثمانين أو تسعين قدماً تقريباً، ويتناقص إلى عشرة أو اثنتي عشرة قدماً عند المحيط.

في وقت لاحق، علمنا أن إمريش استخدم شركة إنشاءات متخصصة في بناء منشآتٍ عسكريةٍ سريةٍ للغاية، وأن كل من عمل في الواحة كان عليه توقيع اتفاقية عدم إفشاء صارمة وحادة، لدرجة أن أولئك الذين قد ينتهكونها ستفرض عليهم غرامات

هائلة. لم ينتهك أحد اتفاقية عدم الإفشاء، ربما ليس فقط خوفاً من الإفلاس، بل لأنهم اشتبهوا أن شخصاً فكر بمثل هذا المشروع سيكون قادراً على انتقامٍ يتجاوز المحاكم، وإنما يمكنه وضعهم على كرسي متحرّك مدى الحياة، وتشويه زوجاتهم، والعبث مع أطفالهم حتى يحتاجوا إلى رعاية نفسية مدى الحياة.

إن أكثر ما أثار القلق هو التفكير في أن بعض العمال والتجار والحرفيين الذين عملوا في الواحة، استمتعوا بتخيل الأنشطة المتحررة التي قد يكرسها هذا المكان عند الانتهاء منه، وحسدوا من فيها على إعفائهم من الأخلاق وحتى من القانون الذي قد يشتريه إمريش بثروته.

لم يصمم المدخل الهائل للصحن الطائر كالمركبة الفضائية الأنيقة في أفلام الخمسينيات ولا كفيلم لقاءات قريبة من النوع الثالث، بل كان أكثر انسجاماً مع العمارة القوطية في فيلم فضائي، بدا أن إمريش يريد أن يلهم ضيوفه بالتعجب عند وصولهم، ولكنه أيضاً يريد غرس شعورٍ بالرهبة والخوف المبهم الذي من شأنه أن يبقيهم في حالة اختلال توازن طفيف طوال مدة زيارتهم، سواءَ أكانوا يقيمون ليوم أو أسبوع أو إلى الأبد.

وتّرني هدوء الواحة المخيف، حيث لم يتحرك شيء سوى أوراق الأشجار بواسطة نسيم خافت، وطيور السنونو والفيبي وهوازج العالم الجديد التي حلّقت من مأوى إلى مأوى بلا تغريد. لم أصدق تماماً تأكيد بانثيا أن الجميع ينامون نهاراً ويستيقظون ليلاً، لأن ذلك بدا لي غير عمليّ، ونظاماً صارماً لا يمكن فرضه على مجتمع بأكمله،

حتى لو كان مجتمعاً من المؤمنين الحقيقيين الذين سلموا حريتهم لشخصٍ أطلق على نفسه اسم النور. لم يتصدَّ لنا أحد عندما صعدنا المنحدر الواسع إلى مدخل الصحن الطائر. بدت الواحة وكأنها خالية من أي حياة بشرية أخرى، وكأنها فوهة بركان على سطح القمر.

كان المنحدر مغطى بالألمنيوم، كما لو أنه جزء من المركبة التي تم خفضها هيدروليكياً، وكان الباب المعدني الداكن للصحن منقوشاً بأحرف قديمة عجزنا عن تفسيرها، ولم يحوِ المدخل على أي مقبض أو ثقب لمفتاح.

تساءلت: "ربما يبدو هذا وكأنه فخ؟".

قالت بريجيت: "إحساسي هو... أن إمريش لا يشعر بالحاجة إلى الفِخاخ. لقد عاش وفقاً لقواعده الخاصة لفترة طويلة، ولم يمسّه أحد، ولا يمكن المساس به من قبل أي سلطة، ولم يسمع أبداً كلمة لا من أي شخص، لدرجة أنه يشعر بأنه مُحصن".

شخّصت بانثيا حالته قائلةً: "جنون العظمة، قد يكون اضطرابه العقلي بسبب الأدوية المخدرة، لكنه مع ذلك مُضطرب. إنه ليس مجرد رجل طائفة محتال أقنع مجموعة من الأتباع ضعاف التفكير بأن لديه اتصالاً مباشراً مع الله، إنه يعتقد إلى حدّ كبير أنه إلهٌ، إلهٌ من نوعٍ ما، خالدٌ أو مقدّرٌ له أن يكون خالداً، تطور حلمه إلى خيال مسموم، وأصبح الخيال حقيقته. إنه مفتون بكل أكاذيب حياته".

قال سباركي بإيجاز: "إنه رجل غريب الأطوار".

اشتمّ وينستون الطريق المنحدر خارج الباب الذي يحمل علامات

الرون، وأصدر صوتاً خافتاً من حنجرته.

قالت بانثيا: "لسنا بحاجة إلى مفتاح، نحن ما نحن عليه. نحن بحاجة إلى الإيمان بما يحدث"، وضعت كفها على الباب، وأغمضت عينيها، وجعدت جبينها، وارتعشت فتحتا أنفها.

كما لو أنني كنت أطوّر مهارة تنبؤ خاصة بي، بدا أن جلد فروة رأسي تلتصق بعظامي، وعلى الرغم من حرارة الصحراء، إلا أنني شعرت بالبرد ينتشر ببطء عبر عمودي الفقري.

ثم انفتح الباب، وظهرت خلفه مملكة الضوء الذهبي.

| 31 |

كان مرأباً للسيارات، مجرد مرأب لتصليح السيارات، ولكنّه ضخمٌ ويحتوي على سيارات بملايين الدولارات معروضة وكأنها مجوهرات على صينية مخملية في متجر تيفاني.

قصد إمريش استخدامه كقاعة استقبال - ردهة - للتأكد بلا شك من أن الزائرين سيشعرون بالضيق بسبب عظمة ثروته، ولتذكيرهم بضآلة إنجازاتهم، وبالتالي لتسهيل خضوعهم. كان رجلاً يعرف قيمة القوة وكيفية استخدامها للسيطرة على الآخرين.

كان عرض الممر الخارجي وحجم الباب، دليلان على الغرض الزائف من الصحن الطائر، ومع ذلك، فقد انغمسنا في الغرابة الجنونية إن لم يكن الرعب، لدرجة أننا لم نتمكن من قراءة هذين الدّليلَين.

عُرضت السيارات حول محيط تلك الغرفة الدائرية التي تبلغ مساحتها ستة أو سبعة آلاف قدم مربعة. وكان هناك مصابيح إسقاط مخصّصة لكل سيارة على حدة، معلقة في السقف، ومصممة لتنير السيارة، بحيث تبدو أنها تطفو في بركة من الظل.

وجدنا سيارات بويك وكاديلاك وفورد من الثلاثينيات والأربعينيات، بالإضافة إلى بنتلي ورولز رويس من الفترة نفسها، والسيارات الرياضية المعاصرة؛ لامبورغيني، فيراري، وبورش؛ إضافة إلى سيارتين من طراز ماكلارين سبيدتيل، بقوة تزيد عن ألف حصان، وسرعة قصوى تبلغ 250 ميلاً في الساعة، وبسعر يفوق المليوني دولار بكثير.

بعد أن ألقينا نظرات خاطفة على التصميمات الداخلية، لاحظنا وجود المفاتيح داخل السيارات القديمة، أما المفاتيح الإلكترونية للسيارات الجديدة فكانت في حاملات الأكواب.

لا يبدو أن أحداً يخشى دخول اللصوص أو الهروب بنجاح.

يشير وجود أسطول مكوّن من أربع سيارات مرسيدس سبرينتر كروزر، كلّ منها يحوي ثمانية أو عشرة مقاعد، إلى خروج أتباع النور في مجموعات للتنزه في وقتٍ ما، بالتأكيد لغرضٍ أهم من تناول البيتزا أو لعب البولينغ. كان من الصعب تخيل الغرض من مثل هذه النزهة، ربما بخلاف اختطاف المرشحين الجذابين لغسل أدمغتهم وتجنيدهم في صفوف الطائفة المتضائلة، لسبب لا يمكننا تصوره. ظننا أن إمريش وأتباعه استوطنوا في السنوات الأخيرة في الداخل حتى أصيبوا برهاب الأماكن المكشوفة. لقد قدّم لهم العالم الآن كل ما يحتاجون إليه؛ لذلك، يمكن أن يرفضوه بتعجرف ظناً منهم أنهم متفوقون على الجماهير غير المستنيرة.

كان المرأب يوحي بجو مقبرة تحت ضوء القمر، على الرغم من وميض وبريق مجموعة السيارات الفاخرة. عاد خوفي القديم من أماكن وقوف السيارات الكبيرة. تساءلت عما إذا كان الكيان الشرير يراقبنا من داخل المركبات أو تحتها. ربما كان السبب في ذلك هو العمارة الفنية القوطية للغرفة: الجدران المضلعة المثيرة للفضول، كما لو كان المعدن عضوياً؛ السقف المقبب والدعامات الضخمة التي تشبه فقرات العمود الفقري للوياثان الأرض القديمة.

كانت عربة بويك سوبر وودي واغن 1947، مركونةً على منصة مرتفعة عن الأرضية بارتفاع قدم تقريباً. على الرغم من أنها كانت سيارة رائعة، إلا أنها لم تكن أجمل ولا أثمن وسيلة نقل في المبنى. جذَبَنا إليها السرُّ الكامن وراء منحها مكانة الشرف.

حدقنا إليها محتارين، ثم جثا سباركي فجأة على ركبتيه، ونظر تحتها، وقال: "السيارة ثابتة على المنصة، والمنصة ليست جزءاً من الأرضية، ربما يفصل بينهما إنش. ما ننظر إليه هنا قد يكون مصعداً، والسيارة هي الكابينة. تعمل المكونات الهيدروليكية على خفض ورفع المنصة والسيارة".

بدت هذه الحيلة متناغمة مع الطبيعة المرحة التي بدأ بها بودي إمريش الواحة، قبل وقت طويل من تسمية نفسه بالنور ويؤمن بأنه إله. اصعدوا إلى وودي أيها الرفاق، وسنقوم بجولة في الطابق السفلي. كان يتّبع الحيل الكلاسيكية كتصاميم ديزني قبل ظهور الفن الغريب لاحقاً.

بقدر ما كان من الرائع ركوب بويك سوبر وودي إلى العوالم الدنيا من مملكة إمريش، لم يرغب أي منا بالمخاطرة. من المحتمل أن تُقفل الأبواب بمجرد دخولنا إليها، وربما عندما نصل إلى المستوى أدناه، لن تفتح حتى يقوم شخص ما بفحص الركاب، وبصفتنا متسللين مسلحين، لن يوافق علينا. ومع التسارع المفاجئ، قد نُسقَط بعد ذلك بطابقين، أو أربعة، أو ستة طوابق، في زنزانة، أو في غرفة إعدام حيث تنفتح أبواب السيارة بعد ذلك، ونُقذَف داخل فم إحدى الأفاعي السامة، ما بدا في البداية ككوميديا فيلم فلابر، وانتهى

بمشهد من فيلم إنديانا جونز ومعبد الهلاك.

ألهمنا مقياس بروبدينغناغين - أرض خيالية يحتلها العمالقة - وعظمة الواحة المخيفة، بالعواقب الكارثية المتوقع حدوثها بعد أي عمل ميلودرامي، لذلك ربما كنت سأكتب عنها إذا عدت إلى مجلة أريزونا!

كانت فكرة المصعد وودي غير عملية، من المرجح أنه صمّمه من أجل متعته الشخصية، وترفيه الزوار المهمين. أشارت الحاجة إلى مصعد أكبر - وتقليدي - إلى أن تكون الأبواب مدمجة في الجدران المضلّعة. هذا لن يكون أكثر أماناً من وودي.

اقترحت بريجيت أن نستخدم الدرج، فبحثنا عنه مفترضين أنه سيكون موجوداً في مكان ما على طول الجدار الطويل المغطّى بظل الغرفة المستديرة. بسرعة تقدَّمَنا وينستون إلى عمود غائر في الحائط ومزود بدرج حلزوني مصنوع من الفولاذ المقاوم للصدأ. ترددنا في النزول حتى كرّرت بريجيت ما قالته بانثيا سابقاً: "نحن ما نحن عليه، علينا أن نؤمن بذلك". كدعوة للحرب، لم تكن جريئة كالعبارة التي قالها فريدريك العظيم إلى جنوده في كولين - "تعالوا أيها الأوغاد، هل تريدون العيش إلى الأبد؟" - لكنّها جعلتنا نتحرك بالطريقة نفسها.

الدرج هو أحد أخطر الأماكن التي يمكن أن تجد نفسك فيها، بخلاف وجودك بين السياسي الطموح والكاميرا. بمجرد أن تلتزم بالدرج، لا يمكنك الخروج بين الطوابق؛ ليس لديك مكان للاختباء

فيه، ويمكن أن تتعرض لإطلاق نار من الأسفل أو من الأعلى، أو من الأسفل والأعلى في الوقت نفسه. كان الدرج الواقع بين الطابقين الأول والثاني من الواحة مثيراً للقلق. يبدو أنه لاستكمال وهم الصحن الطائر المليء بالسيارات الفاخرة، توجّب أن يكون العمود الدائري الذي تستند عليه الدرجات، مبطناً بأنابيب نيون مبرمجة لإرسال نبضات ضوئية سريعة من أعلى إلى أسفل، ربما كانت إشارات - وفقاً لفيلم ستار تريك - تُنقل آنياً من المركبة إلى سطح كوكب غريب. كان تأثيرها مُربكاً، فشعرنا بالدوار والارتباك، بحلول الوقت الذي وصلنا فيه إلى القاع، وهربنا عبر باب في نهاية الممر، وشعرنا أننا أهداف سهلة لأي شخص ينتظر إطلاق النار علينا.

كان الممر الواسع مهجوراً، وهنا ظهر الفن الزخرفيّ. تتميز الأرضية المصنوعة من الحجر الجيري بتطعيمات من الغرانيت الأسود على امتداد جانبيها، وبألواح سوداء. كانت الجدران مكسوّة بالحجر الجيريّ، وكانت ألواح السقف المتدرجة من الغرانيت الأسود.

رسم فنان ذو موهبة كبيرة على طول القبو الأسطواني بالكامل رسومات لمجموعات من الكلاب الجريئة، وكلها من البورزوي النحيف والأنيق، بعضها أسود وبعضها الآخر أبيض، إضافة إلى رجال عراة في عربات سباق تجرّها خيول سوداء منمقة بالقدر نفسه.

كان الهواء بارداً بشكل لطيف ورائحته أشبه بالثوم والريحان والقرفة وتوابل لم أستطع التعرف إليها.

كان الصمت والسكون مشابهين لما هو على مستوى الأرض،

لكننا علمنا أنه لم يتم هجر هذه المنشأة. بالإضافة إلى رؤى بانثيا وبريجيت، شعرنا جميعاً بحضور غير مرئيّ، ربما ينتظرون ما وراء الباب المجاور. انتصبت أذنا وينستون وارتعش أنفه، كما لو أنه كلبٌ مهاجمٌ لعصابة مخدرات.

وصلنا نحن الأربعة إلى هذا الحدّ من دون أن نشهر أسلحتنا، وتركناها مخفية قدر استطاعتنا، لكن كلما تقدمنا، كلما شعرت بحاجة أكبر لامتلاك سلاح في يدي.

فتح سباركي أحد الأبواب المؤدية إلى غرفة شديدة الظلمة، ثم توهجت المصابيح الساطعة عندما تجاوزنا العتبة، فقد وُصّلَت بأجهزة الكشف عن الحركة. هناك مطبخ مُجهّز أشبه بمطبخ مطعم كبير أو فندق صغير؛ كل شيء بدا نظيفاً وعملياً.

بلا طهاة ولا خبازين ولا عمال تحضير.

شعرت بزفير أنفاس دافئة عند مؤخر رقبتي، فاستدرت، لكنني لم أرَ أحداً خلفي.

وجدنا غرف تخزين تحوي مجموعة متنوعة من المحتويات، ومخازن للطعام، وغرفة مليئة بمعدات التنظيف، وغرفة واسعة تحتوي على نظام للتدفئة والتبريد، ومصعدين واسعين.

شعرت بوخز في راحتي، فمسحت يدي بقميصي.

كان هذا الطابق أكبر من المرأب الواسع المخصص لمجموعة السيارات في الطابق الأرضي. يبدو أنه بحجم الطابق العلوي نفسه.

تقع الغرفتان الأكثر إثارة للاهتمام في نهاية الممر، الأولى إلى اليسار، وقد تميزت بالسرادق وبشباك تذاكر لمسرح منزليّ. كانت تحفة فنية مُصممة ببذخ على طراز الفن الزخرفيّ بطابع مصريّ، وكانت مقابض الأبواب عبارة عن كوبرا برونزية.

رحّب بنا تمثالان بالحجم الطبيعي لتوت عنخ آمون المغطى بورق الذهب عند دخولنا سينما الموت، إضافة إلى أعمدة حجرية منقوشة بالهيروغليفية، ولوحات جدارية لآلهة مصر القديمة من البرونز المصبوب والنقش البارز؛ باست، وحورس، وإيزيس، وأوزوريس، وأمين رع. كانت قاعة رائعة، فيها خمسة صفوف كل منها يحوي ثمانية مقاعد فخمة، تنحدر إلى مسرح محاط بتماثيل مغطاة بأوراق الذهب لأنوبيس؛ إله الموت والمسؤول عن وزن قلوب الموتى، بجسد بشريّ ورأس ابن آوى، وبعينين وأظافر مصنوعة من الجزع المصقول، وقد بلغ ارتفاع هذه التماثيل تسع أقدام. زُينت السجادة الحمراء الفخمة المرصّعة بالياقوت بعقارب ذهبية، وكان ذيلها الحاد مرفوعاً طوال الوقت.

عبّر أسلوبه المشرق وهوسه بالتفاصيل، عن المرح الذي بدأ به بناء معتزله، وكشف أيضاً - بعد هذه السنوات، وفي ضوء الأحداث اللاحقة - أن التصوّف المرضي، والانجذاب المُقلق للتعامل مع الموت، قد زُرعا في اللاوعي. في النهاية، ستمتد جذور هذه البذرة القاتلة عميقاً، وستنتج أوراقاً سامة.

بدأ الصمت المستمر والسكون يُتلفان أعصابنا عندما خرجنا بحذر من المسرح مُطفئين الأنوار خلفنا، لدرجة أننا ربما كنا سنرحب

بمواجهة مفاجئة مع أتباع النور المندفعين، أولئك الذين وصفهم إمريش بأطفال الروح.

تقع المساحة الأخيرة من هذا الطابق خلف الباب العادي الذي بدا في غير مكانه، مباشرة على الجانب الآخر من المسرح.

تحرّكت بريجيت بجرأة تجاهه، وفجأة شعرتُ أنني في حلم، بدا أن الأرضية والجدران والسقف المزينة تلتقي في زوايا خاطئة، وامتلأ رأسي بأصوات الأشباح الخافتة لدرجة أنني لم أستطع نطق كلماتها. سمعت أصوات فيلق خلف الباب، فهمست محذراً: "انتظري يا بريجيت"، قاصداً أن أتحمل عواقب كوني أول من يدخل تلك الغرفة. فرمقتني بنظرة تعني أنها لا تشك في فروسيّتي، ولكنها لن تتنحى كعذراءَ رزينة. ظل وينستون يشتمّ باهتمام كبير الفراغ بين الباب والعتبة والذي يبلغ نصف إنش.

أمسكت بريجيت مقبض الباب، بلا مبالاتها المعتادة تلك التي سمحت لها بإطعام المثلجات للنمر من دون خوف، والجري بسرعة إلى مصنع قنابل للإرهابيّين واثقةً من أنها ستخرج حيّة مرة أخرى. كان الباب مقفلاً، لكن عندما لمست بانثيا بريجيت، لم يعد مقفلاً، لقد تحرك المقبض.

أُضيئَت أضواء كهرمانية ناعمة في عدة نقاط من الغرفة المظلمة، كانت تضاهي سطوع شمعة متواضعة. أنذرت الأضواء بكآبة مقدسة غريبة، كما لو أن ألسنة اللهب الثابتة عبارة عن أرواح بلا جسد.

لم تدخل بريجيت سريعاً بل تنحّت جانباً، كانت تثق بحدسها، لكنها

وقفت بحيث سمحت للأضواء أن تنير.

وُضِعَت اثنتا عشرة جثة ترتدي ملابس بيضاء متماثلة، في ثلاثة صفوف، أربعة في كل صفّ كلّ منها على نعشه. بينما كنا جميعنا نتبع بريجيت بين الجثث، شممت رائحة كريهة ونفّاذة. في البداية، رفضتُ التكهّن بمصدرها، إذ بدا أن التكهّنات ستؤدي إلى القلس (8)حتماً.

بعد أن أمعنّا النظر، اكتشفنا شيئاً أسوأ من الجثث في المشرحة، وهذا سيكون أقل الفظائع التي ستكشف عنها الواحة قريباً.

| 32 |

لم تكن المستطيلات التي يرقد عليها الرجال السبعة والنساء الخمسة نعوشاً عادية، بل كانت مصنوعة من خشب مضغوط مطليّ بالميلامين الأبيض ليسهل تنظيفه. تعلوها مفارش هوائية من الفينيل بسماكة ثلاثة إنشات ووسائد من الفينيل أيضاً؛ كانت الألواح الاثني عشر بمثابة أسرّة. لم يُجرح النائمون في الأكفان؛ كانوا يرتدون أرديةً بيضاء متطابقة، واستلقوا على ظهورهم؛ نام تسعة من الاثني عشر وأذرعهم متقاطعة على صدورهم، وهو الوضع الذي يبدو جلياً أنهم ناموا وهم عليه؛ أما الثلاثة الآخرون، فقد كانت أذرعهم إلى جوانبهم، وراحاتهم مكشوفة كأذرع المتوسّلين.

بجانب كل سرير هناك أسطوانة أوكسيجين، وخرطومها متصل بجهاز آخر رمادي بمساحة قدم واحدة ويبلغ ارتفاعه قدمين.

كانت القراءات على هذه الأجهزة هي التي أنارت المصابيح الاثني عشر خافتة الإضاءة عندما فتحت بريجيت الباب للمرة الأولى. خرج الخرطوم من كل صندوق ووصل إلى النائم، ليغذي قنية أنفية(9).

لم يبدُ أيٌّ من هؤلاء الأشخاص الموجودين على الأسرّة مرضى، لذا اشتبهت في أن الجهاز الرمادي أدخل جرعة مُقاسة من المسكنات مع الأوكسيجين لضمان بقائهم فاقدين للوعي حتى يأتي شخص ما ويوقف هذه الأجهزة.

سمعت مرة أخرى أصواتاً شبحية، وصرخاتٍ لأناسٍ معذبين من أسفل الهاوية. لم أتمكن من تمييز الكلمات، لكنني شعرت بالكرب

في صرخاتهم. إذا كانت قابلية التخاطر الناشئة تقترب مني، فلا بد من أن ما سمعته كان نداءات لاواعية مكبوتة لهؤلاء النيام بتأثير التخدير.

كلُّ الراقدين الاثني عشر في المهجع كانوا ينحدرون من أصول آسيوية في الثلاثينيات والأربعينيات من العمر.

يبدو أن هناك حمّاماً كبيراً مشتركاً خلف الممر، قال سباركي بهدوء: "قام إمريش بالكثير من الأعمال مع آسيا قبل أن يأتي إلى هنا. ربما لا تزال شركاته تواصل عملها".

همست بريجيت، مع أنه بدا أن لا ضرورة للهمس: "لكنه بالتأكيد لن يجتذب الكثير من المتابعين من منتصف الطريق حول العالم. إنه لا يعلن عن الطائفة".

قالت بانثيا مؤكدة كلامها: "هؤلاء ليسوا أتباعاً، هؤلاء عمال مدربون ذوو مهارات خاصة. إنهم يحافظون على عمل آليات هذا القسم".

سألتها: "ولكن، لماذا هم نائمون بهذه الطريقة؟ من المستحيل أنهم يعانون جميعاً من الأرق".

أجابتني: "إنهم لا يعملون لقاء أجر، ربما كان هناك فريق عمل ماهر ذات يوم، عندما كانت الواحة مليئة بالمرح. ازدادت صعوبة التوظيف في الواحة، نظراً لأنها أصبحت مكاناً مظلماً وقاتماً عندما انحرف إمريش إلى الفساد وعندما زاره زملاؤه الأقوياء للقيام بتجارب ربما وجدها المشتهي الجنسي للأطفال سيئ السمعة جيفري إبستين

مغرية. والآن، يجب أن يكون الحصول على حرفيّين وفنيّين مهرة للعمل في مستنقع الجنون هذا مستحيلاً. هؤلاء الراقدون هنا هم عبيد، لا يمكن تركهم مستيقظين عندما يكون إمريش والآخرون نائمين، لأنهم قد يهربون، أو يقتلون أسيادهم. لذا يوضعون هنا ويشرف عليهم أطفال الروح أو أي شخص آخر".

اقتربَت بانثيا من أحد الأسرّة، وأشارت إلى طوق كلب حول رقبة كل النائمين، وتابعت: "جميعهم يضعون واحداً من هذه الأطواق. يبدو أنها شبكة نحاسية في الغالب، مع حجرة صغيرة تحتوي غالباً على بطارية، وجهاز استقبال يعمل بالموجات، وآلية عقاب. أعتقد أنها مربوطة بجهاز تحكم عن بعد، يمكن أن يُسبب لهم صدمة مؤلمة. انظر عن كثب إلى رقبة هذا الرجل. سترى ندبة".

لم يستطع سباركي استيعاب الخضوع لمثل هذا التعذيب، وقال: "لماذا لا ينزعون أطواقهم؟".

قالت بانثيا: "لا يستطيعون. صحيح أن لا قفل لها، لأنها مصممة خصيصاً لرقبة كل شخص على حدة، وهي تُعدّل على الدوام باستخدام أداة قطع الأسلاك"، لمست وجه النائم، وأغمضت عينيها، ووقفت لفترة وكأنها تقلب صفحات كتاب في ذاكرتها وتقرأها، ثم تابعت: "إذا حاولت قطع الطوق بنفسك، فسوف تُعاقَب بشدة. وإن نجحت في خلعه، فسيُقبَض عليك قبل أن تتمكن من الهروب، وستُعاقَب حتى الهلاك".

أدركتُ الآن مصدر الرائحة الكريهة والنفّاذة التي اعتقدت أنها

مرتبطة بوجود الجثث، إنها رائحة البول والبراز؛ لقد لوّث أربعة أو خمسة من النائمين، غير القادرين على النهوض إلى المرحاض في نوم النهار الطويل، أنفسهم وهم يرقدون الآن في أوساخهم، حيث سيبقون حتى يُوقَظوا ويُوجَّهوا لتنظيف أنفسهم.

اغرورقت عيناي بالدموع عندما فكرت بقسوة استعبادهم، والإذلال المنتظم الذي يتعرضون له. لقد مضى على المرة الأخيرة التي بكيت فيها سبع سنوات، منذ أن تناولت حلوى بيليني مع الأخت تيريزا في مكتبها.

إذا كان الواجب يقتضي قتل إمريش ومن دافع عنه، فهذا دليل كافٍ على أن القتل سيكون مبرّراً.

قالت بريجيت وهي تنظر حولها إلى العمال النائمين: "إنهم يُخدَّرون لساعات كل يوم، إنهم مُستعبَدون، ومُهدَّدون دائماً، ويعانون من ضغوط العيش في هذا الجحيم؛ إنهم يتعبون بسرعة، عقلياً وجسدياً. التخدير المنتظم خطير. لا بد من أن تكون هناك حاجة مستمرة لاستبدالهم".

قالت بانثيا: "أقام بودي إمريش أثناء جمعه لعشرات المليارات من الدولارات، صداقات مع كبار المسؤولين في الحكومات في جميع أنحاء العالم، وغالبيتهم من الكارهين للبشر والمعادين للديمقراطية مثله".

لم تكن بحاجة إلى قول المزيد. في أي دكتاتورية حيث يُنظَر إلى المواطنين على أنهم أكثر بقليل من متاع الدولة، سيكون

هناك قادة مسرورون لملء جيوبهم بالملايين من صديقهم بودي مقابل تزويده بالحرفيّين والفنيّين الذين يحتاج إليهم. يقومون بإحضارهم إلى البلاد على متن رحلات طيران دبلوماسية حيث لا تظهر أسماؤهم في العلن، ثم ينقلونهم إلى الواحة في مركبات تحمل اللوحات الدبلوماسية، ولا يخبرون بالمصير الذي ينتظرهم. ما الذي يهم؟ من هم على أي حال سوى وحوش القطيع المشترك، والعامة التعساء، والبرجوازيّين المجاهدين الذين يؤمنون بسذاجةٍ بتفاهات الأيديولوجية التي تدّعي أنها تقدرهم؟ أولئك الذين فوقهم في السلسلة السياسية، سواء أكانوا فاشيّين أو شيوعيّين أو كبار كهنة ثيوقراطيّين، يخدعونهم ويستخدمونهم بلا ندم، وكأنهم قد خدعوا دجاجة لأخذ بيضها، أو استخدموا مطرقة لتثبيت المسمار... بالنسبة إلى من يفتقرون إلى الضمير، لا يوجد شيء اسمه الندم.

أردت تحرير النائمين الاثني عشر، لكن لم يكن لدينا الوقت ولا الخبرة التي تتيح لي تحريرهم من أطواقهم بأمان، ولا وسيلة لإخراجهم من هنا من دون دقّ ناقوس الخطر. كان البديل هو إنقاذهم عن طريق قتل أولئك الذين استعبدوهم وعاملوهم بوحشية. كان القتل عملاً من أعمال الظلم الجسيم، أودى بحياة الأبرياء أو الذين لم تكن جرائمهم تستدعي القضاء عليها. لكن القتل في حالتنا، كان قتلاً لصالح الحياة، كجندي يتصرف وفقاً لقواعد الحرب، وكشرطيّ أطلق النار على زوج مُسيء قتل زوجته بالشفرة نفسها التي هدّد بها طفله، وكمالك منزل قام بإطلاق النار على دخيل مسلح قبل أن يطلق النار عليه. كنت على استعداد لأكون وصياً، بعد

كل ما رأيته هنا.

ما زلت لا أملك ترجمة لألوف شيل هالاخاه سوى مدافع عن القانون الطبيعي، لكن المفهوم كان كاملاً في قلبي، وفهمت حدود ترخيصي.

توصّل كلٌّ من بريجيت وسباركي وبانثيا وأنا - ووينستون - إلى القناعة نفسها من دون أن نتناقش في الأمر، وأصبح لدينا جميعاً الرغبة الشديدة نفسها لفعل شيء ما. ليس علينا أن نكون مستبصرين لنعرف أسوأ ما يمكن العثور عليه في واحة النرجسية والفساد، حيث كانت كل الفضائل مكروهة.

يُوقَف تشغيل الأجهزة وأسطوانات الأوكسيجين آلياً. نقرة... نقرة... نقرة.. ليبدأ بعدها تأوّه النائمين. يستيقظون، يستحمون، يرتدون ملابسهم، ويبدأون العمل خلال نصف ساعة تقريباً.

كان الدرج المؤدي إلى المستوى الأدنى التالي في انتظارنا.

| 33 |

مع تلاشي النهار ببطء واقتراب الليل ومع كل دقيقة تمرّ، يوشك الشخص الذي أطلق على نفسه اسم النور أن يستيقظ، ليتبعه أطفال الروح الذين سيفصلون العمال عن أجهزتهم، ثم سيستهزئون من أرديتهم المتسخة. مع حلول الظلام على الصحراء، ستعود الحياة إلى هذا العالم، لن تكون الحياة التي نعرفها، بل حياة خليّة منظمة لإحداث فوضى أخلاقية.

كان الطابق الثالث أي المستوى الثاني تحت الأرض، هو الأكبر حتى الآن. كان هناك خمسة ممرات متفرعة من محور كبير أشبه بمكابح عجلة، وقد تبين لنا من مظهرها - أبواب متباعدة بشكل متساوٍ، كما هو الحال في الفنادق – أنها غرف نوم أتباع النور الذين يقضون نهارهم في النوم أو في أي أنشطة أخرى، في انتظار دليل حياتهم المحبوب كي يستدعيهم لبدء يوم جديد بحلول الليل.

كان هناك ثلاث غرف كبيرة في الوسط، كل منها تحفة فنية على طراز الفن الزخرفيّ، مؤثّثة بشكل فاخر، ومضاءة بمصابيح خافتة.

قد تقولون إن الإضاءة كانت رومانسيّة، لأنها صُمِّمت بمهارة للتوهّج بطبقات، وكشفت عن أعماق غامضة في الأخشاب الغريبة اللامعة والتي كانت بجودة أخشاب البيانو. كان العمل الفنيّ في هذه الغرف بالتأكيد حسيّاً، سواء أكان يقدّم رؤى لأزهار منمّقة أو فاكهة ناضجة أو لأجساد بشريّة عارية؛ لم يكن أيّ منها إباحيّاً صريحاً، لكن كان القصد منها إثارة الرغبة الجنسية، على الرغم من

توفير بيئة رفيعة المستوى حتى إنه إذا انغمست أكثر أنواع الأجساد وحشية هنا، فستبدو متطورة. كانت المفروشات تذكّر بالثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي حتى في ترتيبها، وكان الغرض من الرسومات واللوحات في الغرف الكبيرة، التذكير بروما القديمة، حيث أقيمت حفلات العربدة، ومهرجانات النبيذ واللحم.

عندما كنت أستكشف هذه المساحات مع رفاقي، تذكرت الكابتن نيمو، الخصم العبقري في رواية عشرون ألف فرسخاً تحت الماء، والذي كان يبحر في المحيطات في غواصته الكهربائية الفيكتورية الكبيرة نوتيلوس، والتي احتوت على مكتبة مليئة بالكتب، ومتحفٍ للكنوز الفنية الرائعة، وصالونٍ فيه ديوان وأرغن ذو أنابيب. كتب جول فيرن عن الكابتن نيمو أنه كان: "قاضياً شيطانياً، والرئيس الحقيقي لأوغاد الكراهية". لم تكن عبارة جنون العظمة موجودة في العام 1870 عندما نُشرت الرواية؛ لم تدخل حيّز الاستخدام قبل عقدين آخرين. إذا كان نيمو وإمريش يتشاركان شغفاً غير معقول للمنشآت الضخمة السخيفة، فإن دوافعهما لم تكن هي نفسها. كان نيمو مدفوعاً بجنون بسبب الفقد والحزن، والشعور بالعجز الذي تحوّل إلى رغبة في الانتقام والقتل الجماعي. لم يخسر بودي إمريش شيئاً، ولم يحزن على أحد، وكان يتمتع بقوة كبيرة منذ أواسط عشرينيات عمره. مع ذلك، فقد تشارك مع نيمو الكراهية وعدم احترام حياة الآخرين؛ وبما أن نرجسية نيمو حكمت على طاقمه بالغرق معه في أعماق البحر، فقد أخذ إمريش أتباعه إلى أعماق العزلة لدرجة أن العديد من أولئك الذين نجوا قد لا يستطيعون

الانتماء إلى العالم مرة أخرى.

عندما دخلنا الغرفة الثالثة التي تقع في الوسط، التقينا بأول مقيم واعٍ في الواحة؛ لم يحدث اللقاء كما تتوقعون.

بدا وكأنه في منتصف الثلاثينيات من عمره، أسمر البشرة ولائق، وشعره قصير من الجانبين، وطويل من الوسط، ابتسامته كريمة، وأسنانه بيضاء كالحجارة التذكارية في مقبرة عسكرية. كانت عيناه زرقاوين مائلتين إلى الخضرة كالمياه الاستوائية، ولكنهما باردتان كتيار من القطب الشمالي. كان ينتعل حذاءً رياضياً أبيض من دون جورب، وبنطالاً واسعاً باللون الأزرق الشاحب من الكتان المجعّد مع خصر برباط، وقميصاً أبيض يظهر معاناة عضلاته الشديدة مع الأوزان الثقيلة.

قفز عن كرسيه، ورمى المجلة التي كانت بين يديه، وقال: "مرحباً يا شباب. مرحباً بكم في الواحة، حيث القاعدة الوحيدة هي عدم وجود قواعد. النور هو الطريق، والطريق هو المسار الوحيد، والمسار يذهب إلى أي مكان تريدونه". ثم جثا على إحدى ركبتيه وأومأ بيده، وقال لوينستون: "مرحباً أيها الكلب، كن صديقي، أعطني بعض الفراء". لم يستجب له وينستون، وبقي بجانب بريجيت التي قالت له: "إنه كلب العلاج الخاص بي، دُرّب على البقاء بجانبي حتى أتمكّن من التعامل مع قلقي".

كان مرناً للغاية، وكأنه درّب كل مفصل وعضلة في جسده على التمثيل الصامت حتى يتمكن من التأرجح بشكل مقنع في رياح غير

موجودة. وقف من جديد بطوله الكامل، وقال: "حسناً، هذا رائع، هذا لطيف، أنا مع ذلك. جاء عدد قليل من الزوار الآخرين مع الكلاب. لا توجد قواعد بشأن الكلاب، لا توجد قواعد لأي شيء. يمكنك إحضار كلب لأي سبب، لأي سبب على الإطلاق إذا دعاك النور. أياً يكن الأمر، سواء أأتيتِ إلى هنا بمفردكِ أو في مجموعة، مع كلب أم لا، فإن أنيما وأنيموس الخاصّين بكِ سيكونان محاذيَين تماماً على جانبي محورك عندما تغادرين، محاذيَين تماماً. أنا الروح تيموثي، وأنا هنا للتأكد من حصولكم على كل ما تريدون. لم أكن أعرف أنه لدينا ضيوف، لم نعتَدْ أن نحظى بالكثير من الضيوف. مهلاً، أنتم تعلمون أنه ليس عليكم إخباري بأسمائكم الحقيقية، أليس كذلك؟ اختلقوا أسماء أو ابقوا من دونها، أياً كان ما يناسبكم. إذا كنت لا أعرفها، فلن أستطيع تذكّرها، وإذا كنت لا أتذكرها، فهذا جيد كما لو أنكم لم تكونوا هنا من قبل.

أياً يكن الأمر فنحن لا نعرف أسماءنا حتى نستقبلها يوم التفرد. هل تحبون الأجنحة الخاصة بكم؟ أجنحة الضيوف رائعة، أليس كذلك؟ يمكنكم إحضار أي شيء تريدونه إلى غرفكم، وستنامون جيداً لأن العزل الصوتيّ مهم. يمكن أن يصرخ شخص ما في الجناح المجاور، ولن تسمعوه أبداً. الآن ماذا تريدون أن أجلب لكم؟ ما الذي تحتاجون إليه، أو تريدونه، أو تتوقون إليه؟ ما الذي يحرمكم منه الموجيك الجاهلون في العالم المحتضر في الخارج؟".

كان الروح تيموثي حريصاً على إرضائنا كجرو يأخذ خمسة ملّيغرامات من البنزيدرين. كنت أتوقع بشكل أو بآخر أن يكون أطفال

الروح ضعفاء، مقيمين شاحبين في عالمهم السفلي، عيونهم مصقولة كما تمت برمجتهم، كالنمل في مستعمرة، على الرغم من أنهم أقل اجتهاداً. ربما كان معظمهم هكذا، وربما كان تيم هو المدير الاجتماعي على هذه السفينة السياحية المغلقة، وتعلّم أن يكون متحمساً مع مساواة الحماسة بالإسهاب.

رأت بانثيا فرصة لجمع المعلومات عن طريق تأدية دور السائحة الشغوفة المفتونة بالتفاصيل، نظراً لأن الروح تيموثي ركّز اهتمامه بشكل واضح على النساء أكثر من الرجال، فسألته: "هذه هي دعوتنا الأولى إلى الواحة. هل كل الآخرين هنا - ماذا تسميهم؟ - هل ينامون طوال اليوم كما يفعل بودي؟".

قال تيم: "إنهم أشقائي بالروح، نحن أبناء النور بحكم استنارتنا به، فقد وجدنا بسببه القوة التي لم نكن نعرف أنها موجودة بداخلنا، الحرية الكاملة التي لطالما كانت لنا، لكن الموجيك القمعيّين خنقوا العالم المحتضر في الخارج. لقد ولدنا من أجل الليل الجامح، ولسنا بحاجة إلى ضوء سوى ضوئه، بينما ننتظر التفرد"، قال كل ذلك بتعبير مهيب، وألقاه عن ظهر قلب، كما لو كان يقرأ جزءاً من بعض التعاليم الدينية، ثم ابتسم مرة أخرى، وتابع بحماسته العاطفية السابقة قائلاً: "نعم، نبقى في غرفنا أثناء النهار، ونرتاح للوصول لنشوة الساعات المتأخرة. لكننا لا ننام طوال كل لحظة من هيمنة الشمس. نحن نأكل، ونعتني بأنفسنا، ونتدرب، ونقرأ ما تمت الموافقة على قراءته، نتأمل، ونجهّز أنفسنا للإرضاء والرضا لأن مزاجنا يحرّكنا. عندما يأتي الزوار، نحن هنا من أجلهم. كل دقيقة

لكم يا رفاق. يا إلهي، ما خطبي؟ لِمَ أبقيتكم واقفين هناك؟ اجلسوا، اجلسوا، فلنسترخِ معاً. نظراً لأن هذه زيارتكم الأولى - ما مدى إثارة ذلك؟ - سيكون لديكم الكثير من الأسئلة. أنا إجابتكم، وسأكون في خدمتكم اليوم. اجلسوا، اجلسوا".

جلسنا على أريكة ومقاعد ذات أذرعة، حول طاولة منخفضة ناعمة ربما كانت من تصميم إميل جاك رولمان. فوق الطاولة، كان هناك منحوتات غريبة بارتفاع قدم، من الفن الزخرفيّ لراقصات، وقد بدت وكأنها من تصميم تشيباروس.

ضغط مسدس الغلوك المخفي بشكل غير مريح على وركي اليمنى، لكنني كنت سعيداً بذلك. كان احترام تيم ولطفه الشديدان بمثابة طبقة لامعة تغطي كومة من ذرق الطيور. حتى وإن كان صادقاً، فقد كان من الداخل عبارة عن كومة من الهراء.

فهمت بريجيت تلميح بانثيا، وانحنت إلى الأمام على مقعدها، وسألت بعيني طفل في لوحة لمارغريت كين: "هل ينام أشقاؤك الروحيّون متّصلين بأسطوانات الأوكسيجين، كالآسيويين في الأعلى؟".

بدا تيم متفاجئاً ومتردداً قبل أن يقرّر منحَنا قدراً أكبر من الودّ والاحترام، ثم أجابها: "أنتم من فئة الزوار الذين تُفتَح لهم جميع الأبواب، يؤسفني أنني لم أدرك هذا من قبل، لقد كنتم متواضعين في تقديم أنفسكم، كونوا مطمئنين، سوف تتحقق الرغبات التي أتيتم من أجلها مرتين على الأقل، وسيكون السموّ الذي تسعون إليه

ملككم". يبدو أن هذه الكلمات جاءت من القسيس. عاود المدير الاجتماعي السيطرة على كيان تيم، فتابع قائلاً: "المنبوذون الاثنا عشر الذين رأيتِهم نائمين هم موجيك نموذجيّون. سوف يضطهدوننا إذا لم نسخّرهم لغرض أفضل وأعدنا تعليمهم "، ابتسم وهزّ رأسه ورفع ذراعيه إلى الأعلى، وقال بسخط: "ما الذي يمكن فعله لمثل هؤلاء الأشخاص الحزينين؟ لكن أنا وإخوتي جميعنا أرواح مبتهجة، تحرّرت من كل سلاسل القهر والجهل. لا حاجة لتخديرنا كي ننام، لأننا لا نمتلك شهوات لم تتحقق، ولا رغبات محبطة، ولا نشعر بالندم. نحن نعيش لنعيش، كي نُفرِح بعضنا ونُفرِح أنفسنا. سترين، أنتِ أيضاً، سترين ما يتجاوز توقعاتِكِ، وستحظين بهبة الحرية الكاملة".

لو كنت طوال حياتي باحثاً عن التسويق المخادع، لكنت تأثرت كثيراً بتيم المبتهج، لدرجة أنني ربما كنت سأشتري برميلاً مما كان يبيعه. لكن بدلاً من ذلك، ازداد قلقي، وإحساسي أن هناك شيئاً خطيراً بانتظارنا.

على الرغم من أن تيم وأمثاله لم يُزَوَّدوا بأطواق صادمة، ولم يُخدَّروا بشكل يومي، إلا أنهم على الأرجح لم يصلوا إلى حالتهم الحالية فقط عن طريق الإقناع، والتلقين، والسمو الروحيّ. لقد زوّد الشخصان الغريبان في جمهورية بيبز إمريش ليس فقط بالعقاقير الترويحية بل بالأدوية التي استخدمها للسيطرة على أطفال روحه، وفقاً لبانثيا. إذا كان ما رأته عرّافتنا صحيحاً، فإن تيم وأفراد عائلته الغريبة يتلقون برمجة كيميائية عن طريق الطعام والشراب من دون علمهم.

سألت بانثيا: "يعيش أشقاء روحك في غرف الممرات الخمسة في هذا المستوى. صحيح؟".

أجابها: "نعم، هذا صحيح. هذا هو المستوى المجتمعيّ، هذا هو المكان الذي تعيش فيه الحياة. عشت كما هي في أي مكان آخر في عالم الجهل والقمع خارج هذه الجدران".

سألته: "كم عدد إخوة الروح هنا؟".

ارتاح للأمام في مقعده، وابتسم، وأومأ برأسه، ثم عقد ذراعيه، وابتسم، ثم أومأ برأسه مرة أخرى كما لو أنه يشير إلى أن سؤالها في صلب الموضوع، وأن إجابته ستسعدها وربما ستثيرها أيضاً.

أجابها: "حالياً هناك أربعون رجلاً وثماني وأربعون امرأة؛ كلهم أفراد مثيرون".

نظرت إلى ساعتي؛ كان يفصلنا عن غروب الشمس أكثر من ساعة، ولن يصحوَ أطفال الروح قبل ذلك كثمانية وثمانين خفاشاً في نوبة تغذية.

قال تيم: "تتراوح أعمارنا بين خمسة عشر، وخمسين عاماً. أصغرنا يشبهون الأطفال تماماً، سوف تُسحرين بهم. يمكن أن يكون الأكبر سناً شخصية أبوية إذا كان ذلك مطلوباً، أو منضبطاً أو صارماً أو العكس تماماً. لم يُقبل أيّ طالب هنا لمجرد أنه يريد اتباع الطريق. لقد اختارنا النور".

تابع كلامه بكبرياء: "يجب أن نلقي نظرة، نظرة خاصة للغاية".

ثم جلس على مقعده، متخيلاً وضعية جلوس تتيح لنا الإعجاب بجسمه ووجهه، وتابع: "لا يوجد قبح في الواحة، البشاعة هي نتيجة المجتمع المريض للموجيك، الذي حررنا أنفسنا منه".

تساءلت عن كلمة موجيك، لكنني لم أسأله عن تعريفها، لأن هذه الفجوة المعرفية بيننا قد تحرمنا من فكرة أن نصبح ضيوفاً للواحة، وأصدقاء لبودي إمريش.

كان توافر تيم وإخوته الروحيين لأي غرض نتمناه متضمناً في حديثه، لكن بريجيت ضغطت بجرأة على هذه النقطة، وسألته: "إذا رأيت أولئك الذين يثيرون اهتمامي، فكيف أرتب لهم أن يأتوا إلى جناحي؟".

استرخى تيم في مقعده مجدداً، بوجه مشرق من الحب اللامع كما في أغنية إلفيس، واثقاً من أنها ستضمّه في أي ترتيب يثيرها. أردت أن أسحب مسدسي، وأطلق النار على قدمه، لكنني لم أفعل. ما زلت معجباً بضبط نفسي حتى يومنا هذا.

قال: "اقتربي منهم ببساطة واسأليهم. لا يوجد رفض في ثقافتنا. يمكنك اتباع الطريق إلى جناحك، أو إذا تخيلتِ سيناريواً أكبر، يمكنك اتباع الطريق إلى هنا، حيث يمكن أن تتوفر العديد من الخيارات في الوقت نفسه. سيكون الأمر أكثر إثارة بالنسبة إلينا إذا فعلت ذلك. إنه لشرف لي أن أتّبع الطريق مع النور بنفسه، أو مع أحد زواره المحترمين"، ثم لمس جبهته وشفتيه وقلبه بإصبعيه، اعتقدت أنها علامة تقديس.

قال سباركي، بنظرة تجمع بين العبوس والشهوانية وبتعبيرٍ عن مكر خطير: "وإن كان الشخص يريد شيئاً فظاً، فهل تقصد أن كل واحد من أشقائك في الروح سيكون على استعداد لذلك؟".

صفّق تيم بيديه كطفل صغير يصفّق ويهتف جيد جداً، ثم قفز مرة أخرى على قدميه، كما لو أنه لم ينهض عن المقعد أبداً، إلا أنه هذه المرة بدا مدفوعاً، ثم قال: "حسناً، نعم، قد يوافق العديد من أطفال الروح على ما تقترحه، لكن بالطبع ليس كلهم. هذا ليس ممنوعاً، إنها مسألة رغبة، واهتمام. إذا لم تكن المتعة التي تتمناها متواجدة عند أشقائي، فسيتم الترحيب بك دائماً من خلال الخيارات الخاصة المحجوزة للنور وزواره. قد لا أكون أنا وإخوتي في الروح فيها. نحن لسنا مدرّعين روحياً بما يكفي للعب مع هذا النوع من دون أن نتعرض للتلوث. نحن ننتج موجات ألفا بوفرة، أما أولئك الذين هم في الاختيار الخاص يصدّرون أشعة غاما فقط، ولن يكونوا أبداً معنا في الطريق. إنهم موجيك مضطهدون منذ ولادتهم وغير قادرين على الترفّع عن تعصّبهم. إنهم يفتخرون بجهلهم، ويستمتعون بظلمهم، لكنهم أوعية مثالية لشخص مثلك، لديه اهتمام بتجارب من النوع الأكثر صرامة. النور نفسه وزواره الطاهرون روحياً - يا رفاق - منيعون من تأثيرات أشعة غاما. تعالوا معي، تعالوا معي، سننهي توجهاتنا الصغيرة من خلال الخيارات الخاصة".

تبعناه عبر الحجرة الأكبر إلى حانة فيها ثمانية مقاعد وشاشة تلفاز كبيرة، وهي فارغة الآن. مخصصة لمن يسعى وراء استراحة أثناء العربدة، فربما يمكنك القدوم إلى هنا والجلوس وتناول مشروب

ومشاهدة الأفلام الإباحية حتى يتمّ تنشيطك للانضمام إلى الفجور مرة أخرى. يبدو أن الغوص العميق في الانحطاط تضمن فترات من الملل والإرهاق.

وقفنا متيقّظين للوافدين، بدلاً من أن نجلس على المقاعد، ونولي ظهورنا للغرفة.

وقف تيم، وأخذ جهاز تحكم كريستون. لا أعرف ما إذا كانت الواحة قد تلقت مجموعة من البرامج عن طريق طبق القمر الصناعي، لكنني أشك في ذلك. يمكن السيطرة على أطفال الروح بشكل أفضل من خلال إبعادهم عن إغراءات العالم التي كانت أقل إلحاحاً جسدياً من التنوع الفخم الذي يمكنهم المشاركة فيه هنا. أياً يكن الأمر، عندما لمس تيم العجوز الجيد شاشة كريستون، ظهرت قائمة على شكل دائرة مغلقة، مليئة بالخيارات المثيرة للاهتمام المحلي: ***كان النور يعرف الحقيقة، النور يحدّد الحب، الأحدث من النور، وتعرّف على المبتدئين***، لم يختر منها بل قرر فتح ***الخيارات الخاصة*** بدلاً من ذلك. سمعنا موسيقى ربما كانت تلك التي رافقت اقتباس لقناة بي بي سي عن رواية لجين أوستن، ثم ظهر فيديو مُكرّر ملأ الشاشة لحقل من الزهور البرية يتأرجح بشكل حسّيّ في النسيم الهادئ.

أجرى الروح تيموثي هذه الجولة كأنه دليلنا في متحف ما، وقادنا إلى جناح مخصّص للصور الشهيرة، وقال: "حالياً، كما سترون، هناك سبع نساء وثلاثة رجال متاحون كخيارات خاصة. يميل الزوار المهتمون بممارسة حريات السيطرة، والذين يريدون التعبير عن

تحررهم إلى أقصى حد ممكن، إلى تفضيل نساء الموجيك على رجال الموجيك. أولئك الذين سوف تراهم هنا من كلا الجنسين يستمتعون كثيراً بالخضوع إلى الحدّ الأقصى، مهما يكن الحدّ الذي ترغبون به. سنبدأ مع سبع نساء. إذا راقت لكم أيٌّ منهنّ، فهي على الأرجح متاحة، لأنكم الزائرون الوحيدون في الوقت الحالي، ما لم يكن النور قد حجزها".

محجوزة له، كطاولة في مطعم، أو سيارة مستأجرة في المطار.

لم أستطع تخيّل مكان مثير للاشمئزاز أكثر من الواحة، ليس لأنها بالوعة من الخطيئة؛ لم يكن هذا سببي الأول حتى. الأمر الأكثر إثارة للاشمئزاز كان اعتماد بودي إمريش طريق الدافع الجنسيّ البشريّ وفصله عن كل المشاعر الإنسانية العليا والتطلعات النبيلة، وعن الرومانسية، والحب، وخلق عائلة حقيقيّة، وعن أي صلة ذات مغزى تربط بين قلبين. لقد أظهر عبقرية في بناء الشركات، وبالتالي عبقرية شريرة في تفكيك هذه الرغبات البشرية الأكثر تعقيداً، وتحويلها إلى إجبار حيوانيّ فظ. والأسوأ من ذلك، كان هناك ميزة ميكانيكيّة لكل هذا، وكأنه لا بد أنه يُعِدّ أتباعه للتميز، والدمج بين الإنسان والآلة.

بعد ذلك، يمكن تحقيق النشوة الممتدة من دون بذل مزيد من الجهد، فقط بالضغط على الزرّ حيث كانت السّرّة ذات يوم، وهي عبارة عن نشوة لمدة خمس دقائق لا تتعارض مع مساهمة الفرد في الناتج المحلي الإجمالي.

ظهر على شاشة التلفاز وجه المرأة الأولى في الخيارات الخاصة.

قال تيم: "نُطلِق عليها اسم أكانثا، تبلغ من العمر ستة وعشرين عاماً، وتلبّي جميع معايير الشريك المثير والجميل والمتناسب بشكل مثالي".

كانت امرأة سمراء جميلة تبدو أصغر من ستة وعشرين عاماً، بدت عيناها واسعتين وكأنها تفاجأت بوجود الكاميرا أمامها بهدف معرفة ما إذا كانت تخضع لموافقة المنحرفين.

ظهر وجه آخر، وجه شابة شقراء، وقال المحاضر الذي يرشدنا عبر هذا المتحف الضائع: "نسميها بامبي، لأنها بطريقة ما تبدو وكأنها مزيفة. أليست جميلة؟ اثنان وعشرون عاماً، نحيلة مثل تلميذة، لكنها ممتلئة في الأماكن المهمة".

على الفور ظهر تشابه بين الصورتين الأولَيين: لم تتصف أيٌّ منهما بصفة الرذيلة؛ لقد كانت أعينهما بريئة ورقيقة وهذا ما جعلهما تبدوان ضعيفتين بشكل مفجع. كم سيكون سادياً من يُخضِع مثل هذه الأزهار الرقيقة إلى حالة من الاستسلام والرعب.

مباشرةً بعد ما رأيناه، أصبح حكمي على الواحة أكثر شراسة. لم يكن مجرد مشروع بغيض، بل كان مشروعاً مقرفاً، وكريهاً. كانت الواحة أشبه بمستشفى أمراض عقلية ذات طابع شهوانيّ فاسق.

مع ظهور الوجه الثالث، قال تيم: "نسمي هذه كاميلا"؛ تعتبر الواحة رجساً يبرّر قتل بودي إمريش بأسرع وقت. قال الروح تيموثي الذي طُرِدَت روحه منه منذ فترة طويلة: "إنها في الثامنة والعشرين، لكنها ليست كبيرة على الإطلاق. في الواقع يعتقد كثيرون أنها

الأكثر جاذبية. تحفة فنية على الرغم من كونها موجيك. قد تكون مهتماً بمتابعة المتعة الشديدة التي تمتّع بها الزائر الأخير معها؛ في البدء تُعطَى الروهيبنول، بحيث تكون فاقدة للوعي بشكل عميق طوال العلاقة، وضعيفة كالأموات لكنها دافئة، وهي لا تدرك الرغبات الفريدة التي تحصل عليها معها، بحيث تُترك هذه المعرفة فقط للمحظوظ الذي يشعر بأنه غير مقيّد في الاستمتاع بها".

كانت آني بايبر، الفتاة من ماتر ميسيريكورديا، والتي كانت تقرأ لنا قصصاً عندما كنا أطفالاً، سواءً أكانت قصصاً كتبتها هي أو قصصاً من كتابة سواها، كانت الراعية الأساسية لرافائيل كلب دار الأيتام. آني ذات الصوت الناعم الموسيقي الساحر. آني، التي ذهبت إلى الكلية في منحة دراسية، واختفت لاحقاً من دون أن تترك أثراً.

كان وجهها في غاية الجمال، يشعّ لطفاً لدرجة أن اللقطاء الأصغر سناً كانوا على يقين من أن الملائكة يجب أن تشبهها.

مرت تسع سنوات على مغادرتها دار الأيتام، وثماني سنوات على اختفائها، إلا أنها بدت على الشاشة، وكأن الوقت لم يمسها. مع ذلك، لم تكن ابتسامتها ابتسامة بايبر التي كنت أتذكرها جيداً، ليست الابتسامة المحبة نفسها، كانت جامدة ورسمية، ربما تشكل رداً على تهديد، وكان البؤس والحزن واضحين في عينيها.

كان ذقنها مرفوعاً في تعبير طفيف عن تحدٍّ وعصيان لظروفها.

لم تكن قد صغّرت نفسها عن طيب خاطر لتصبح دمية جنسية للترفيه عن أولئك الذين شعروا أن احترامهم لذاتهم قد يتحقق

عندما يلحقون الإذلال والألم بالآخرين من دون عواقب. لم تكن شخصاً سيترك الكلية ليتبع معلّماً متعالياً من الناحية الفكرية ينضح بالتفاهات المنحرفة كما لو كانت حكمة العصور المخيفة؛ لقد اختفت لأنها اختُطفت.

حدّدت الخيارات الخاصة الأسرى الذين يمكن للزوار ذوي الرغبات الشديدة - وأولهم إمريش - إرضاء وحشهم الداخلي معهم، دون خطر التعرض للملاحقة الجنائية. لكن هذا الخيار يحمل معنى آخر، يوحي بأن النساء والرجال المعروضين هنا لم يأتوا إلى الواحة بإرادتهم، بل اختيروا - حُدِّدوا وطُورِدوا واقتُلِعوا من حياتهم - من قبل عملاء إمريش، وكالخنازير المدربة للبحث عن الكمأة، سعوا إلى الأكثر رقّة وشباباً وجمالاً، من أجل بهجة أولئك الذين لديهم ما يكفي من القوة والثروة لإقناع أنفسهم بأنهم الأكثر تطوراً في التاريخ.

ما كنت أظن أنه يمكنني أن أغضب إلى هذا الحدّ، لكن عند رؤية وجه آني على الشاشة شعرت بسخط عارم. لم يغضبني موت ليتون أورموند كثيراً لأن اكتئابي كان بمثابة غطاء مبلل امتصّ كل المشاعر الأخرى. مات ليتون عندما سمعت إطلاق النار في متجر بيليني، وقتها لم يكن بوسعي القيام بشيء حيال الأمر.

ولكن إنقاذ آني لا يزال ممكناً، سيطرت في داخلي مشاعر قوية تحثّني على الانتقام، وألغت كل الحذر. أصبح الغضب متّقداً في الوقت الذي كان فيه تيم يثرثر. قبل أن أفهم تماماً ما حدث ومن دون أي تخطيط، رفعت قميصي الفضفاض، وسحبت مسدس الغلوك من القراب الخاص به، ثم وجهته إلى رأس الروح تيموثي قائلاً له:

"أنا أعرف هذه المرأة، وهي لا تدعى كاميلا، بل آني بايبر. كانت صديقتي، وهي ليست شيئاً يمكن استخدامه. إنها ثمينة".

لم يتفاجأ سباركي، أو بريجيت، أو بانثيا، وربما لم يظهروا ذلك. كنا نعلم أننا في مهمة ذات معنى، وعندما أصبحت شخصية بشكل مفاجئ، تأكد شعوري بأن رحلتنا قد تكون بحثاً عن الهدف من الخلاص.

ثم أمرتُ تيموثي قائلاً: "خذنا إلى بودي إمريش، وإلا فإن أولئك الموجيك الذين يضعون أطواقهم الصادمة سيقضون أمسيتهم في تنظيف بقايا دماغك عن الحائط".

| 34 |

كان بإمكان المغناطيسية الروحانية، أو وينستون أن يقودانا إلى بودي إمريش مباشرةً، ولكن ربما لن يكون أي منهما أسرع من الروح تيموثي عندما يكون المسدس مصوباً إلى رأسه.

توقّعت أن رفاقي قد لا يوافقون على تهوري وغضبي، لكنهم جميعاً استلّوا مسدساتهم، ولم يظهروا اعتراضاً. كانوا غاضبين مثلي، أضف إلى ذلك أننا كنا نتشارك القلق، فمع اقتراب انتهاء النهار قد تصبح المهمة أكثر تعقيداً بسبب خروج أطفال الروح السبعة والثمانين من غرفهم تحت تأثير المخدرات، متأهبين للدفاع عن خليتهم وزعيمهم الذي أنفق المليارات على هذا المكان.

أظهر زرٌّ مخفي في القالب قفلاً إلكترونيّاً، وجعل باباً مصنوعاً من خشب الأمبوينا الذهبي ينزلق في هذا الثلث من الغرف الثلاث المشتركة الكبيرة، كاشفاً عن درج يقود إلى أدنى مستوى من المبنى. قال تيم، رداً على سؤالي في الوقت الذي كنت أستمرّ بضغط المسدس على جمجمته: "نعم، وحده، سيكون وحيداً لأن الليل لم يحلّ بعد. يجب أن نثور ضد الإيقاع اليوميّ الذي يقول إن ضوء النهار هو الحياة والليل هو الموت أو ما يشابه ذلك. هذا من صنع الجانب الشرير للطبيعة ثنائية القطب، ملكة الباطل. تخدم الملكة مدراء الشركات الذين يريدوننا أن نعيش حياتنا وفقاً لساعاتهم الزمنية، وتحوّلنا من بواعث ألفا إلى غاما".

شعرت باليأس عندما نزلنا الدرج، لأن كثيراً من الناس الذين ولدوا

بالمعرفة والحدس والقدرة على التفكير، قد شكّلوا حياتهم بناءً على العاطفة المطلقة. جرَفت الأكاذيب الجريئة والأوهام الشريرة الكثيرين، حتى أصبحوا بعيدين عن شاطئ الحقيقة لدرجة أنهم لم يتمكنوا حتى من رؤيتها. كانوا في كل مكان في زماننا، تحت سيطرة أولئك الذين علّموهم الخوف مما لا يهدّدهم، وأن يتلقوا بسرور تلك الأفكار التي من شأنها أن تسلبهم الهدف والمعنى والأمن، وعاجلاً وليس آجلاً ستسلبهم حياتهم كذلك.

أفضى الدرج إلى دهليز دائري يبلغ قطره عشرين قدماً، أكثر ترفاً حتى من المساحات الموجودة في المستوى أعلاه.

كان السقف مغطى بالذهب ومطعّماً بما تبيّن لي أنه صفوف من الياقوت الحقيقي. غُطيت الجدران بأشكال كريستالية ذات أبعاد وطبقات مختلفة، والتي مرّ الضوء الكهرماني عبرها من مصدر غير معروف، وهذا ما أدى إلى ظهور أنماط موشورية علينا، بحيث بدونا كالألغاز التي جُمعت من قطع هندسية حادة الحوافّ، كان يفترض بنا أن نشعر بالرعب، لكننا لم نكن كذلك.

قال الروح تيموثي إن الباب جهة اليسار يؤدي إلى غرف الخيارات الخاصة، والتي كانت على حدّ تعبيره "مقسّمة إلى أرباع"، في الوقت الذي كان يفترض به أن يصفها بالسجون.

أما الباب جهة اليمين فيؤدي جناح إمريش. قال تيم إن ماسح بصمات الأصابع الذي يتحكم في القفل لا يستجيب إلا لبصمات أصابع إمريش أو أصابع الطبيبَين اللّذين عاشا في الواحة، واصطفيا

مقابل رسوم من سبع خانات.

وضعت بانثيا كفها على هذا الحاجز، كما فعلت عند المدخل الرئيسي، ومن خلال القوة التي تمتلكها، حرّرت القفل، وفتحت الباب على مصراعيه.

لم يظهر تيم أيّ مظهر للخوف في الوقت الذي كان فيه المسدس يضغط على رأسه، لكن الآن عندما عبر العتبة إلى حرم النور، ارتعد بشكل واضح وشحب لونه، كان ارتعاده ناتجاً عن الرهبة التي كان من المتوقع أن يشعر بها بقيتنا، ولكننا لم نشعر بها. خفّ احتقاري لطفل الروح هذا عندما وضع إصبعيه على جبهته وشفتيه وقلبه، وشعرت بالشفقة عليه. كان إدمانه أكبر من إدمان قائم على العقاقير فقط. لقد ضاع بالتأكيد وإلى الأبد، من دون طريق للعودة إلى الوجود العقلانيّ.

تم توجيهنا نحو هدفنا داخل الشقة من خلال أصوات الموسيقى الخفيفة والتصفيق والضحك المنبعثة من برنامج تلفازي.

كانت الغرف فخمة للغاية، لكنني كنت منهكاً بسبب الإسراف في أسلوب حياة إمريش لدرجة أنه لا شيء سيثير اهتمامي سوى العثور على إمبراطور الظلام الذي أطلق على نفسه اسم النور.

وبما أنه عاش ليله كنهار، فقد وجدناه يتناول وجبة الفطور الآن بعد أن كانت الشمس على وشك الغروب، في ممر مبهر يضمّ ما لا يقلّ عن اثنتي عشرة آلة لعب لكرة الطاولة، وغزو المجرات، ومس باك مان. كان هناك أيضاً شاشة تلفاز كبيرة معلّقة على أحد الجدران

وأمامها منصة. وقف إمريش على المنصة بجانبنا، حافي القدمين وربما عارياً تحت ردائه الحريري الأحمر. كان يقف أمام الشاشة الكبيرة، وكانت يده تحوم فوق زرٍّ أبيض بحجم وشكل نصف برتقالة. كان يشاهد ما يبدو أنها حلقة كلاسيكية من جيوباردي، التي يقدّمها أليكس تريبيك.

قال أحد المتسابقين عندما دخلنا الغرفة: "سآخذ صغاراً مشهورين مقابل مئة"، وقال أليكس: "في فيلم عام 1986، أدى ستيف مارتن دور طبيب أسنان أحمق". قام بودي إمريش بضرب يده على الزّر، فصدر صوت جرس، وصرخ بالإجابة الصحيحة قبل ثانيتين من إجابة المتسابق في البرنامج: "ما هو متجر الرعب الصغير؟".

صفّق الجمهور، ووقفت غاضباً بوضعية غريبة مع رفاقي المصدومين. إذا وجدنا إمريش ممدداً على الأرض، ويلعب مع جرو. فكرت في نفسي: حسناً، كان هتلر من محبي الحيوانات؛ حتى المضطربون عقلياً يحبون الجراء اللطيفة. رؤية سيد العبيد، المغتصب المتسلسل، والقاتل المحتمل يشعر بهذه البهجة بسبب لعبة جيوباردي، جعلني أعتقد أن الشر الذي ارتكبه كان بقصد تافه لفتى مَلولٍ يفتقر إلى الذكاء لفهم عواقب أفعاله. خبير في برامج الألعاب تقتصر معرفته الواسعة على الأمور التافهة، عقله ليس سوى مستودع لحقائق لا معنى لها، حيث لم يكن قادراً على معرفة الخير من الشر، ومع ذلك لم يكن غبياً، ربما يكون معوّقاً في النمو بالمعنى الأخلاقي، أو ضميره قد تآكل بسبب سرطان النرجسيّة.

قال المتسابق: "أليكس، سآخذ صغاراً مشهورين مقابل مئتين"،

وقال أليكس: "اخراج جودي فوستر وبطولة في فيلم عام 1991 عن أم من الطبقة العاملة تكافح من أجل الحفاظ على حضانة طفلها الموهوب". ضرب إمريش راحة يده اليمنى على الجرس الموجود على كلمة حضانة، وصرخ: "ما هو ليتل مان تيت؟"، ثم ردّد المتسابق العبارة ذاتها، وصفّق الجمهور.

قال سباركي: "أوقف تشغيل التلفاز".

لم يتفاجأ إمريش عندما استخدم جهاز التحكم لكتم الصوت، إلا أنه لم يوقف تشغيل التلفاز. كان يعلم أننا كنا هناك منذ اللحظة التي دخلنا فيها الرواق.

التفت إلينا؛ كان أسمر البشرة يبلغ من العمر خمسين عاماً تقريباً، وبحالة جيدة، مع القليل فقط من خصل الشيب في شعره. كانت يداه قويتين كيدَي نجم كرة سلة، وأصابع يديه طويلة كأصابع عازف بيانو، كما أنه امتلك يدَي رجل مسيطر نبيل.

كان وسيماً، لكن بطريقة غير مثيرة، وسيماً كمضيفي البرامج التلفزيونية للأطفال، وملامحه ناعمة. امتلك عينين معبّرتين بلون بني ذهبي دافئ، وكان تحديقه مباشراً. يمكن تصديق أنه رجل يتمتع بأشد المشاعر، تماماً كما كان من الممكن الاعتقاد بأن الذئب الجائع في البرية هو مجرد كلب سيستجيب ويهزّ ذيله عندما تُعرَض عليه يد العناية.

قال: "تيموثي، سأحلّ هذا. يمكنك أن تذهب".

قلت: "لا، لا يمكنه ذلك".

قال إمريش: "اذهب يا طفلي. أنا لا ألومك".

نفّذ تيم تعليمات سيده، بغضّ النظر عن وجود المسدس. ابتعد عني، وانطلق من الغرفة، بنيّة تنبيه الآخرين بلا شك بأن الواحة قد اختُرِقَت.

خطوت بسرعة خلفه، وعكست قبضتي على المسدس، حيث أمسكت بفوهته، وضربت مؤخرته بقوة على رأس تيموثي. وضعت كل غضبي في تلك الضربة، ضربت الرجل بقوة أكبر مما كنت أقصد، لكنني لم أهتم. سقط فاقداً الوعي، وهذا ما أردته.

بقي بودي إمريش على منصة عرض الألعاب الشخصية الخاصة به، ويده اليمنى ممدودة على الشاشة. قد تقدم هذه الشاشة الصغيرة رمزاً يستدعي المساعدة بالإضافة إلى الصوت والفيديو، والمناخ، والإضاءة، وعناصر التحكم الأخرى. تساءلتُ عمّا إذا كان أطفاله الذين سُمُّوا على نحو خاطئ، سيأتون زاحفين في حشد صامت عند مناداتهم، أو أنهم سيندفعون إلى الغرفة وهم يصرخون بوعدهم بالموت الوشيك.

إذا كان إمريش يعلم أننا ننظر إليه باشمئزاز، فإنه لم يشعر بأي إهانة. كان يعاملنا بالصبر المحب، وكأنه الدالاي لاما الذي يحاول إرشاد البوذيين إلى الحكمة، لكنه لم يكن بوديساتفا. كان الصبر المحب في حالته مجرد تظاهر، وكانت ابتسامته باردة. لم يكن عليّ أن أكون معالجاً نفسياً لأعرف أنه كان ينظر إلينا بتسلية واحتقار.

ما فعلته لتيم لم يكن له أيّ تأثير على إمريش، كما لو أن طفل

الروح لم يكن بالنسبة إليه أكثر من حيوان أليف منزلي، ليس أكثر من المكنسة الكهربائية - آي روبوت - التي قمت بتعطيلها. كشفت لامبالته عن عدم قلقه بشأن أتباعه، ولكن أيضاً عن عجز غريب في تقييم التهديد الذي يواجهه.

تحدّث بنبرة لطيفة، كما لو أنه يتحدث إلى أطفال ضالّين: "أرى من اندفاعك أنك ألفا، كما نحن جميعاً هنا. لا داعي للجوء إلى العنف".

قال سباركي: "هذا مطمئن يا صاحب الجلالة، ولكن بعد جولة في قصر البلاي بوي، ما زلنا نشعر أن يد الصداقة قد تنقطع عند الرسغ".

يجب أن تكون عبارة يا صاحب الجلالة والازدراء الذي قيلت به، قد مزّقت شيئاً من غرور إمريش، خصوصاً أنه يعتبر نفسه إلهاً، وأكثر من مجرد ملك. مع ذلك، لم يتفاعل مع الإهانة بأي شكل من الأشكال، فقال بإحسان: "الواحة هي أيضاً معبد الطريق. نجتمع في هذا المكان المقدّس لأننا نؤمن بشيئين يتعلقان بالرغبة في المتعة والممتلكات، أما في ما يتعلق بسرورنا، فمن حق ألفا دائماً أن يحصل على ما يريد، وسيوافق أحدهم دائماً على إرضاء الآخر. لا توجد منافسة بين الألفا، هناك فقط سعي متبادل وراء الملذات العديدة التي يوفرها الجسد. الرضا هو مصدر السلام".

كان حديثه صبيانياً مثله، مثل أي منتج أفلام يتخبط في فيلم أنتجه بقصد تغيير العالم.

لو لم أستمع إليه، وأهدّئ غضبي بهرائه المروع، لربما كنت قد أطلقت الرصاص عليه قبل أن يخبرني بما أريد معرفته.

من الواضح أن بريجيت، وبانثيا، وسباركي - وبالتأكيد وينستون - يعرفون أنني أضغط على الزناد، وقد أطلق الرصاص في أي لحظة.

تابع إمريش: "في ما يتعلق بالممتلكات المادية، فإن كل ما يريده ألفا هو حقه، ليس من ألفا آخر، ولكن من جماهير الموجيك بأي وسيلة كانت. نحن نبجّل الطبيعة الخصبة من أجل النشوة التي توفرها. هم يقدسون وجهها المظلم، أي ملكة الباطل. نحن نقدّر الحياة، وهم يقدرون الموت. لقد أخذت ثروات من الموجيك. لن تأخذها مني بل منهم عندما أشاركك ما أتمناه. تقديراً لجرأة ألفا الخاصة بكم، سأمنح بضعة ملايين من الدولارات لكلٍّ منكم. والأهم من ذلك، سأرحّب بكم في الطريق وأعلمكم كيفية استخدام الإنترنت والأدوات الأخرى لاستخراج ثرواتكم من الموجيك، حتى يتمكن كل واحد منكم من بناء واحة خاصة به. لقد كنت أنتظر إمكانات جريئة مثلكم، كي نبشّر بالطريق عبر هذه الأمة المضطربة".

أثارت ثقة إمريش المطلقة الإيمان. اخترق أربعة أشخاص وكلب رائع المظهر المدخل الأمامي الذي كان سميكاً كباب قبو البنك، وتجاوزوا أقفاله الإلكترونية، وأفشلوا عمل ماسحات بصمات أصابعه. نحن نقف الآن أمامه ونوجّه أسلحتنا صوبه. ومع ذلك، لم يكن لدي أدنى شك في أن هدوءه الواضح كان حقيقياً. إذا كان قد أسّس طائفته بروح رجل محتال يسعى للحصول على سلطة مطلقة على الآخرين والتي لا يمكن للمال وحده شراؤها، فلا بد من أنه صدق كذبته. كان يعتقد أنه خالد، وأن كلماته، وسلوكه، وجاذبيته تشكّل درعاً لجسمه لضمان عدم تعرضه لأي هجوم.

تنفّست بعمق وقلت: "أنا مهتم بالأشخاص الذين تسميهم الخيارات الخاصة. أرانا الروح تيموثي الصور. كانت إحداها استثنائية. قال إن اسمها كاميلا".

اتسعت ابتسامته، وبدت أسنانه في وجهه البرونزي مشعّة بما يكفي لتوصل عداد غايغر(10) إلى أعلى معدل قياس. ربما نشأت فرحة بودي إمريش من اعتقاده الخاطئ بأننا أدركنا مناعته ودخلنا المفاوضات. لكنه كان أيضاً مخادعاً ساخراً، ساحراً، مغتصباً استحضر ذكريات قوية عن الوحشيّة التي عامل بها كاميلا.

تناقضت كلماته مع وضعيته كرجل مقدس عندما قال: "ما تريد أن تفعله بها هو تأكيد لطبيعة ألفا الخاصة بك. إذا اضطررت إلى تلخيص المعنى الأساسي للطريق في كلمة واحدة، فستكون كاميلا، وستفعل معها ما ستفعله لكل الموجيك، وهو ما يجب القيام به لجعل هذا عالماً من المتعة والسلام".

سألته: "ما معنى هذه الكلمة موجيك؟".

أجابني إمريش: "إنها كلمة روسية تعني الفلاحين".

سألته: "حسناً، لماذا لا نسميهم فلاحين؟".

أجابني: "لأن موجيك هي الكلمة المناسبة. إنها تعني الفقراء، ولكن ليس دائماً بالمعنى المالي. قد يكون الموجيك أغنياء أو مفلسين أو ما بينهما. إنهم فلاحون لأنهم جاهلون ويؤمنون بالخرافات. يُكرّس الموجيك أنفسهم للعادات والتقاليد ويرضخون لخنق المؤسسات ولطرق التفكير التي يظنون أنها توفّر لهم الاستقرار في حياتهم،

ولكن في الواقع لا يؤدي هذا سوى إلى منعهم من أن يكونوا أحراراً حقاً".

تحملت كلامه، كي أتمكن من سؤاله عن موضوع كاميلا، كنت بحاجة إلى اللعب على اعتقاده السخيف أننا اندفعنا للمفاوضات بسبب جاذبيته. أعدت المسدس إلى قرابه، ونظرت إلى رفاقي الثلاثة، وقلت: "حسناً يا رفاق، نحن بخير. نحن جميعاً متشابهون في العقول هنا"، ثم ابتسمت لإمريش وقلت له: "آسف بشأن تيم. لم أكن متأكداً من الطريقة التي سيتم فيها استقبال دخولنا غير التقليدي، لكن اتضح لي أنك رجل يمكننا التعامل معه".

ربما أذهل هذا التصرف بريجيت وبانثيا وسباركي، لكنهم لم يعترضوا، فنحّوا أسلحتهم. كان تفاهمنا الصامت شهادة على الروابط الخارقة التي توحّدنا نحن الأربعة في هذه القضية.

قلت لإمريش: "كاميلا مثيرة للغاية. كيف بحق الأرض استطعت... أن تحصل عليها؟".

كان نرجسياً مقتنعاً تماماً بأنّه قد تجاوز كل القيود البشرية، بما في ذلك الموت، تحدث إمريش كما لو أنه يناقش جمع الفراشات لتثبيتها على لوحة عينات قائلاً: "لديّ عملاء ميدانيّون يبحثون دائماً عن نوع معين من النساء والرجال، أولئك الذين يجمعون بين الجمال والبراءة، والذكاء والسذاجة ليتأهلوا كاختيار خاص. يجب أن تبدو أشكالهم حساسة وهشة، ولكن في الواقع يجب أن يكونوا أقوياء ذهنياً حتى يتمكنوا من تحمل الانكسار العاطفي مراراً وتكراراً. الزوار

الذين يقودهم إلى هنا أمثال كاميلا، وهم أشخاص ذوو إنجازات، ويتمتعون بسلطة كبيرة في الحكومة، والصناعة، والإعلام، والفنون، ومع ذلك لا يمكنهم المخاطرة بتلبية احتياجات معينة في مجتمع الموجيك، وعندما يشعر أفراد هذه النخب أن رغباتهم قد تحققت، فإنهم يساعدون في حماية الواحة، بما يضمن لنا أن نعمل إلى الأبد كما لو أننا أمة مستقلة".

قلت: "نيهيليم".

قال حائراً: "عفواً؟".

جاهدت لأبقي صوتي منخفضاً، كي أبدوَ مجرد شخص فضوليّ وليس محققاً، وقلت: "العملاء الميدانيّون أي الكشافة، أولئك الذين يجدون هذه الاختيارات الخاصة ويقدمونها لك، هل هم نيهيليم؟".

قال لي: "أنا لست على دراية بهذه الكلمة".

قلت له: "حسناً، أعني، هل تعرف الأسماء الحقيقية لهؤلاء الكشافة؟ هل تملك معلومات عنهم؟ كيف يمكنك الوثوق بشخص ليقوم بعملية اختطاف من أجلك؟".

عبس قائلاً: "لقد أثبتوا جدارتهم، وهم يكافَأون دائماً. كما تعرف، إن السير الذاتية وخطابات التوصية في بعض مجالات العمل، قد لا تكون في مصلحة الموظف أو صاحب العمل".

ابتسمت، وأومأت برأسي قائلاً: "نعم، بالطبع. إنّ انتزاع عنصر مثير مثل كاميلا، من دون ترك أي أثر يمكن اتباعه، والتأكد من أن أولئك

الذين يهتمون بها سيقودونها فقط إلى الأزقة المسدودة، يتطلب من الكشافة أن يتمتعوا بمهارة كبيرة في مثل هذه الأمور. يجب أن تكون الثقة بينك وبينهم متبادلة من دون أدنى شك. اسمع يا سيد إمريش، أريد أن أكون مع كاميلا".

ابتعد عن المنصة كما لو أنه مستعد لقيادتنا إليها، لكن بدلاً من ذلك رفع يديه نحوي في لفتة لا يمكن القيام بها، وقال: "يؤسفني القول إن هذا غير ممكن. لكن يمكننا مراجعة الأخريات، سترضيك أي واحدة منهنّ بالتأكيد".

قلت له: "ولكن، لماذا ليس كاميلا؟".

هز كتفيه ورأسه قائلاً: "من طبيعة الرغبة أنه في بعض الأحيان عندما يصبح كل شيء مستهلكاً، نلجأ للإشباع حتى ولو بتكلفة باهظة. بالنسبة إلى كاميلا طُلب من الزائر الأخير تعويض الواحة بمبلغ خمسمئة ألف دولار بسبب انغماسه. الموجيك ليسوا سوى موجيك، ولكن عندما يكونون مميزين بما يكفي للوصول إلى اختياراتنا الخاصة، لا يمكننا التخلص منهم كما لو كانوا وسائد ملطخة بالنبيذ".

وقفت مخدراً غير قادر على الحركة، لكنني كنت قادراً على التفكير والشعور. شعرت بالكثير من المشاعر الحادة، وضخّ قلبي كثيراً من الدماء، وضخّ ظلاماً لم أعرفه من قبل؛ ليست رواسب اكتئاب، ولكن ضباب غضب أسود. سألته: "هل هي ميتة؟".

أجابني: "عرف الزائر شديد الشغف التكلفة قبل أن يفعل ذلك،

لكنه لم يشعر بأنها مفروضة عليه، نحن فخورون بمعايير زوارنا ولا نستغلّهم أبداً".

قلت: "نصف مليون دولار، أهذا ثمن الحياة هنا؟".

قال: "كان من الممكن أن تكون القيمة أكبر لو كانت تبلغ من العمر عشرين عاماً بدلاً من ثمانية وعشرين عاماً، ولو لم تكن هنا منذ ست سنوات. لقد استفدنا منها كثيراً، ولم يكن لديها الكثير في المستقبل".

أصبح إمريش بليداً بعد كل السنوات التي قضاها في الواحة بسبب انغماسه الطويل في الطريق، لدرجة أنه عندما تبخّر إحساسه الأخلاقيّ، تبخّرت معه غريزة البقاء أيضاً.

لم يعد قادراً على الشعور بالذنب أو تجربة رد فعل القتال أو الهروب. نظراً لأنه لم يُعاقب أبداً على جرائمه الشنيعة، بعد أن أعاد تعريفها على أنها فضائل، وبعد أن كوفئ عليها بسرور مُطلق.

قلت: "كانت تساوي أكثر، أكثر من ذلك بكثير. كنت سأفعل أي شيء لإبقائها على قيد الحياة".

قال إمريش: "حسناً، القيمة في عين الناظر. هناك زوار مهمون سيكونون غير راضين عن عدم رؤيتها في الخيارات من الآن فصاعداً، لكن الكشافة مشغولون الآن بالبحث عن بديلة. في النهاية، وكما قلت، حتى أكثر الموجيك المرغوب فيهم ليسوا أكثر من موجيك، سيعثر على شخص آخر يثير الرغبة الشديدة. سيعثرون على أكثر من شخص، ربما يعثرون على دزينة، وبعد ذلك يتم الاختيار، في غضون ذلك، أؤكد لك، أن الأخريات متاحات

وسيرضيئنَك بشكل كامل؛ سترضى رضى لم تحلم فيه حتى في أكثر أحلامك جموحاً".

لم أجد جدوى بإخباره أنه شرير، وبأن عمق الشر لديه جعله أكثر جنوناً من أي شخص حيّ، إنه يظن أنه تجاوز الإنسانية، وهو واهم بأنه في منتصف الطريق نحو اعتناق الانغماس، إنه يعتقد وعلى نحو غريب أنه الوحيد الحقيقي، وأن سائر الأشخاص من نسج خياله أو من الإيدولون التي خلقتهم الواحة لخدمته وإرضائه. لم تؤثر فيه الكلمات، ولم تستطع أكثر التهديدات شراسة أن تنبّهه. لن يكون السكين الذي يلوح به أمام حلقه أكثر من مجرد فرصة لإثبات مناعته، فهو يعتقد أنه لا يمكن لمجرد أداة من المعدن أن تسكب دم أحد الآلهة.

كنت نصيراً للقانون ألوف شيل هالاخاه، ووصياً على القانون الطبيعي - مدافعاً عن القانون الطبيعي - ولم أطلب قطّ ملء الدور الرهيب للسوط. لكنني لم أستطع ببساطة فكّ شارة من قميصي والابتعاد، لأنها كانت مُعلّقة في قلبي. أطلقت النار على بودي إمريش ثلاث مرات، من دون أن أقلق أن الصوت سينتقل بعيداً في هذا الهيكل الصلب والمعزول جيداً. لم يعنِ له الرصاص ما كان يعني لأي شخص.

| 35 |

زينت الأضواء المكسورة في السقف المغطّى بالياقوت والذهب والجدران الكريستالية الخادعة بشرتّنا بأقواس قزح.

تجاوزت بانثيا الماسح الضوئيّ لبصمات الأصابع، ووضعت يدها بشكل مسطّح على باب السجون، حيث سُجِن ما يسمونهم بالخيارات الخاصة. فُتح القفل الإلكتروني، وبالتالي الباب، وظهر ممرّ يخدم اثني عشر جناحاً صغيراً، لكل منها باب قوي وقفل إلكتروني، كان الممر أقل فخامة من ذلك الذي سبق لنا أن شققنا طريقنا من خلاله.

هنا اكتشفت أنني وبريجيت قادران على فتح الأقفال، كما فعلت بانثيا من دون الحاجة إلى قول افتح يا سمسم.

كانت مواهبنا تنضج حتى نتمكن من إنجاز المهمة التي وُضِعَت أمامنا. شعرت بالحماسة والقلق أيضاً، لأنه لن يكون هناك أي طريق للعودة إلى كوين الذي كنت عليه سابقاً.

الآن، وبعد أن ماتت آني بايبر، كان هناك ست نساء وثلاثة رجال في هذه الغرف. في البداية خرجوا في حالة من الذعر، واثقين من أنهم استُدعُوا إلى أجنحة الزوار الذين قد تشمل رغباتهم الإذلال أو الألم الجسدي.

لقد دُرِّبوا ليكونوا على أهبة الاستعداد قبل حلول الليل، جاهزين للاستخدام من قِبَل بودي إمريش وزواره، وربما من قِبَل الطبيبَين المقيمَين عديمَي الرحمة اللّذين مارسا الطب في هذا المكان، ومن

قبل آخرين غيرهم. كانوا جميعاً يرتدون ملابس محتشمة باللون الأبيض، حيث كان من الأفضل إظهار البراءة والنقاء اللّذين ألهبا بشكل خاص الزوار القادمين إلى حوض الفساد البعيد هذا كي يُسيئوا معاملتهم.

كانوا جميلين بشكل غير طبيعي، كما وعد إمريش، ولكن ليس بشكل جريء. كانوا رقيقين وأنيقين.

لم يكونوا نحيفين أو ضعفاء، لكن بدا كل واحد منهم حساساً وقابلاً للكسر. كانت عيونهم ينبوعَ حزن، لكنها أيضاً مشرقة بالذكاء والتحدي. لم يفهموا على الفور نوايانا، عندما فتحنا أبواب غرفهم، كان بإمكانهم فقط افتراض أننا سنكون أسيادهم المطلقين. مع ذلك، لم يحنوا رؤوسهم خاضعين، ولم يمنحونا إشباع الخوف الواضح الذي كان سيطلبه أولئك الذين اعتادوا على خدمتهم.

لقد بدوا مسكونين، لكنهم كانوا من النوع القادر على تحمل هذا العالم المضطرب، والبقاء على قيد الحياة في معسكرات إعادة التعليم والعمل الشاق حيث هلك كثيرون، والوقوف في الوقت المناسب أمام المحكمة ليشهدوا ضد من استعبدهم وعذبهم. كأولئك الذين على الرغم من أن جمالهم قد يخفّف عنهم ضغوط هذا العالم، إلا أنهم سيتعاملون وكأنهم لا يمتلكونه. لو لم نأتِ، لكان بودي إمريش سيتعلم في نهاية المطاف، أن أحد هؤلاء - الذي يعتقد أنه ولد ليكون محطماً عاطفياً مراراً وتكراراً من أجل إرضاء الآخرين - سيثبت له أنه غير قابل للكسر أبداً، وسيجد اللحظة المثالية لتحطيم إمريش تماماً كما فعلتُ أنا بثلاث رصاصات.

عندما أُطلِق سراحهم من زنازينهم الواحد تلو الآخر، بدوا هادئين ومتحمّسين لاحتمال نيلهم الحرية. مع ذلك، كانوا في غاية الذكاء، وتعلموا من التجربة، لدرجة أنهم لم يتخلوا عن حذرهم، حتى إنهم لم يتشاركوا كلمات التشجيع. لقد كان الطريق بالنسبة إليهم طريقاً معبّداً بالزجاج المكسور ومليئاً بالنار، وربما توقعوا ألّا يكون المخرج أقل بشاعة.

أطلقنا سراحهم، وقدّمنا لهم المشورة بشأن الطريقة والطريق الذي سنغادر عبره، وتساءلت عن عدد النيهيليم الذين ازدهروا في الواحة، وأين كانوا، ومتى قد يهاجمون. إن أكلوا في بعض الأحيان قلوب البشر من أجل مذاق ورمزية هذه الوجبة، كانوا سيبحثون عن سلطة، ومقبّلات، وحلوى مني ومن سباركي، وبانثيا، وبريجيت.

اعتقدت أن المفاجأة الرهيبة الوحيدة المتبقية ستشمل هؤلاء النيهيليم. شعرت بألم شديد في قلبي عندما فتحت بانثيا الجناح الأخير في ذلك الممر، وحررت آخر امرأة، عندما شاهدت كيكو إيشيغورو - تلك الفتاة اللطيفة الخجولة ذات العينين السوداوين اللامعتين - التي كانت تهتم بحنان برافائيل - كلب دار الأيتام - بعد ذهاب آني بايبر إلى الكلية.

لاحقاً، علمت أن ابن عم كيكو، إيشيرو سوجيمورا، قريبها الوحيد المتبقي على قيد الحياة، لم يكن قريباً لها على الإطلاق. فبعد فترة وجيزة من انتقالها إلى أوستن، وجدت وظيفة هناك كي تكون قريبة من العائلة الوحيدة التي لديها. وعندها قدمها إيشيرو إلى

مالك ميمون، الذي تودّد إليها ثم طلب منها الزواج؛ لقد كان محتالاً بقدر إيشيرو. قبل أن يحصل الزفاف، استيقظت كيكو لتجد نفسها محبوسة في الواحة. بعد ذلك، تلقّت تعليمها من قبل بودي إمريش لإشباع رغباته الأكثر تطرفاً، وبالتالي رغبات الزوار الأكثر شهرة وفساداً.

سرعان ما ركضت كيكو إلى ذراعيّ عندما رأتني في ذلك الممر، وتعانقنا بشدة. قالت لي بصوت حزين مبحوح، لكنها لم تسمح لنفسها بالبكاء: "آني"، قلت لها: "نعم، أعرف".

دُهِشَت من وجودي في هذا المكان البغيض بقدر ما دُهِشْت بوجودها. اعتقدت أن إخضاع آني للمفترس إمريش كان محض مصادفة، لكن لا، لا يمكن أن يجمع القدر فتاتين من ماتر ميسيركورديا في هذا الجحيم الحيّ. إذا لم يكن اللوم على الخيانة البشرية، فعندئذ كان النيهيليم هم السبب. كان ملجأ الأيتام ملاذاً للبعض وساحة مطاردة لآخرين.

رأتني بريجيت ممسكاً بكيكو من وراء قضبان غرف الاختيارات الخاصة. لم يكن أيّ منا موهوباً بالتخاطر، إلا أن تعبيرها المتعاطف المصدوم أوضح لي أنها فهمت الشكل العام للاكتشاف الاستثنائي والمروع الذي فُرِض عليّ وعلى كيكو.

لم يعنِ موت إمريش أن هروبنا سيكون سهلاً، سينهض أبناء الروح في أي لحظة، أولئك المدمنون على المتعة، والمخدرات التي أدرجها إمريش في نظامهم الغذائي، وسيكونون جشعين لكل الأحاسيس

التي كان عليهم انتظار الليل لتجربتها. سيسعى كثيرون منهم - إن لم يكن كلهم - بعد أن يحطمهم اكتشاف موت معلمهم الداعم للحصول على المتعة الوحيدة التي لا تزال متوفرة ألا وهي الانتقام.

اصطحب سباركي وبانثيا ووينستون الأسرى المحرَّرين من ذلك المستوى الأعمق في الواحة، وصعدوا الدرج باتجاه الطابق المشترك الذي يضمّ غرف العربدة والغرف الخاصة، ولحقتُ بهم أنا وبريجيت.

سمعت بكاءً بائساً ينبعث من الباب المفتوح لشقة إمريش؛ ترنح تيم بعد أن وجد سيده ملقى بلا حياة فوق الحرير الأحمر. كان وجهه مغطى بالدم بسبب جرح في رأسه؛ تحول الآن وجهه الذي كان يعتقد أنه جميل إلى وجه قبيح. قد يكون ذلك بسبب الحزن، والصدمة، والخوف من التغيير الكارثي.

إن مليارات الدولارات التي استُخدِمَت لترسيخ وتغذية إدمان وكسل تيموثي وأمثاله، ستذهب الآن إلى ضرائب العقارات أو ستُجمع في صناديق ائتمانية من أجل تغطية أتعاب المحامين والدعاوى القضائية التي من شأنها أن تصل إلى المحكمة في غضون عقد أو نحو ذلك. تقلّص وجه الروح تيموثي بمرارة عندما رآني، وثخن حاجباه كما لو أنه يمرّ بمرحلة تحوّلٍ، وانكمشت عيناه. لم تكن التغييرات جسدية، بل كانت كيمياء العاطفة الشرسة. كشّر عن أسنانه، واقترب مني.

انحنت بريجيت أمامي، ومسدسها في قبضة يدها، وأطلقت عليه رصاصتين قبل أن أتمكن من سحب مسدسي؛ كانت حفيدة سباركي

رينكينغ. هدأت صرخة تيموثي عندما تبدّد معظم حلقه، وكان صوت جسده وهو يرتطم بالأرض حاسماً كصوت غطاء التابوت.

قلت: "أنت مذهلة".

قالت: "حسناً، نعم، ما زلت مدينةً لك بواحدة لتخلصك من السفّاحين في المزرعة".

سارعنا جميعاً نحو الغرف الجماعية، مروراً بمداخل الممرات الخمسة حيث لم يفتح أحدهم أبواب غرفه بعد.

إنهم يجهزون في لحظات، يرتدون ملابس سهلة الانتزاع، ويستعدون لتناول الطعام والشراب والأدوية الخاصة بهم في احتفال مروع بفراغهم. كان هذا دير يدعى الأمير بروسبيرو الحصين - قناع الموت الأحمر - على الرغم من أنهم لم يختبئوا من وباء بل كانوا يختبئون من حقيقة أنفسهم.

صعدنا الدرج مسرعين إلى الطابق الأرضي الذي يضم المطبخ والمسرح ذا الطابع المصري، والغرفة التي تركنا فيها الاثني عشر عبداً آسيوياً في سبات مخدر.

لا يوجد نيهيليم حتى الآن. ساد هدوء غريب، على الرغم من الأصوات التي أصدرناها.

جلبنا التسعة - الخيارات الخاصة - إلى المصاعد التي كنا مترددين في استخدامها سابقاً؛ الكابينة الأولى ربطت هذا المستوى بالمستويات الدنيا، والكابينة الثانية اتجهت نحو المرأب.

حثّ سباركي وبانثيا ووينستون التسعة على الانضمام إليهم في كابينة المصعد الثانية، والتي كانت عبارة عن عصارة. قررت أنا وبريجيت اللجوء إلى السلالم الحلزونية في العمود المكسوّ بالنيون الأزرق، بينما اتجه الآخرون إلى المرأب واستقلوا سيارتي المرسيدس سبرينتر كروزر، حيث كانت المفاتيح تنتظر في حاملات الأكواب.

بدأ الهروب بشكل رائع، ولا يمكن أن يحدث شيء خاطئ الآن باستثناء ما كان يحدث دائماً في مثل هذا المشهد. فقط عندما بدا أنه لم يتبقَّ شيء لنهاية هذه المغامرة سوى تشغيل المحركات الصاخبة وهتاف الهاربين ورجال الإنقاذ الأبطال الذين سيتم تكريمهم في وظيفة ما في المستقبل، عندها فقط سيأتينا وابل من الرصاص، أو طائرة من دون طيار مُجهزة بصواريخ هيلفاير، أو هجوم من قبل سكان الكون الأول ذوي المخالب التي يمكن أن تحطم صخرة.

كانت الشمس على وشك الغروب وفقاً لساعتي، وإذا كنا محظوظين، فسنحظى بدقيقة أو اثنتين.

انزلقت أبواب المصعد، وانفتح الباب إلى المسرح. خرج رجل من غرفة العمال الذين قد بدأوا يستيقظون من التخدير. خبأت بريجيت مسدسها في حقيبتها، وأنا خبأته خلفي.

كان طويل القامة، وعريض المنكبين، ووجهه شبيهاً بوجه الصقر، ولحيته سوداء مشذّبة، ولكنها كثيفة، كان سيبدو كمشكلة خطيرة لنا، لو أنه ما كان يرتدي لباس المستشفى الأخضر الباهت مع سماعة

طبية تتدلى حول رقبته. كان كطبيب ديونيسيوس الأكبر في حفلات العربدة، يوزع النشوة على شكل حبوب، ويجبّر العظام المكسورة ويكشط الندوب التي تظهر جراء التحديدات الخاصة، ويتقاضى مليون دولار سنوياً بالإضافة إلى أي طقوس عربدة يرغب بها، ربما احتاج زيّ رجل الطب للحفاظ على قوة منصبه، أو ربما أغرته إدارة الواحة، لدرجة أنه طلب زيّاً وسماعة الطبيب لتذكير نفسه بمن وماذا كان.

صاحت بريجيت وهي تتحرك بجرأة تجاهه: "مرحباً أيها الدكتور. هناك شيء في يدي، لا أعرف ما هو. إنه يخيفني نوعاً ما، هل يمكنك أن تلقي نظرة عليه؟".

لم نكن نرتدي الأردية التي طلبها إمريش من أطفال الروح، ولم نكن كالزائرين البارزين الذين أتوا للانغماس بالملذات لفترة من الوقت، أولئك كانوا يرتدون ملابس أفخم من ملابسنا، ملابس مرصعة بالألماس كالروليكس، ولويس فويتون، وغوتشي. لذا، فقد انذهل عند رؤيتنا بتلك الملابس العادية الجاهزة. حدق إلى بريجيت بعد أن ألقى عليّ نظرة خاطفة، وكان واثقاً أن الواحة لا تزال ملاذاً غير قابل للاختراق من قبل القوانين أو الأعراف الاجتماعية، لدرجة أنه لم يشك بنا، حتى سحبث وبريجيت سلاحينا.

لم أدرك ما كنت سأقوله حتى قلته. بدا السؤال محتوماً، مع الأخذ في الاعتبار مكانته الرفيعة في عالم الشر هذا: "كيف ماتت كاميلا؟".

قال: "يا إلهي".

سألته: "هل عالجتها؟".

أجابني: "أوه، اللعنة".

سألته: "هل حاولت إنقاذها؟".

أجاب: "اسمع، لم أستطع".

سألته مرة أخرى بنبرة حادة: "كيف ماتت؟".

كانت عيناه خضراوين لامعتين. أمسك نهاية السماعة الطبية بأصابع يده اليمنى كما لو أنها مسبحة - قطعة جرس الصدر، وقطعة الحجاب الحاجز المسطح، وقطعة الحجاب الحاجز المموج - متوسلاً كي يساعده أحد الفاسدين.

قلت: "كان اسمها الحقيقي آني بايبر. كيف ماتت؟ أخبرني الآن".

لا بد أن الممر أصبح مظلماً جداً من وجهة نظره، لأنّ بؤبؤي عينيه توسّعا إلى الحد الأقصى، وقال: "رجل فقد السيطرة. ضربها ضرباً مبرحاً. كانت... حالة ميؤوساً منها".

سألته: "من؟ من فعلها؟".

أجابني: "لا أعلم".

رفعت المسدس في وجهه.

قال وهو يرتجف: "أنا حقاً لا أعرف. بعض الزوار مشهورون، لكن هناك كثيرين ممن لا أعرفهم، ولن تعرفهم أنت أيضاً".

سألته: "ماذا فعلت بها؟"، قصدت أن أسأل ماذا حدث لجسدها.

كانت إجابته إجابة طبيب مؤقّت، غير مبالٍ عندما قال: "كان علينا التخلص منها".

شهقت بريجيت، وعندها فقط أدرك مدى قسوة رده.

قلت: "إذاً، كانت على قيد الحياة عندما رأيتها؟".

قال: "بالكاد".

قلت: "ألم تحاول إنقاذها؟ هل قتلتها وكأنها كلب مصاب بسرطان مميت؟".

قال: "اسمع، صدقني، يجب أن تعذرني. لم أرد فعل ذلك. اتخذ إمريش القرار. تحدث إليه، هو من اتخذ القرار. كانت في حالة حرجة، وقد تصاب بالشلل، إضافة إلى الندوب الرهيبة، وربما تلف بالمخ. قال إنها لم تعد صالحة للاستخدام بعد الآن، وليس لديها ما تساهم به. اسمع، حسناً، إمريش وضيع ومريض، لكن هذه طبيعته. لديه القوة، والأشخاص الذين لديهم القوة يحصلون على كل ما يريدونه. هذه هي الطريقة التي يعمل بها العالم. كانت تتعذّب. ليست لدينا التسهيلات هنا لعلاج شخص في حالتها. اسمع، اسمع، لم أستطع تركها تعاني. كان عليّ أن أضع... كان علي أن أضع حداً لمعاناتها".

قلث: "دعني أردّ الجميل"، وأطلقث النار على رأسه.

أثار إطلاق النار قلق قاطني الغرفة التي خرج منها الطبيب قبل لحظات، ثم سمعنا مجموعة من الأصوات المقلقة باللغة الإنجليزية

وما قد يكون كورياً.

درت حول الطبيب الميت، وكنت حريصاً على المكان الذي أضع فيه قدميّ؛ لقد كان في حال من الفوضى.

عندما دخلت أنا وبريجيت الغرفة حيث تم تقييد الاثني عشر نائماً بأسطوانات الأوكسيجين الخاصة بهم، صمتت جميع الأصوات. اغتسل الاثنا عشر، ونظفوا أسرّتهم، وارتدوا أردية رماديةً عديمة الشكل بدلاً من الأردية البيضاء، واعتمروا قبعات رمادية، كما لو أن مدير الموارد البشرية في الواحة استوحى هذا الزي من بطل العمال، الرئيس ماو تسي تونغ، الذي دفن الملايين منهم أيضًا... أخفينا أسلحتنا، ثم سألتهم: "من منكم يتحدث الإنجليزية؟".

ارتفعت اثنتا عشرة يداً، وتقدم رجل واحد إلى الأمام، وقال: "أنا مو غونغ. جئنا إلى هنا كعمّال مهرة، لكننا عوملنا كالعبيد".

قلت له: "مفهوم، سنخرج من هنا. تعالَ معنا".

قال لي: "ماذا عن أطواقنا؟ الألم يقتل تقريباً".

قلت له: "سنكون خارج نطاق أجهزة التحكم عن بعد التي تصدر الصدمات قبل محاولة استخدامها. يمكنكم خلع الأطواق في مكان آخر. لنذهب الآن. بسرعة".

عاد المصعد من المرأب، وخيّم الليل على بيبتو وآجو وفلاغستاف، وبدأ السبعة والثمانون من أطفال الروح حياتهم في المستويات السفلية. لم نجرؤ على القيام برحلتين، ركب أربعة عشر منا في

الكابينة نفسها. كنا مذهولين من الهدوء حولنا.

كان باب المرأب الكبير مفتوحاً. استقلّت الخيارات الخاصة اثنتين من سيارات مرسيدس سبرينتر كروزر، وكانت بانثيا خلف عجلة قيادة إحدى السيارات، وقاد سباركي سيارة أخرى مع وينستون.

تولت بريجيت قيادة السيارة الثالثة، وقمت أنا بقيادة الرابعة، وتوزع العمال ذوو اللباس الرمادي على سيارتين.

المفتاح في حامل الكوب.

أصوات هدير المحرك.

لا يوجد نيهيليم حتى الآن.

غادرنا منطقة الصحن، ونزلنا المنحدر كأننا نسير في حلم غريب. كان الدليل الوحيد على وجود الشمس هو وجود خط رفيع من الضوء الأحمر الدمويّ في الغرب؛ فلم يظهر القمر بعد.

كان رجل الأغصان يسمو في الليل، مثله مثل تي ريكس الفولاذيّ، وتمثال العين التي في الفم الذي بدوره في الأذن. أما مذبح الأزتك الحجريّ المشبع بالدم فسيكون في النهاية موضع اهتمام جامعي، ودليلَ الطب الشرعي في مكتب التحقيقات الفيدرالي.

قدنا عبر الحفرة التي تبدو وكأنها فوهة بركان، من أعلى الجدار المتآكل منذ فترة طويلة، إلى أسفل المنحدر إلى حيث تركنا الميركوري ماونتنير التي حصلنا عليها من جمهورية بيبز في الليلة السابقة.

قادت كيكو مع شخص آخر من الخيارات الخاصة، أول سيارتين من طراز مرسيدس سبرينتر، تبعها مو غانغ وطاقمه بسيارات أخرى.

كانوا سيتوجهون شمالاً على طريق الولاية 85، ثم شرقاً على الطريق السريع 10، وصولاً إلى فينيكس، والتي كانت تستغرق حوالى ساعتين ونصف الساعة، وبمجرد وصولهم إلى المدينة، لن يخاطروا برفع شكواهم إلى السلطات، لأن أي وكالة شرطة تقريباً ستضمّ عاملين من جهاز الأمن الداخلي الفيدرالي.

من المتوقع أن يدرك جهاز الأمن الداخلي جيداً أن رعاتها المتعاطفين - من المسؤولين الحكوميين، والمديرين التنفيذيين لوسائل الإعلام، وعمالقة الصناعة - قد ذهبوا إلى الواحة للانغماس في الفظائع. وسيرغبون في حماية أنفسهم وحرمان ضحايا بودي إمريش من فرصة إعلان الأسماء، لذلك سنذهب إلى منزل السيد هيكتور لويس سالسيديرو - مديري السابق، ناشر مجلة أريزونا! - مع ملاحظة مكتوبة بخطّ يدي. كان هيكتور رجلاً جيداً، وأحد أفضل الأشخاص الذين قابلتهم في حياتي، كما أن لديه الكثير من المعارف. كان يقود المتهمين إلى إحدى محطات التلفاز في المدينة ويجعلهم يفجرون القصص بطريقة مهولة بحيث لا يمكن سحقها بعد ذلك.

كانت بريجيت تتبع الطريق نفسه، على الرغم من أن فريقنا الصغير كان يفكر في وجهة مختلفة وهدف أكثر إلحاحاً.

وقفنا إلى جانب متسلّقي الجبال، نراقب العدائين وهم يصطحبون مصابيحهم في الصحراء المظلمة، بينما استغرقنا بضع دقائق

لمناقشة ما تعلمناه وللتأكد من اتفاقنا على طبيعة المشكلة والحل الأفضل.

بالعودة إلى الواحة، لم يعثر أحد على إمريش والروح تيموثي بعد، ولا على الطبيب الميت في المطبخ، لكنهم سرعان ما سيدركون الثغرات في أداء الموظفين. حتى أطفال الروح العاشقون غير المبالين يجب أن يكون أحدهم على الأقل لديه القدرة على وضع كأس النبيذ الخاصة به، والتخلي عن أي مخدرات تم ترتيبها له كالمقبلات على صوانٍ فضية، وتجاهل تأثير الفياغرا لمدة عشر دقائق، وتحوّل انتباهه عن أعضائه التناسلية، وإلقاء نظرة إلى عمق المشهد ليكتشف في النهاية غياب إلههم ووالدهم. لم أستطع تخيل ماذا سيحدث بعد ذلك. إذا يئس البعض، فهل سيتبعون جيم جونز ويستنشقون السم؟ ربما القليل منهم سيفعلون ذلك، ولكن ليس الكثير منهم. سيشعرون بالإغراء بوجود الكثير من الأعمال الفنية باهظة الثمن - مصابيح تيفاني، اللوحات الأصلية التي رسمتها تمارا دي ليمبيكا، أعمال الفضة لجان بويفوركات - ستكون فكرة نهب المكان وتعبئة سيارة أثرية مليئة بالكنوز أمراً رائعاً؛ لم يتم تشكيل أبناء الروح لمقاومة الإغراء إطلاقاً.

في البداية، بدا جنون العنف غير محتمل، إلى أن تذكرت أنهم تعلموا في مدرسة التعصب الأعمى، وجنون العظمة. ألقى إمريش اللوم على كل شرور العالم، على الجهلة الموجيك الرجعيين، على أولئك الفلاحين الذين أصروا على صحة الاعتراض، الأمر الذي حدّ من سلوك وسلطة المستنيرين. إذا كان النور نفسه قد قُتل رمياً

بالرصاص، فمن يمكن أن يكون الجاني غير موجيك يعيش وسطهم، ويتنكر كطفل روحيّ؟ يمكن أن تهبّ عاصفة من الشك في دقائق معدودة؛ عاصفة من الاتهامات والاتهامات المضادة.

أشعلنا الفتيل في هذه الطائفة المؤمنة بالثقافة الجنسية التي تقدر الإحساس والعاطفة أكثر من الأسباب، والتي يمكن أن تقوم بسهولة بأفعال قاسية وغير عقلانية.

سأل سباركي بينما كنا نشاهد المصابيح الخلفية لسيارات مرسيدس سبرينتر تتضاءل في الظلام: "هل كان هناك أي من النيهيليم في ذلك المكان؟ اعتقدت أنه سيكون وكراً لهم، لكننا لم نجد أحداً".

قالت بانثيا: "مهمتهم هي الفساد والبؤس. أتموا الفساد في الواحة، وكان عدد أعضاء الطائفة مُكتملاً. يمكن لإمريش ورفاقه المتوحشين إضافة البؤس على الخيارات الخاصة والعمال الآسيويّين وكذلك على النيهيليم. انتقلت الوحوش من هنا منذ زمن".

اختفى آخر ضوء شمس في الغرب، ولا يزال القمر مستلقياً في الشرق. لم أرَ شكلاً مظلماً هائلاً على عكس وعد هاكيم كاسبار، ولم أرَ أي مركبة فضائية تعمل من دون أضواء. لم نتمكن من الذهاب إلى أي مكان في ذكرى آني بايبر سوى إلى فينيكس، وأيضاً كنوع من تحقيق العدالة لكيكو إيشيغورو، كان علينا العثور على الشخص الذي اختار أكثر فتاتين عدلاً ولطفاً في ماتر ميسيريكورديا، واختطفهما إلى سجن الواحة. كان هو الشخص الشرير ذاته - أو على الأرجح كان

نيهيليم متنكراً بهيئة بشرية - الذي تكفّل بمقتل ليتون أورموند، عن طريق تحديد مكانه لوالده الهارب كوربيت، والكشف للقاتل أن ابنه كان محمياً تحت اسم آخر في دار الأيتام. لم يكن لديّ الوقت الكافي للتفكير في الآلام التي قد يلحقها الشخص نفسه بالأخوات، لكنني أعتقد أنني أعرف من هو الآن بعد أن نجح في إخفاء نفسه لسنوات عديدة.

| 36 |

سيكون هناك عدة طرق للحصول على سيارة لا يمكن تعقّبها بسعر مناسب، كما هو الحال في فينيكس وفي أي مدينة كبيرة، لكننا لم نخاطر بركن ميركوري ماونتينير أمام دار الأيتام، حيث كان من المحتمل أن يُكشف أمرها. لم تكن قضية تكلفة، فما زلنا نمتلك أكثر من مئة وأربعين ألف دولار من أموال عصابات المخدرات. وكلما احتجنا إلى المزيد، كلما كانت المغناطيسية الروحانية تحدّد لنا موقعاً في نوتنغهام. كانت المشكلة بصراحة هي الإرهاق؛ عاطفياً أكثر من عقلياً، وعقلياً أكثر من جسدياً، على الرغم من كوننا أيضاً متعبي العضلات والعظام، وجائعين.

أن تكون أحد أبطال القانون الطبيعي، فهذا يُعتبَر عملاً مستنزفاً. بحلول الوقت الذي أكملنا فيه مهمتنا في ماتر ميسيريكورديا، ربما سيكون هيكتور قد اصطحب الخيارات الخاصة والعاملين الآسيويين إلى استوديو تلفاز، وعرضهم على الهواء في الأخبار المتأخرة، وبعد ذلك من المحتمل أن نكون أنا وأصدقائي شخصيات عامة، ووجوهاً معروفة، يلاحقها جهاز الأمن الداخلي العام بشدة. بعد ذلك، يُنصح بالحصول على وجباتنا فقط عبر نوافذ خدمة القيادة الخاصة لمطاعم الوجبات السريعة، وأن نكون معتمرين قبعات بيسبول منخفضة، وسيكون من المهم أكثر من أي وقت مضى تواجدنا في سيارة غير معروفة للسلطات. ربما سنتمكن في غضون يومين، أو حتى غداً، من البحث عن بديل لسيارتنا الحالية. أما بالنسبة إلى البدء بهذه المهمة الليلة، فانسوا الأمر.

بعد تخطي ثلاث مجمعات سكنية، وقفنا أمام مبنى النهضة الإسباني الجميل الذي قضيت فيه معظم حياتي. كان يحوي أربعة أجنحة مكونة من طابقين، واحتلت المدرسة ودار الأيتام ثلث المجمع. كانت الجدران المملطة تلمع باللون الأبيض في وضح النهار، كلباس الأخوات في الميتم، وكانت أسطح القرميد على مدّ النظر، بدرجات لا حصر لها من اللون الأحمر والبرتقالي. الآن بعد الساعة العاشرة مساءً، أصبح لون تلك الأسطح المائلة أسود في ضوء القمر، وبدت الجدران رمادية شاحبة في بعض الأماكن، وزرقاء بشكل غامض في أماكن أخرى. كانت ماتر ميسيريكورديا مظلمةً في الغالب في تلك الساعة، باستثناء عدد قليل من الأطفال الأكبر سناً العازمين على الدراسة من أجل الامتحانات القادمة. يذهب كل من يعيش هناك إلى الفراش بحلول الساعة العاشرة مساءً، ويستيقظون عند الساعة السادسة صباحاً، إن لم يكن قبل ذلك، ليتبعوا روتينهم اليومي الراسخ الذي وجده الأطفال المنفصلون عن والديهم ضرورياً ومريحاً. توهج الضوء في أبراج الجرس الموجودة في الجناح الأمامي، وانعكس بهدوء من زوج من الفوانيس البرونزية على المنحدر عند المدخل الأمامي.

تقدم وينستون إلى الدرج وصعد المنحدر العريض، واستدار لينظر إلينا.

رأيت نفسي ورفاقي الثلاثة للحظة من خلال عيني الكلب. وقفنا على الرصيف تحت ضوء مصباح الشارع. لم يكن طريقاً مزدحماً للغاية، خاصة في هذه الساعة، وخلفنا كانت الممرات خالية، وأشجار

الشوارع ساكنة في الهواء الدافئ، وكانت أصوات المدينة النابضة بالحياة خافتة بشكل غريب، ثم هدأت تماماً. لم أسمع شيئاً سوى دقات قلبي وتنفسي المتسارع فجأة، بحيث بدا لي أننا نقف في مدينة أشباح، وبأننا نحن الوحيدين على قيد الحياة؛ انتابني شعورٌ رهيب.

عندما نظرت إلى بريجيت وبانثيا، رأيت أنهما تعرضتا لرؤية أكثر حدة من شعوري الحالي بأننا سنواجه شراً رهيباً.

كانت مهنة سباركي راينكينغ الغامضة، قبل اليوم الذي أصبحت فيه بريجيت في رعايته، قد تركته بمهارات المحارب، ولكنها أيضاً أخذت منه قدرته على الرؤيا. على الرغم من أنه وحده بيننا لم يكن لديه مواهب خارقة للطبيعة، إلا أنه أدرك ما شعرنا به نحن الثلاثة من الرهبة المشتركة. قال سباركي، كاسراً بصوته الصمت الغريب، وحاملاً معه أصوات المدينة كموسيقى جميلة: "أنتم، ما الخطب؟ ما هذا؟".

ارتجفت بريجيت قائلةً: "لقد رأيت... مدينة ميتة".

قالت بانثيا: "رأيت عالماً ميتاً، من دون أي أحياء من البشر من القطب إلى القطب. لا أعرف كيف أو لماذا أو متى، لكن سيأتي إذا... ".

وافقت بريجيت على ذلك قائلة: "إنه قادم، إذا لم نقضِ نحن والآخرون مثلنا على النيهيليم، واحداً تلو الآخر".

رقص الكلب في مكانه تعبيراً عن نفاد صبره.

ذهبنا إليه وتجمعنا على المنحدر حيث غمرنا نور المصابيح.

وظفت الأخت هيلدا ديتريش، مديرة للعقارات، والتي تشاركت مكتباً مع مساعدتها النهارية روزا جونز على يسار الردهة. ستكون هيلدا في هذه الساعة في شقتها في الطابق الأرضي، وستستجيب للزوار النادرين في الليل. لم يكن لدينا نية لرنّ الجرس وإشراكها في ما يحدث.

وضعت بانثيا إحدى يديها على الباب المصنوع من خشب البلوط حتى فُتح القفل، وتبعنا وينستون في الردهة، ثم أغلق سباركي الباب بهدوء خلفنا. كان هناك مصباح صغير على خزانة جانبية يعمل كضوء ليلي.

ذهبت إلى مكتب هيلدا، مسترشداً بضوء مصابيح الشوارع التي عبرت زجاج النوافذ، وجلست في مكتب روزا.

تميز هاتف باناسونيك بشاشة مضاءة في الجزء العلوي، وعلى طول الجانب الأيسر، مما أظهر لنا سجلاً مضاءً يحوي سبعة خطوط هاتف وستة عشر موقعاً للاتصال الداخلي. كانت الأخت ماري أغنيس التي شغلت منصب الأم الرئيسة، على رأس قائمة الاتصال الداخلي. لا يمكن استدعاء جميع الأخوات من أماكن سكنهنّ، لكن الأخت تيريزا كانت الثالثة في القائمة، الطبيبة النفسية والمستشارة التي علمتني عن النمل والطيور والأسماك.

لم نرغب في إيقاظ دار الأيتام بأكملها لأسباب عديدة، أولها، أنه قد يكون لدى المشتبه به فرصة للفرار أو إيذاء عدد قليل من الأطفال

في فعل شرير أخير في حالة الفوضى العامة. كنا بحاجة لاحتوائه والتحكم في أي رد فعل قد تكون لديه.

يعمل الاتصال الداخلي على وضع مكبّر الصوت، لذلك لم أكن بحاجة إلى رفع السماعة. ضغطت على الزّر المجاور لاسم الطبيبة. ستصدر نغمة إلكترونية في غرفتها الصغيرة، بصوتٍ عالٍ بما يكفي لإيقاظها إذا كانت نائمة، وقلت: "الأخت تيريزا؟".

ردت على الفور، وقد بدت في حيرة، لكنها غير خائفة من سماع صوت رجل في مملكة الإناث هذه، وفي هذه الساعة المتأخرة: "من المُتصل؟".

أبقيت صوتي منخفضاً، وقلت: "لا بد أنني فهمت قصة النمل، لكنني بحاجة إلى الطيور والأسماك".

قالت: "كوين؟ كوين كويكسيلفر؟".

قلت: "نعم. أنا آسف للغاية إذا كنت قد أزعجتك، أنا بحاجة ماسة للتحدث إليك"، كنت أعلم أنني لم أفعل، ولم تنزعج الأخت تيريزا، لكنني كنت قد تدربت جيداً على المجاملة.

سيظهر ضوء مؤشر الموقع الذي كنت أتصل منه في سجل الاتصال الداخلي على هاتفها.

قالت بهمس: "أنت في مكتب هيلدا؟ هل المكان آمن؟".

أكّدت لها قائلاً: "آمن مثل مصرف، هل يمكنك أن تقابليني هنا؟".

قالت: "نعم بالطبع".

قلت: "من فضلكِ لا تخبري أحداً، وتعالي بهدوء. لدينا بعض المشاكل". أنهيت المكالمة، وقمت بإنارة مصباح المكتب.

جاءت بانثيا وبريجيت من الردهة، متقدمتين على وينستون، وسرعان ما أنزلتا الستارتين على النافذتين اللتين تُطلان على الشارع، وتبعهما سباركي تاركاً الباب موارباً.

سمعنا وقع خطوات الأخت تيريزا في الردهة بعد أقل من دقيقة. ترتدي الراهبات عباءات بيضاء بسيطة، ويغطي الوشاح رؤوسهنّ جزئياً ويتدلى على ظهورهن؛ يطلقن عليه اسم الحجاب. من الواضح أن الأخت تيريزا لم تكن قد أنهت عملها عندما اتصلت بها، لأنها أتت مرتديةً زي النهار ذاته.

لم تكن مصدومة من رؤية أربعة أشخاص وكلب، أكثر من صدمتها من سماع صوتي عبر جهاز الاتصال الداخلي. لقد نسيت كم كانت تشبه الراحلة أريثا فرانكلين. تذكرت عرضاً للمواهب في فصل الربيع، حين جعلت الطلاب المتوترين يشعرون بالراحة بافتتاحها العرض بنفسها، والغناء بحماسة مع نسخة من أغنية الاحترام، والتي نُقِّحَت كلماتها لجعلها أغنية عن المصير البائس الذي سيصيب طلاب ماتر ميسيريكورديا الذين لم يفعلوا بالضبط ما تقوله لهم معلماتهم.

جاءت إليّ، وعانقتها. عندما عرفتها إلى رفاقي، صافحتهم جميعاً، ثم انحنت لتسمح لوينستون بلعق أذنيها، وقالت له: "يا لك من فتى وسيم!".

جلسنا والأخت تيريزا على ك مكتب مقابل بعضنا، ووقفت

بريجيت وبانثيا بجانب خزائن الملفات، بينما أغلق سباركي الباب.

قالت الأخت: "أنت آخر فتى أتوقع أن يخبرني أنه في مشكلة، لا أصدق ذلك، أي نوع من المشاكل ستكون هذه؟".

قلت: "لديّ أخبار عن آني بايبر".

تغيرت معالم وجهها إلى معالم كئيبة. كانت تعلم أن الأخبار السارة عن آني لن تصل بهذه الطريقة، وقالت: "تلك الطفلة الغالية".

قلت: "أنا آسف للغاية لما سأخبرك به. اختفت آني كل تلك السنوات لأنها اختُطِفت وأُجبرت على الانغماس في... العبودية الجنسية. قُتِلت في الآونة الأخيرة على يد رجل اعتدى عليها وأذاها بطريقة مروعة".

عضت الأخت شفتها، وأحنت رأسها. كنت مضاءً من الخلف بمصباح المكتب، بينما جلست هي في ظلٍّ باهتٍ، ولكن حتى في الضوء الخافت، بدت بشرتها الداكنة مصقولةً كوجه تمثال قديس في الكنيسة.

لمعت الدموع في عينيها، وقالت: "هل اعتقلت الشرطة هذا الوحش؟ هل قُبض عليه؟".

قلت: "ليس بعد، وهذا ليس كل شيء. يحزنني أن أخبرك أن كيكو إيشيغورو قد اختطفها الأشخاص أنفسهم".

قالت لي مصدومة: "هل هي...؟ كلا، لا يمكنها أن تكون، ليس كيكو أيضاً".

قلت: "كيكو على قيد الحياة، لكنها عانت كثيراً، ستعرض قصتها قريباً على الأخبار. وهناك المزيد".

أمسكت الأخت تيريزا بسلسلة الصليب التي كانت تضعها حول رقبتها، وضغطت عليه بقوة في يدها اليمنى، وقالت: "أكثر؟ يا إلهي، أتمنى ألا تكون فتاة أخرى من بناتنا".

هززت رأسي، وقلت: "ليتون أورموند".

قالت بحيرة: "ليتون؟ ليتون أورموند؟ ماذا تقصد؟".

قلت: "يعمل شخصٌ ما - شيءٌ ما - في ماتر ميسيريكورديا عميلاً لتجّار الجنس المسؤولين عما حدث لآني وكيكو، وهذا الشخص نفسه أخبر كوربيت أورموند عن مكان اختباء ابنه".

رمشت، وانسالت الدموع من عينيها، ثم تصلّب وجهها غضباً، وكأن الحزن لم يكن ردَّ فعل كافياً على الأهوال المتصاعدة، وقالت: "كوين؟ كيف تعرف هذه الأمور؟"، ثم نظرت إلى رفاقي بفضول أكثر من ذي قبل، وتابعت: "من هم أصدقاؤك؟".

إذا بدأت أتحدث عن ألوف شيل هالاخاه، والأطفال الذين ولدوا في هذا العالم من دون أب ومن دون حمض نووي من أمهاتهم، وعن مخلوقات من الكون الأول، فسأفقدها فقط عندما كنت في أشد الحاجة إليها.

قلت: "صدقيني يا أختي. كل هذا سيتضح عندما نتمكن من الجلوس هنا مع الأخت مارغريت واستجوابها".

قالت: "الأخت مارغريت؟ ما الذي تريد سؤالها عنه؟".

قلت: "إنها الصلة الواضحة. شجعت آني في كتاباتها ووجهتها إلى كلية معينة حيث حصلت على منحة ربما موّلها بودي إمريش".

قالت: "من إمريش هذا؟ لم أعرف أحداً بهذا الاسم".

قلت: "ستعرفين. طوّرت الأخت مارغريت علاقات وثيقة مع الفتاتين، كان من الأفضل البقاء على اتصال بهما بعد مغادرتهما، وتحديد موقعهما في حال طلب إمريش... موهبة جديدة. اختارت آني وكيكو لرعاية رافائيل، وأخذت ليتون أورموند إلى بيليني في اليوم الذي كان والده ينتظره هناك".

قالت: "هل نسيت أنها أخذت أطفالاً آخرين أيضاً؟ ليس فقط ليتون. كوين يا عزيزي، هذا لا معنى له".

قلت: "الأطفال الآخرون محظوظون لأنهم ما زالوا على قيد الحياة".

قالت: "لا، لا، لا. كان كوربيت سيطلق النار على الأخت مارغريت".

قلت: "أعتقد أنها رتّبت معه ليتظاهر بإطلاق النار عليها ثم التراجع والفرار، ولم يخطر لأي منهما أن مايكل بيليني سيسحب مسدساً".

هزّت الأخت تيريزا رأسها، وقالت: "مارغريت خجولة وهادئة، إنها الأكثر ورعاً بيننا. كيف يمكنك معرفة هذه الأمور؟"، ثم نظرت مرة أخرى إلى رفاقي وقالت: "لا يمكنك معرفة مثل هذه الأمور. إذا كان هذا الكلام الجنونيّ نصف ممكن، وإذا كانت هناك أي حقيقة فيه،

فلماذا لم تأتِ الشرطة إلى هنا لاستجوابها؟ لماذا أنت وأصدقاؤكِ فقط هنا، وليس الشرطة؟".

أمسكت يديها وقلت لها: "ستكتشفين كل شيء إذا ساعدتنا. كل شيء سيكون واضحاً. أختي العزيزة، عندما كنت مكتئباً للغاية لدرجة أنني لا أريد أن أعيش، أنت أنقذتني من الانتحار".

اعترضت بشدة قائلةً: "لن تنتحر أبداً".

قلت: "الأطفال ينتحرون أكثر وأكثر كل عام. يتم تعليمهم الخوف من المستقبل لمئة سبب في هذه الأيام، وهم يخافون. في ذلك الوقت، قبل ثماني سنوات، كنت أفكر في الأمر بجدية، كنت على حافة اليأس. أعطيتني الأمل، بل أكثر من ذلك، لقد علمتني أن أكون في حالة من الرهبة من الإرادة الحرة، وكان ذلك بمثابة معجزة. أرجوكِ ساعديني مرة أخرى، أرجوكِ ساعديني الآن. إذا كنتُ قادراً على إظهار معجزة لك، على الأقل شيء يبدو أنه معجزة بالنسبة إليّ، فهل ستساعديننا؟".

قالت: "تريني ماذا؟ ماذا ستريني؟".

قالت بريجيت لتستشعر نيتي: "هل أنت متأكد من أنك تستطيع القيام بذلك يا كوين؟".

ابتسمت لها وقلت بثقة: "الموهبة تنضج، تماماً كما حصل معك. إلى جانب ذلك، ماذا سنخسر؟ نحن على وشك الرفض هنا"، انحنيت إلى الأمام في مقعدي، وأمسكتُ بكلتا يدي الراهبة، وتوسلت إليها قائلاً: "ليس هناك ما تخشينه مني يا أختي. أنت تعلمين هذا، أليس كذلك؟

لا أعتقد أنك كنت تخافين من أي شخص في حياتك، لذلك من غير المنطقي أن أكون أنا الأول. فقط خذي بيدي للحظة، ثم ساعدينا إذا شعرت أنك تستطيعين ذلك. في نهاية كل هذا، سنحصل على إكلير من بيليني – على اثنتين لكلٍّ منا - ولن نفكر أبداً في السعرات الحرارية".

استاءت الأخت تيريزا من التهم الشريرة التي وجهتها للأخت مارغريت، لكن ذكري للإكلير، الذي يعود إلى اليوم الذي أخرجتني فيه أخيراً من بحر الاكتئاب المظلم، مسّ قلبها. استرخى وجهها المشدود، وأمسكت بيدي بعد تردد.

لقد رأينا نفسينا معاً من خلال عيني وينستون، وكانت اللوحة التي شكلناها معاً أكثر إثارة مما كنت أتمناه: الضوء الدافئ من مصباح المكتب، والظلال الناعمة، وملابسي الداكنة المتناقضة مع ردائها الأبيض، أنا الطالب السابق الذي انحنى أمامها لتلقّي حكمتها، الآن هي الطالبة العازمة على تعلّم شيء مني. ثم اقترب وينستون منا، ووضع رأسه في حجرها، ونظر إليها. حدقنا إلى عينيه، وشعرتُ كيف هزّتها التجربة. للمرة الأولى في حياتها، رأت نفسها كما رآها شخص آخر، في هذه الحالة، كلباً محبّاً.

حدّقت بعمق إلى عينيها من خلال عيني وينستون، وربما شعرت عند اتساع قزحية العين وكبرها، أنها تحدّق إلى روحها، في كل الغرابة - الإمكانيات والغموض – التي يمكن أن تتواجد فيها.

كان هذا مخيفاً بعض الشيء، إلا أنه كان مبهجاً وجيداً.

| 37 |

ذهبت صديقة وينستون الجديدة بمفردها إلى غرفة الأخت مارغريت للإبلاغ عن وجود كلب ضالّ في المبنى في وقت ما خلال اليوم. ادّعت أنها شاهدته في مكتب هيلدا ديتريش. نظراً لأن الأخت مارغريت كانت تشرف على الطلاب القائمين على رعاية كلب ماتر ميسيريكورديا الراحل رافائيل والذي نفتقده جميعنا، كانت بالطبع ستميل إلى هذا، وتختار الأطفال الذين سيستفيدون من تحمل مسؤولية الحيوان.

أتت الأخت مارغريت مع الأخت تيريزا في أقل من خمس دقائق. كان شعرها الأصهب مليئاً بالشيب؛ لم يكن كذلك في الأيام التي علّمت فيها آني بايبر على رعاية كلب بشكل مناسب تحت إشرافها؛ وملأ النمش اللامع بشرتها الشاحبة الناعمة، وبدا وجهها صافياً وبلا ذنوب كما كان دائماً.

ذُهِلَتْ بعض الشيء عندما اكتشفت وجود أربعة أشخاص ينتظرونها مع الكلب اللقيط، لكنها أدت دور الخجولة والمتواضعة كما كانت تفعل دائماً، واستقرت بخنوع على أحد كراسي المكتب عندما قيل لها إن لديّ بعض الأسئلة.

شغل وينستون المساحة تحت المكتب لمراقبة الإجراءات من هناك، وانتصبت أذناه. بدا أن الأخت مارغريت علمت على الفور أن الأمر لا يتعلق بكلب ضالّ، فلم تقل شيئاً للكلب ولم تسأل عنه.

لاحظت أن الأخت تيريزا ندمت على كونها مغشوشة بتلك المرأة،

فهي كانت أخصائية نفسية وراهبة في الوقت ذاته؛ ربما بدأت في قراءة بعض التصرفات المزعجة في أداء الأخت مارغريت، والتي لم تلحظها من قبل.

أغلق سباركي الباب ووقف أمامه، بينما ذهبت بانثيا للوقوف عند النافذة وأولتها ظهرها، وكذلك فعلت بريجيت عند النافذة الأخرى، بينما وقفت الأخت تيريزا بجانب خزائن الملفات.

ترك هذا معظم مساحة المكتب الكبير لي، وكنت أنوي استخدامه؛ أن أبقى واقفاً على قدمي، وأتحرك ليس كمدّعٍ عام يتجول أمام منصة شاهد، بل كطالب سابق لا يزال يعاني من العذاب، ولا تزال تطارده فكرة فقدان صديقه إلى الأبد.

قلت: "أنا آسف على إزعاجك في هذه الساعة أيتها الأخت مارغريت، تعلمين أنني لن أفعل هذا ما لم يكن الأمر ضرورياً".

قالت بلكنة إيرلندية: "لا مشكلة على الإطلاق"، كان صوتها كالموسيقى البعيدة. وضعت يديها في حضنها، وكانت راحتاها مرفوعتين ومفرودتين. عندما شعرت بانقباضهما، عادت وأرختهما مرة أخرى.

قلت: "ساعدتني الأخت تيريزا بجلبك إلى هنا، إنها تعرف عذابي. لقد أنقذت حياتي في ذلك اليوم، عندما بدا لي العالم مشوهاً للغاية، ولم أرغب في العيش فيه".

راقبتها، وانتظرت ردّها، لكنها بقيت صامتة، وكأن الصمت المتبادل في هذا الموقف لم يكن غريباً.

سألتها: "هل تعرفين ذلك أيتها الأخت مارغريت؟".

أجابتني: "لقد كانت محنة كبيرة لنا جميعاً"، شبكت يديها، وكأنها تتذكر مفهوم الصلاة.

توقفتْ عن الحركة، وجلستْ على حافة المكتب.

قالت: "الآن سحبتني تلك المياه المظلمة إلى الأسفل مرة أخرى. لقد ضللت الطريق، وسآتي إليك".

بالكاد كان فمها يتحرك وهي تتحدث، وكانت الكلمات تخرج منها كما لو كانت تخرج من جهاز من بطنها إلى مسرح وهمي وهي تقول: "ليس لديّ... لا توجد سعة".

قلت: "أنا آسف. لم أفهم".

قالت: "أنا شخص بسيط، الجميع يعرفون ذلك عني. لديّ الكثير من الحدود، ولا أملك القدرة على أي شيء سوى الإيمان. الأخت هي الطبيبة النفسية، والمستمعة الفضلى، وقلبها ألطف من قلبي".

رأيت جبين الأخت تيريزا يتجعد بينما كانت الراهبة الصغرى تنشر التواضع بشدة.

قلت لها بعد صمت لم يقطعه أحد: "أنا متأكد من أنك تتذكرين آني بايبر".

قالت: "بالطبع".

تشاركنا لحظة صمت أخرى. إذا كانت حقاً كما تبدو، مجرد بشر،

فهي غريبة الأطوار.

أدرَكت أنها بحاجة إلى قول المزيد، فقالت: "مأساة. غالباً ما تخطر آني على بالي".

قلت: "نعم، أتخيل ذلك. لقد عُثر عليها".

ألقت الأخت مارغريت نظرة خاطفة عليّ، وسرعان ما أعادت انتباهها إلى يديها لتكمل دعاءها الباهت.

سألتها: "ألا تتساءلين أين وُجِدَت؟".

أومأت برأسها قائلةً: "أريد أن أعرف، لكنني أخشى أن أسمع".

سألتها: "لماذا تخافين؟".

قالت: "بعد كل هذه السنوات...".

قلت: "نعم؟".

سألت: "كيف يمكن أن تكون الأخبار جيدة؟".

قلت: "نحتاج الآن إلى قدرتك على الإيمان أكثر من أي وقتٍ مضى. تم اختطاف آني إلى مكان بعيد في مقاطعة بيما، إلى مكان يسمى الواحة".

نظرَت إلى عينيّ مرة أخرى.

تابعت قائلاً: "وكذلك كيكو إيشيغورو. اغتصبوها وأساؤوا معاملتها".

غطت الأخت مارغريت وجهها بيديها.

قلت لها عندما شعرت أنها قد تستمر بهذا الوضع طالما سُمح لها: "ليس لدينا أيدٍّ حتى نتمكن من الاختباء من قبح العالم أيتها الأخت".

عندما أنزلت يديها، كانت نظرتها مُصطنعة بشكل سيئ، متطرفة للغاية في تمثيلها للخجل والبساطة. ظهرت بوجه فارغ وعينين فارغتين كالمغفلة، ولكنها بالتأكيد لم تكن كذلك.

سألتها: "ماذا يعني الدفاع عن القانون الطبيعي أيتها الأخت؟".

تلاشت ملامحها الفارغة، وازدادت ملامح الركود، لكنها تظاهرت بالحيرة.

سألتها: "ماذا يعني ألوف شيل هالاخاه أيتها الأخت؟".

كانت تعرف لكنها لم تقل، كما لو أنها كلمات تعويذة ستدمرها.

خطوتُ أمامها، ومددت يدي، ثم حدّقت إليها حتى فهِمَت أنني لن أتراجع. مثلت دور الرزينة مرة أخرى، وأخذت يدي.

كان وينستون يشاهد الأخت مارغريت من تحت المكتب. نظرت إليها بينما كانت تشاهد نفسها من خلال عيني الكلب.

صُدِمَت، وشدت قبضتها عليّ، لم تكن مستقرة بسبب هذا التطور لدرجة أن قوتها في التنكر تلاشت.

رأينا ذلك أنا ووينستون، وتحوّل أصبعان من أصابعها إلى مجسّين

رفيعين، وشعرت بواحد منهما حول معصمي؛ ليّناً، أملسَ، وبارداً.

تراجعت، مُعلناً بشكل لا إرادي: "نيهيليم".

جعلت تلك الكلمة سباركي يتقدم خطوة تجاهنا، وأظهرت استجابة مثيرة - وغير متوقعة - من الشيء الذي كان يتظاهر بأنه الأخت مارغريت. توقف عن انتحال الهوية، وانهار الوجه التائب، وتحول إلى دودة أنسيلوستوما جشعة، كما لو أنها أكلت وجهها الزائف. كان هناك شيء شاحب وشائك وعميق داخل فمها عديم الأسنان، ربما كان لساناً حاداً. هسهس المخلوق، ثم قفز عن الكرسي.

أمسكت الأعضاء الستة لكل يد متحولة بكرسي المكتب، وألقت به. تفاداها سباركي، وحملنا مسدساتنا. سارع الوحش إلى الدفاع، وطرح سباركي جانباً، فاصطدم رأس المحارب العجوز بزاوية المكتب وسقط في دمائه. كان هذا النيهيليم أغرب من كل شياطين أحلامنا الذين يبحثون عمّن يبتلعونه، حيث فتح الباب واختفى في الردهة.

لا بد من أن هذا المخلوق قد استمتع بفترة خداعه، فعاش بين الأخوات كواحدة منهن، وتسبب بموت ومعاناة بعض من أطفالهنّ المفضلين. تساءلت عمّن سيكون الضحية التالية - بالإضافة إلى آني، كيكو، وليتون - لذلك الشيء الذي يُدعى مارغريت. من سيكون التالي؟

سكنت نصف الأخوات في الطابق الأرضي، لكن جميع الأيتام وبقية الراهبات سكنوا في الطابق الثاني. كان الوحش قوياً، بمخالب حادة، ويهدف إلى تدميرٍ دمويّ. كان حرّاً في المبنى، وسيقتل كل

طفل يصادفه، ليعلن أنه لا يوجد قلبٌ مقدس، وأن الموت العنيف هو المكافأة الوحيدة للبراءة.

وجدت نفسي في الردهة أنظر نحو الدرج المؤدي إلى الطابق الثاني. يبدو أن المخلوق قد أكمل تحوله، واختفى في ردهة الطابق الأرضي الرئيسي.

عندما وصلت إلى الزاوية، رأيت لباس الراهبة الذي مزقه النيهيليم كالورق، وألقاه جانباً. وجدت إلى الأمام من جهة اليسار باباً يتأرجح بسبب ثقله. كنت أعلم أنه قد نزل إلى القبو.

نزلت ومسدسي في يدي. لقد نزل النيهيليم في الظلام، من الواضح أنه لا يحتاج نوراً ليرى. وجدت مفتاح الضوء، وعندما أنرث الأضواء تضخم الدرج الخرساني.

ترددت في متابعة طريدتي. كان الأيتام يُمنعون من النزول إلى ذلك العالم السفلي، رغم أننا كنا نذهب إليه من وقت إلى آخر في مجموعات صغيرة، بروح المغامرة أكثر من العصيان. احتوى الهيكل الكبير لماتر ميسيريكورديا على أنظمة ميكانيكية معقدة، وكان العالم أدناه عبارة عن متاهة من الأنابيب، والمضخات، والغلايات، والأفران، والمبردات، والعديد من الآلات الغامضة التي لم أتمكن من تسميتها. كانت هناك أماكن لا تُعدّ ولا تُحصى يمكن للوحش أن يختبئ فيها، وينقض فوقي فجأة، بحيث لا أملك الوقت لاستخدام المسدس.

عندها فقط عشت دور بانثيا، ونضجت هبتي لتشمل استبصاراً حيّاً. رأيت الشرير يسترجع مفتاح ربط طويل من خلف خزّان كبير

مليء بمياه شديدة السخونة، حيث خبأه هناك منذ فترة طويلة. رأيته يتحرك بين أنابيب المياه وخطوط النفايات والمواسير الكهربائية، متجاوزاً مجموعة من القواطع. انحنى النيهيليم، وأطبق فكّي مفتاح الربط على أداة توصيل سداسية عند تقاطع الأنابيب.

فجأة تقدمت الرؤيا بسرعة، رأيت وميضاً أزرق مائلاً إلى البرتقاليّ قوياً، وزجاجاً ينفجر من النوافذ في الطوابق العليا من المبنى، وحريقاً في الممرات. كان النيهيليم ينوي إغراق الطابق السفلي بالغاز الطبيعي، إن المتعة التي سيشعر بها عند قتل عدد قليل من الأطفال لم تكن شيئاً مقارنة بفرحة حرقهم جميعاً.

أسرعت إلى أسفل الدرج، ومسدسي بين قبضتي، ووجدت زوجاً من مفاتيح المصابيح. أضاء الأول الغرفة من حولي، وأنار الثاني سلسلة طويلة من الأضواء المثبتة على عوارض السقف.

ركّزت المغناطيسية الروحانية على الصورة الذهنية للنيهيليم، وتحركت بحذر بالسرعة التي تجرأت عليها تحت سلسلة الأضواء التي تبعد كل منها عن الأخرى خمس عشرة قدماً. تضاءل ظلي وتقلّص تارةً وتضخم تارةً أخرى.

يشبه قبو دار الأيتام متاهة الغرف المحبطة التي تجعل قلب النائم الحالم يرى أن الموت يطارده، يخفق بشدة حتى يستيقظ متصبباً عرقاً، صارخاً بأعلى صوته. في تلك اللحظة، بدا أنه بُني وجُهِّز بشكل خاص لتزويد النيهيليم بأماكن إخفاء لا نهائية. أنارت الأضواء فقط وسط كل غرفة، تاركة الظلال تزحف إلى المدخل، هزتني لحظة

ثانية من الاستبصار: يوم صيفي، فناء مليء بأشعة الشمس، وكرسي متحرك. كنت على الكرسي مصاباً بشلل نصفي، ورأسي مائلاً إلى الخلف، أشاهد الطيور وهي تطير في السماء. كانت يدي اليسرى قد بُتِرَت، وعيني اليمنى أُزيلَت وخيطت؛ كان وجهي مشوهاً بشكل فظيع.

أحياناً تكون هذه الرؤى حول ما قد يحدث، وليس لما سيحدث لا محالة؛ هكذا قالت بانثيا. من ناحيةٍ أخرى، ربما سيتحقق هذان التنبؤان، وستتحطم المدرسة إلى أنقاض في انفجار غاز وسأبقى - ما بقي مني - فيها لتمضية سنواتي في تخيل سيناريوهات لم أفشل فيها.

عندما مرت الرؤيا، تشجعت، وعبرت المدخل بسرعة، متقدماً مع مسدسي.

تحركت بشكل جانبي، ووضعت ظهري على الحائط إلى يمين الباب، وفحصت الغرفة التي أمامي، لكنني لم أجد شيئاً؛ فقط صوت الماء يندفع عبر الأنابيب، وخرخرة المحركات الصغيرة التي تخرخر وصوت تيك-تيك-تيك لشيءٍ ما.

تابعت سيري حيث من المتوقع أن يفعل ذلك أبطال القانون الطبيعي حتى وإن لم يفضّلوا ذلك. بعد ذلك بغرفتين، أصبحت في عمق القبو لدرجة أن المسافة التي تفصل المدخل عن المخرج كانت متساوية، وعندها انطفأت أنوار المصابيح.

قد تكون موهبتي الخارقة في طريق النضج، لكنّ عقلي كان

عالقاً في أواخر مرحلة المراهقة. أثناء اندفاعي لتجنُّب تدمير ماتر ميسيريكورديا، لم أحظَ برؤية واضحة بما فيه الكفاية للتنبؤ بأن طريدتي، التي اعتادت على كونها مفترسةً وليست فريسة، قد تُعميني.

كان مفتاح نور الصباح على بعد غرف مني. لم يكن لديّ أي فكرة كيف سأعثر على مكان الشخص الذي من شأنه تشغيل المصابيح الأخرى في هذا المكان.

لا يستغرق الارتباك سوى دقائق للتغلب على شخص ما في الظلام المطلق. إنه يعطل الجيروسكوب في رأسك على الفور، لذا يبدو أن الطريق أمامك هو خلفك؛ سرعان ما تدرك أن الأرضية التي لطالما عرفتها على أنها من البلاط الخرسانيّ ثابتة بقوة في الأرض، أصبحت تتحرك تحت قدميك، وتهتز كسطح السفينة.

كان النيهيليم، ذو المجسات والمخالب الذي يرى في الظلام ويأكل القلوب، قادماً نحوي.

استدرت في مكاني، ورفعت مسدسي أمامي، وحاولت الاستماع لخطواته، حفيف، أو نفَس. هزت فقاعات من الهواء في الماضي في أنبوب ماء، وارتجفت مضخة للحياة، وفُتِح صمّام بصرير رقيق.

ما زلت أستدير في مكاني، ثم سمعت زفيراً، لكنني أدركت بعد ذلك أنه كان مني، فحبست أنفاسي. ربما سمعت شيئاً آخر غير الأصوات المحيطة بتلك المساحة، أو ربما أخبرتني المغناطيسية الروحانية، لذا توقفت عن الدوران، وضغطت على الزناد ثلاث مرات.

دوّى شيء معدني على الأرضية الخرسانية، ثم تبعه صوت أرقّ وأثقل. بدأت أتنفس مرة أخرى لكنني لم أتحرك. استمعت، وانتظرت.

انطفأت أضواء المسار بعد دقيقة تقريباً. كانت الأخت مارغريت ملقاة على قدميّ عارية كما خُلقت يوم ولادتها.

إن النيهيليم لا يتركون وراءهم جثة شنيعة. يموتون كالريشون، محافظين على سر الكون الأول وحقيقة اقتحامهم لهذا الكون.

سمعت صوت بريجيت من بعيد يتردد بهدوء عبر المتاهة: "كوين... كوين... كوين...".

كان هذا هو الاسم الذي أسماني به شخص لا أعرفه.

| 38 |

مر عام كامل على تلك الليلة في دار الأيتام، ولم تصبح فينيكس مدينة الأشباح كما في الرؤيا، ولم تصبح الأرض مقبرة من القطب إلى القطب بعد.

يجد الأشخاص الطيبون نقاط قوة جديدة في أنفسهم، وينهضون لمواجهة أبشع التحديات، حتى في أكثر المناسبات فظاعة، ولهذا، آمل أن أسوأ الأشياء التي توقعناها يمكن إحباطها أو قد لا تتحقق أبداً.

تعتقد الأخت تيريزا أنها رأت شيطاناً استحوذ على الأخت مارغريت في مكتب هيلدا ديتريش. شاركنا مع معالجتي كل ما نعرفه وما قيل لنا عن أصول النيهيليم، لكنها فضّلت تفسيرها بطريقتها، من يدري؟ قد يكون كلانا على حق.

لم تكن الأخت مارغريت إنساناً على الرغم من ظهور جثتها، ولكن ما كانت السلطات لتقتنع بذلك، حتى لو كان بعض رجال الشرطة والمدّعون العامّون يثقون في فكرة الحيازة الشيطانية، فلا يوجد أي طارد أرواح شريرة بمسدس.

بالتالي، لم يكن لدينا من خيار سوى لفّ الجثة بقماش القنب ونقلها إلى الزقاق خلف ماتر ميسيريكورديا وتحميلها في الميركوري ماونتنير. ظل ملجأ الأيتام والمدرسة التابعة له مكانين سعيدين، وفي الواقع أكثر سعادة مما كانا عليه منذ سنوات. فالطلقات النارية ظلت في القبو، لأنه حتى الطلاب الذي يسهرون للدراسة، كانوا

ملتزمين بقواعد النوم بحلول الساعة الحادية عشرة، كان الروتين الذي يعيشون به يريحهم في تخطي جميع اللحظات الحرجة.

تحملنا ليلة طويلة شملت خروجي بالسيارة من المدينة، وإعداد قبر في الصحراء. أخيراً، ظهرت عاصفة الحشرات والخفافيش التي طال انتظارها، وهذا ما عقّد العملية.

احتاجت الأخت تيريزا إلى اختلاق قصة لشرح قرار مارغريت المفاجئ بترك رهبانية بور كليرز. لحسن الحظ، لقد خدمها تدريبها كطبيبة نفسية في هذه المهمة بطريقة لم يكن من الممكن أن يؤديها تكوينها كراهبة. أتساءل أحياناً عن الكاهن الذي سمع اعترافها وماذا قال عنه.

فقد سباركي بعض الدماء جرّاء الجرح في جبينه. استخدمنا المغناطيسية الروحانية قبل السفر إلى الصحراء لدفن النيهيليم، كي نعثر على طبيب يعيش فوق عيادته، والذي كان على استعداد لتضميد الجرح وتوفير المضادات الحيوية مقابل خمسة آلاف دولار نقداً. كان يبلغ من العمر واحداً وسبعين عاماً، مدمناً على الكحول، مؤمناً بمجموعة متنوعة من نظريات المؤامرة، وادّعى أنه شاهد الأجسام الغريبة في ثماني عشرة مناسبة، لكنه ضمّد جرح سباركي بشكل جيد.

انتشرت قصة الواحة في جميع أنحاء العالم، حيث ضاعفت تصنيف شبكات الكابل التي نشرت الفضائح المثيرة، والتي كانت بالفعل مثيرة للغاية لدرجة يصعب تصديقها. أدانت وسائل الإعلام

بعض الزائرين الفاسدين للواحة ودمرت سمعتهم، ولكن تم الدفاع عن الآخرين بقوة ضدّ الكمّ الهائل من الأدلة. كما هو الحال دائماً في هذه الأوقات الغريبة، كان يتم إفشال العدالة بقدر ما يتم تحقيقها، وتمكّن بعض أسوأ الجناة من التحول إلى ضحايا ثم إلى شهداء؛ أظن أنه في غضون سنوات قليلة، سيُنظر إلى البعض منهم على أنهم أبطال.

لا يزال جهاز الأمن الداخلي يبحث عن بانثيا وبريجيت وسباركي ووينستون وأنا. نحن نعيش هاربين بالمعنى المجازي. في الواقع، إنها أشبه بنزهة سريعة، لأن موهبتنا تزداد، ونستخدم العديد من الأسماء، ونغير مظهرنا بطرق خفية ولكنها ذكية.

كانت الهدية الأكثر فائدة من التنكر والتي طورها ثلاثة منا والتي نسميها إسقاط الهوية، هي خدعة مشابهة لخدعة النيهيليم. إذا كنت أريد أن أكون في الخمسين من العمر وبديناً وأصلع، فأنا أعرض تلك الصورة، وبالتالي يتم تصوّري كما تخيّلت.

بالأمس كانت بريجيت عاهرة ساحرة مع ثؤلول على أنفها، وتحولت بانثيا إلى فتاة ذات وشوم تقود دراجة نارية. يمكن أن تمتد هذه القوة أيضاً إلى حاشيتنا، والتي تتكون بالطبع فقط من سباركي ورفيقنا الكلب. يمكن أن نحول وينستون لأي سلالة موجودة، لكننا لم نجعله يتحول إلى قطة.

لم أعد كوين كويكسيلفر البسيط الذي اعتدت أن أكونه عندما كتبت لمجلة أريزونا! الذي كان يخاف من مرائب السيارات، ويتخيل

أن والده قد يكون زعيم عصابة، ووالدته عارضة أزياء سابقة مشوّهة وقلقة. أنا بخير مع عدم كوني هو، لأنني لم أكن في حالة حبّ مع أي شخص في ذلك الوقت، أما الآن، فأنا في حالة حب مع عائلتي. لم يكن لديّ عائلة في ذلك الوقت، لكن الآن لديّ عائلة غير تقليدية.

لم يكن لديّ أي هدف بعد ذلك، ربما باستثناء أن أصبح روائياً. متأكد من أنني لم أكن لأستمتع بكوني روائيّاً. كنت أعتقد أن الروائي يمكنه تغيير العالم، ربما يفعل البعض ذلك، لكنهم ربما يؤثرون سلباً أكثر من إيجاباً. فهم بشر بعد كل شيء.

في الوقت الحالي، يحتاج العالم إلى الإنقاذ أكثر من التغيير، لذا، فإننا نبذل قصارى جهدنا لتعقّب النيهيليم والقضاء عليهم، مجموعة من صيّادي مصاصي الدماء، من دون الحاجة إلى الثوم أو الأوتاد الخشبية التقليدية.

على الرغم من أن بريجيت وبانثيا قد توقعتا مأساة، إلا أننا نجونا جميعاً حتى الآن.

ربما يكون الفارق الأكبر بين كوين القديم والجديد، هو الغضب. نادراً ما كنت أغضب في الأيام الخوالي. الآن يمكن أن يتعمّق الغضب داخلي ويغرس مخالبه، ويجب أن أحترس من أن يصبح الغضب الصالح شيئاً أكثر قتامة. أنا أفهم لماذا تشكّل العالم بهذا الشكل، وأنه يجب أن يكون لدينا إرادة حرة، وأن نكون أكثر من نمل، ويجب أن نعرف الشرّ إذا أردنا معرفة الخير.

ما يؤرقني في بعض الليالي هو قناعتي بأنه إذا لم يكن هناك

نيهيليم، فإن الشر سيزدهر بالمعدل نفسه الذي هو عليه الآن. الكثير من الناس يتوقون للتسلّط على الآخرين، وعقولهم مناطق للحكم الذاتي حيث لا يُنظر لأي حقائق أخرى غير معتقداتهم، وعلى الرغم من أن القليل منهم سيكون لديهم ثروة وقوة بودي إمريش، لكنهم سيجنحون لتحقيق ما حققه. يجب أن يكون غضبي إلى الأبد درعاً وليس سلاحاً.

الحب هو الوتد الخشبي الوحيد الذي سيغيّر القلب الشرير؛ لذا يجب أن نشذبه دوماً، ونبقيه جاهزاً باسم أولئك الذين فقدناهم مثل ليتون أورموند وآني بايبر. يجب أن تكون التصرفات الغاضبة مخصّصة لأولئك الذين لن تتراجع قلوبهم عن وثنية القوة. ما أغرب العالم والحياة فيه! كم أنا غريب! والشيء الأغرب - والأكثر غموضاً وروعةً - هو أن هناك عالماً من الأساس، وهناك أنا، وهناك أنت.

انتهى

Notes

[1 ←]

Dirty Harry Clean Now.

[2 ←]

مارا سالفاتروشا، المعروفة باسم MS-13، هي عصابة إجرامية دولية نشأت في لوس أنجلوس، كاليفورنيا، في السبعينيات والثمانينيات. في الأصل، تم تشكيل العصابة لحماية المهاجرين السلفادوريين من العصابات الأخرى في منطقة لوس أنجلوس.

[3 ←]

أنثى كلب خيالية ظهرت في قصة قصيرة كتبها أريك نايت وهي كلبة لا تحب سوى صاحبها.

[4 ←]

سكني صناعي.

[5 ←]

كانت أريثا لويز فرانكلين مغنية وكاتبة أغانٍ وعازفة بيانو أمريكية. يشار إليها باسم "ملكة الروح"، وقد احتلت المركز التاسع مرتين في "أعظم 100 فنان في كل العصور".

[6 ←]

هيرونيموس بوس رسام هولندي من القرنين الخامس والسادس عشر، تصور العديد من أعماله الخطيئة والفشل الأخلاقي للإنسان.

[7 ←]

إكس مان هي سلسلة أفلام خارقة مستندة إلى قصص إكس مان الخيالية من تأليف مارفل كومكس.

[8 ←]

القلس هو اندفاع الطعام من المريء أو المعدة من دون الشعور بغثيان أو تقلّصات شديدة في عضلات البطن.

[9 ←]

قنية الأنف جهاز يُستخدم لتوصيل الأوكسيجين الإضافي أو زيادة تدفّق الهواء للمريض أو الشخص الذي يحتاج إلى مساعدة في الجهاز التّنفّسيّ.

[10 ←]

جهاز لقياس النشاط الإشعاعي عن طريق كشف وعد الجسيمات المؤينة.